طرابلس الغرب

في الماضي والحاضر

بقلم

راسم رشدي

مساعد مدير مكتب رئيس الوزراء
للمملكة الليبية المتحدة
سابقاً

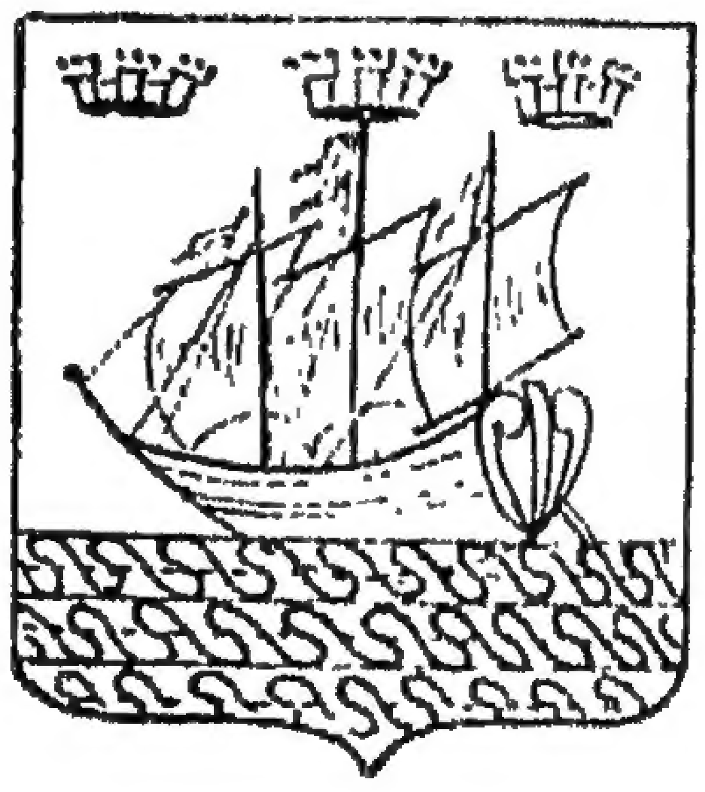

طرابلس (ليبيا)

١٩٥٣

طرابلس الغرب

في الماضي والحاضر

بقلم

راسم رشدي

مساعد مدير مكتب رئيس الوزراء
للمملكة الليبية المتحدة (سابقاً)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٩٥٣

الملك إدريس الأول

ملك المملكة الليبية المتحدة

[تصوير أولا]

حضرة السيد المحترم الرئيس محمود المنتصر
رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية

صورة المؤلف

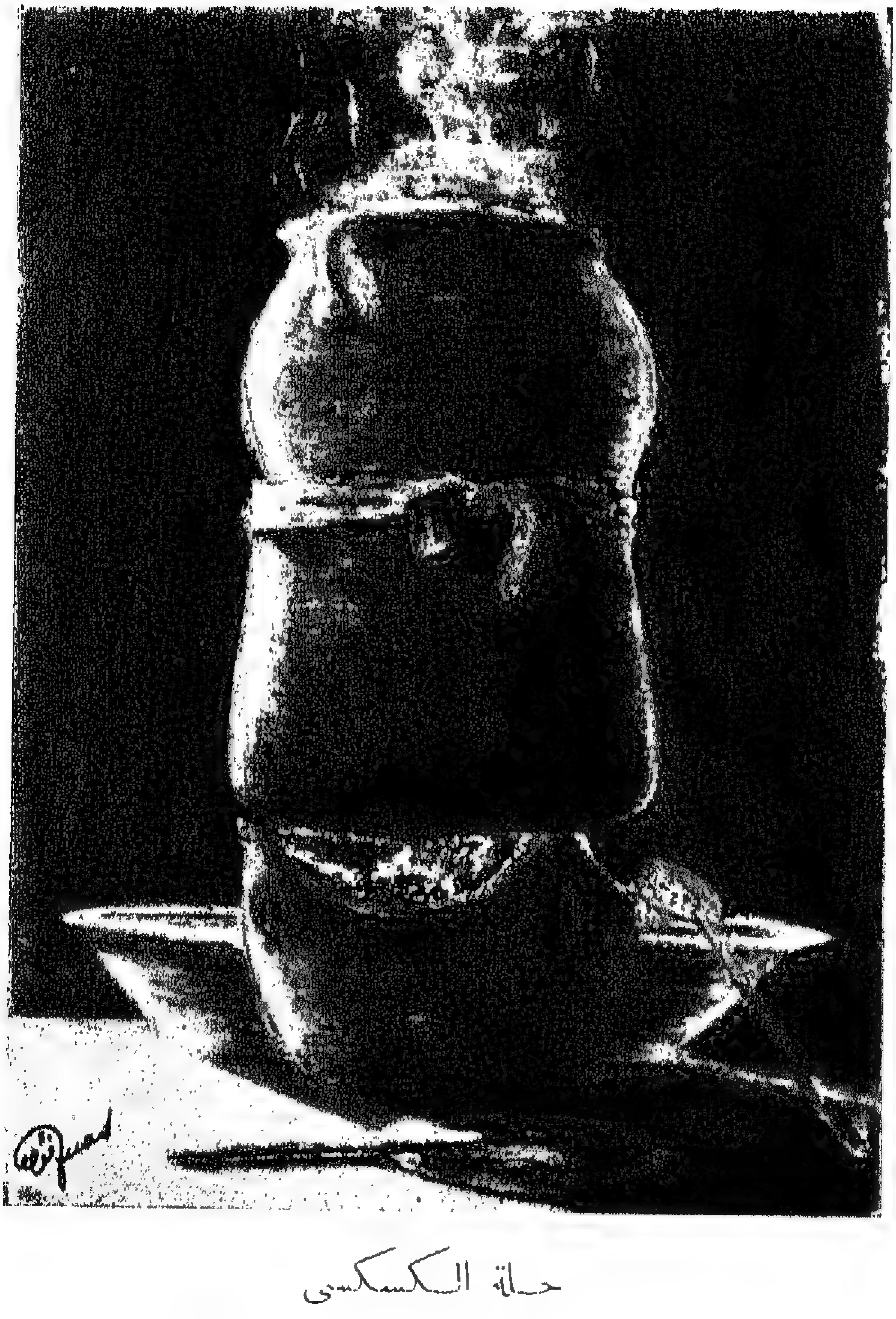

حلة الكسكسي

بريشة الفنان الطرابلسي
السيد فؤاد الكعبازي
المهندس

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

المقدمة

عكفتُ ، منذ أن هبطت هذه البلاد الجميلة ، على دراسة تاريخها وأحوالها ، والتعرف على معالمها وآثارها ، فقمت لهذا الغرض بعدة رحلات داخل البلاد ، وجلت في أطرافها ، كما اتصلت ببعض الشخصيات ورجالات البلد المعروفين ، ودرست أحوال السكان وعاداتهم عن كثب ، وراجعت الكثير من المؤلفات والنشرات والتقارير بلغات مختلفة ، فتجمعت لديّ بذلك مادة هي نتيجة تلك الدراسات مجتمعة ، رأيت أن أضعها بين يدي قراء العربية تعميماً للفائدة ، وخدمة للعلم والتاريخ ، علّني أكون بذلك قد أديت بعض الدين الذي عليّ لهذه البلاد المضيافة الجميلة ، وسكانها الأجلاء الكرام .

وقد عاونني في إعداد بعض مواد هذا الكتاب ومراجعتها إخوان كرام ، كما أمدّوني ببعض المعلومات التاريخية والاجتماعية المفيدة ، وأكثرها يكتب وينشر لأول مرّة . فلهؤلاء شكري الجزيل ، إذ لولا مساعداتهم القيمة ، وإرشاداتهم الحكيمة ، لما استطعت أن أقدم هذا الكتاب إلى قراء العربية اليوم .

راسم رشدي

طرابلس الغرب ، أول يناير سنة ١٩٥٣

المراجع

مصادر عربية :

١ — العبر وديوان المبتدا والخبر ، لابن خلدون — القاهرة ١٢٨٤ هـ

٢ — المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، الجزء الأول ، لأحمد بك النائب الأنصارى — استانبول ١٣١٧ هـ

٣ — رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقيه إلخ — الجزء الأول — تأليف أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله المالكى . قام على نشره الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١

٤ — فتح العرب للمغرب ، للدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٤٧

٥ — منشورات بعثة الأمم المتحدة للمساعدة الفنية فى ليبيا :

(أ) التقرير السنوى الثانى لمندوب الأمم المتحدة فى ليبيا : طرابلس ، أكتوبر ١٩٥١

(ب) التقرير التكميلى للتقرير السنوى الثانى — طرابلس ، يناير ١٩٥٢

(ج) تقدير عام للاقتصاد الليبى ، المستر جون لندبرج ، طرابلس ١٩٥١

(د) تقرير عن الأحوال الصحية والخدمات الصحية فى ليبيا ، للدكتور د . ك . لندسى (منظمة الصحة العالمية) طرابلس أبريل ١٩٥٢

(هـ) تطور ليبيا الاقتصادى والاجتماعى ، للبروفسور بنجامين هجنز ، طرابلس ، يوليو ١٩٥٢

مصادر أجنبية :

1 — Annales Tripolitaines, par Mr. L. Charles Féraud (Paris 1927)

2 — A Short Historical and Archaeological introduction to Ancient Tripolitania, by Mr. D.E.L. Haynes, Tripoli 1949.

3 — History of education in Tripolitania, by Mr. A.J. Steele-Greig, Tripoli, 1948.

4 — Libia - Guida D'Italia del Touring Club Italiano, Milano 1937

طرابلس الغرب

في الماضي والحاضر

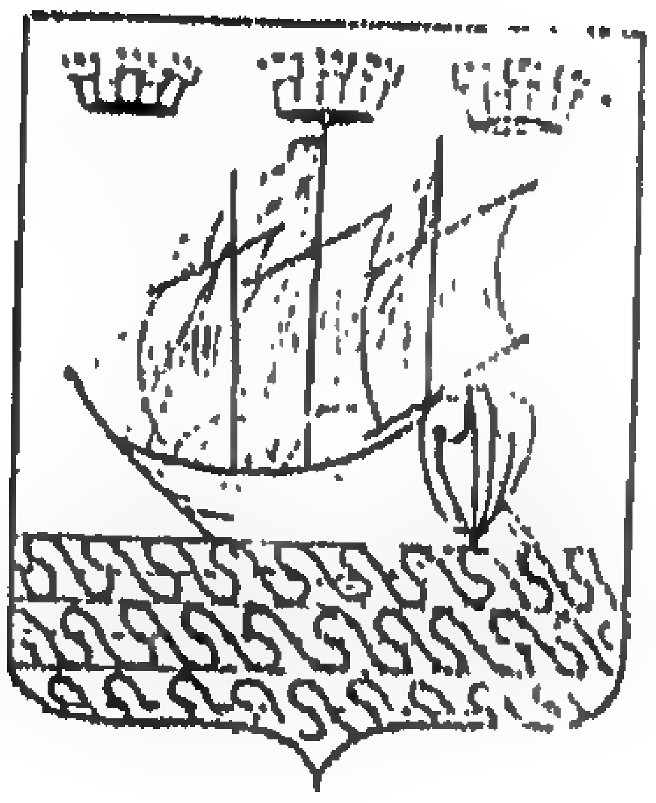

تمهيد

المملكة الليبية المتحدة

طرابلس الغرب هى إحدى الولايات الثلاث التى تتشكل منها المملكة الليبية المتحدة .

وتغطى أراضى المملكة مساحة قدرها ١٫٧٥٠٫٠٠٠ كيلومترا مربعا ، وهى حوالى ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا ، واقعة بين البحر الأبيض المتوسط شمالا ، وأفريقيا الفرنسية الاستوائية والغربية جنوبا ، وبين مصر شرقا وتونس غربا . وتشمل جزءاً كبيراً من الصحراء الممتدة شرقا حتى وادى النيل، وغربا حتى جبال الأطلس . ومعظم المناطق المسكونة واقعة فى الأجزاء الشمالية للمملكة، حيث يلطف هواء البحر جو الصحراء القارى ، وفى هذه الأجزاء ، التى تتألف من الساحل الطرابلسى ، والجبل ، وسهول برقة ، يقيم حوالى ٩٥ بالمائة من مجموع السكان . أما الولايتان الأخريان اللتان تتألف منهما المملكة الليبية المتحدة فهما برقة وفزان .

فأما ولاية بَرْقَة ، فمساحتها تربو على ٧٠٠٫٠٠٠ كيلومترا مربعا ، وتقع بين صحراء مصر الغربية شرقاً وطرابلس الغرب غرباً ، وتمتد جنوباً حتى حدود السودان المصرى الإنجليزى وأفريقيا الفرنسية الاستوائية. وأكثر هذه المساحة صحارى مجدبة، فيما عدا الجزء الشمالى منها الذى يتكون من سلسلة من التلال الكلسية والسهول الخضراء الخصبة ، أشهرها على الإطلاق منطقة الجبل الأخضر المشهورة بجودة أرضها وطيبة هوائها. وتروى هذا الجزء الأمطار الموسمية وعدد من الجداول والعيون المتفجرة، وبذا كان صالحاً لزراعة الأشجار المثمرة والحبوب على السواء ، كما أن جزءاً كبيراً

من نجد برقة يصلح لرعى الماشية ، التى يعتمد عليهـا سكان هذا الأقليم — إلى حد كبير — فى معيشتهم واقتصادياتهم .

وتتخلل الواحات الخضراء المناطق الصحراوية الجنوبية ، وينبت فيها النخيل ، كما تزرع فيها بعض الخضروات .

ويمتاز نجد بَرقَـة على إقليمى طرابلس وفزان ببعض المزايا الطبيعيـة ، نظراً لارتفاعه وامتداده إلى البحر المتوسط . فمتوسط حرارة الصيف فيه أقل بمقـدار ٤ درجات بالنسبة لأقليم طرابلس ، و ٦ درجات بالنسبة لأقليم فزان ، وذلك بفضل نسيم البحر والارتفاع ، كما أن أمطار الشتاء والرطوبة فيه أكثر مما هى عليه فى سائر الأقاليم الأخرى . إلا أن المياه الجوفية عميقة جداً فى برقة ، والأرض مشققة شقوقاً غائرة ، مما يجعل الحصول على المياه فى حالة انحباس الأمطار من أشق الأمور .

ويقدر عدد سكان برقة بحوالى ٣٢٠ ألفاً ، كلهم عرب مسلمون ، فيما عدا أقلية صغيرة من الإيطاليين والطوائف الأخرى ، لا يتجاوز عددهم الخمسمائة .

وينقسم عرب برقة إلى تسع قبائل تعرف بقبائل « سعدى » ، وهى تزعم أنها من سـلالة بنى هلال وبنى سُليم الذين غزوا البلاد فى القرن الحادى عشر . وثمة جماعة أخرى تعرف «بالمرابطين» ، مكونة من مزيج من العرب والبربر والإغريق ، وعناصر أخرى متفرقة داخل البلاد . وأهمّ المدن فى برقة هى :

بنغازى — ثانية مدن المملكة الليبية بعد مدينة طرابلس ، وهى عاصمة الولاية ، والعاصمة الصيفية للمـلكة . سكانهاحوالى الـ ٦٥٫٠٠٠ عدداً يشتغلون بالتجارة وفلاحة الأراضى و بعض الصناعات الخفيفة . وقد أوقعت الحرب أضراراً بليغة بالمدينة ، فتهدم عدد كبير من دورها ، وهجرها بعض سكانها ، وتوقفت بعض دور الصناعة فيها . إلا أنها آخذة الآن فى النهوض تدريجياً ، ويرجى أن تتغلب المدينة على مآسى الماضى فى وقت قريب .

وفى بنغازى قصران للملك إدريس الأول ، أحدهما فى ضاحية « بنينا » التى تبعد حوالى ١٥ كيلو متراً عن المدينــة ، ويسمى « قصر الغدير » ، والثانى فى قلب المدينة ، ويطل على أهم شوارعها ، شارع الاستقلال ، ويسمى « قصر المنار » .

وتعتمد مدينة بنغازى فى تجارتها على معاملاتها مع مصر ، فتصدر إليها الماشية ، وتستورد منها المصنوعات القطنية والجلدية وغيرها .

دِرْنَة — ثانية المدن الرئيسية فى برقة ، ويبلغ عدد سكانها حوالى العشرين ألفاً . وقد اشتهرت درنة بعيونها الجارية وقنواتها المــائية التى تخترق المدينة وتروى الحدائق والبساتين المحيطة بها . وتصــدر درنة الموز الدرناوى المشهور ، والفواكه والخضروات ، كما أنها ذات جو معتدل صيفاً وشتاء .

ومن الصناعات المشهورة فى درنة صناعة صيد الأســفنج ، ويقوم به جماعة من اليونانيين . كما أنها اشتهرت كذلك ببعض الصناعات الخفيفة ، مثل صناعة الحوالى (الجرد) والأحذية البلدية وبعض الصناعات الجلدية الأخرى .

طُبرق — الميناء البحرى الطبيعى . سكانها حوالى سبعة آلاف نسمة ، يعيشون على التجارة والزراعة . وقد اشتهرت طبرق بطيبة هوائها ، كما أنها — لموقعها الجغرافى — نقطة ارتكاز هامة فى التجارة بين مصر وبرقة .

ويشرب سكان طبرق من مياه « عين العودة » ، وهى مياه معدنيــة مرّة المذاق قليلا .

المرج — مدينة زراعية مشهورة ، واقعة وســـط سهول زراعية غنية تسمى « بنطع المرج » عدد سكانها حوالى الستة آلاف نسمة ، يعيشون كلّهم على فلاحة الأراضى وتربية الماشية .

شحّات — مدينة أثرية قديمة أنشأها اليونانيون القدماء . وكانت فيها جامعة إغريقية مشهورة ، ولا تزال آثار الإغريق ماثلة فيها حتى الآن .

وتقوم مدينة شحات على قمة جبل مرتفع ، تحيط بها بساتين الفاكهة من أجود الأنواع .

سوسة — مدينة صغيرة واقعة على البحر ، و بعضهم يطلق عليها اسم « أپولونيا » نسبة إلى الإله الإغريقى أپولو . يسكنها مسلمون من أصل يونانى معروفون فى برقة باسم « السكريتلية » و يعتمدون فى معيشتهم على التجارة فقط .

* * *

وأما ولاية فَزّان ، فمساحتها حوالى ٨٠٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، واقعة بين الجزائر وتونس غرباً وأفريقيا الفرنسية الغربية وأفريقيا الفرنسية الاستوائية جنوباً ، و ولاية برقة شرقاً ، وولاية طرابلس الغرب شمالاً . وأكثرها منخفضات رملية قاحلة تتخللها بعض الواحات الغنية بأشجار النخيل ، وبعضه من النوع الممتاز الصالح للتصدير . ويقيم الجزء الأكبر من السكان فى هذه الواحات ، وفى بعض المواقع الصغيرة ، وأهمها « سبها » وهى عاصمة الولاية وسكانها يزيدون قليلاً على الألف نسمة ، ومرزق المعروفة بباريس الصحراء ، وغدامس ، وغات ، وهم يعيشون على الزراعة ورعى الماشية وجنى النخيل و بعض الصناعات الخفيفة . وقد أفتى الخبراء بقدرة الأرض فى بعض مناطق فزان على الإنتاج إذا ما توفر الماء . و يقال أن المياه الجوفية توجد فى بعض المناطق على عمق يتراوح بين ١٥ و ٣٠ قدما من سطح الأرض .

ويقدر عدد سكان فزان بحوالى ٤٢٫٠٠٠ نسمة ينتمون إلى مزيج من الأجناس . ففى الشمال توجد القبائل العربية البدوية ، التى تعيش على رعى قطعانها على طول المجارى النهرية بين فزان و إقليم طرابلس الغرب . ويكثر البربر فى الشمال والغرب ، كما أن بعض قبائل الطوارق تسكن المناطق الغربية والجنوبية .

ويوجد عدد من قبائل التبو الرحل في جوار مرزق وحدود تيبستي . وكل هذه القبائل تدين بالدين الإسلامي .

وقد اشتهر « الفزازنة » عموما بأمانتهم المطلقة ، وميلهم إلى المرح والموسيقى .

نظام الحكم :

ليبيا دولة ملكية وراثية ، شكلها اتحادي ونظامها نيابي . ويتألف برلمانها من مجلسي نواب وشيوخ ، ويقوم بشئون الحكم في كل من الولايات الثلاث حاكم معين من قبل الملك ، يلقب بالوالي ، يعاونه مجلس نظار يعينهم الملك أيضاً . كما أنه لكل ولاية مجلس تشريعي منتخب ، ودستور داخلي خاص .

ولكل من الحكومة الاتحادية والولايات اختصاصات حددها الدستور ، كما سيجيء بيان ذلك في فصل آخر من هذا الكتاب .

ويجلس على عرش المملكة الليبية المتحدة الملك محمد إدريس المهدي السنوسي الملقب بالملك إدريس الأول . وفيما يلي نبذة مختصرة عن حياة هذا العاهل العظيم ، والمجاهد الفذ الكريم .

الملك إدريس الأول

ينحدر الملك إدريس الأول من العائلة السنوسية الشريفة ، ويتصل نسبه بالنبى (ص) ، وهو ابن السيد المهدى السنوسى ، وجده السيد محمد بن على السنوسى مؤسس الطريقة السنوسية المشهورة . وقد ولد ، حفظه الله ، فى الجغبوب فى العاشر من رجب سنة ١٣٠٧ هـ ، (١٢ مارس سنة ١٨٩٠ م) . وفى سن الرابعة ، أخذه والده إلى الكفرة حيث تلقى علومه الأولية ، ثم انتقلا إلى السودان فى سنة ١٣١٧هـ . فلما توفى والده ، ولم يتم السنة الرابعة عشرة من عمره المديد ، عاد حفظه الله إلى الكفرة سنة ١٣٢١ هـ ، وعكف على الدراسة والاستزادة من علوم الفقه والدين وشتى العلوم الحديثة .

وفى عام ١٩١٤ ، خرج إلى الحجاز حاجاً ، فدعاه خديوى مصر عباس حلمى الثانى للنزول ضيفا عليه فى قصر رأس التين بالإسكندرية . وفى مكة ، استضافته السلطات التركية ، واحتفى به الأهلون ، كما استقبله الشريف حسين شريف مكة ، استقبالا حاراً يليق بمكانته .

وبعد عودته إلى وطنه فى نفس العام ، بايعه البرقاويون بالأمارة عليهم ، واتخذ أجدابية عاصمة لحكومته . وفى هذه الأثناء منحه السلطان رتبة الباشوية من درجة وزير ، مع الوسام العثمانى المرصع رفيع الشأن .

ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى ، كانت البلاد فى أشد حالات الحرج والاضطراب . فقد توالت على برقة كوارث الجراد والقحط ، وكان قتال الإيطاليين على أشده يذكى ناره السنوسيون ورجال القبائل . وفى غمرة هذه الحوادث ، برهن سمو الأمير آنذاك على حنكة بالغة وصفات سياسية نادرة . فقد وجد أنه لم تعد هنالك فائدة ترتجى من الكفاح المسلح ، وأخذ يفاوض الإيطاليين من أجل إنهاء الحرب

ريثما تحين لاستئنافها فرصة أخرى أكثر ملاءمة . ووقع لهذا الغرض اتفاقا مع الحكومة الإيطالية عام ١٩١٧ . وبموجب هذا الاتفاق اعترفت الحكومة الإيطالية بأمارة السيد إدريس السنوسى على برقة ، واستقلال السنوسيين داخل بلادهم . وفى عام ١٩٢٠ ، أمرت الحكومة الإيطالية بأن يعامل سموه معاملة ممتازة ، على أن يكون مكانه « أشرف مكان بعد الوالى .فإذا قدم مدينة بصفة رسمية وجب إطلاق المدافع إكراماً له ١٧ طلقة ، وتؤدى له التحية العسكرية الجارية بها العادة ، إلى أن سمو الأمير ، الذى كان هدفه استقلال بلاده التام وإخراج المستعمر من أرضها ، لم تغنه هذه المظاهر شيئا ولم تلوه عن القصد الذى وهب له حياته وماله . فهاجر مختاراً إلى مصر ، ومنها أخذ يذكى نار الكفاح من جديد ، ويؤلب الدول والشعوب العربية على إيطاليا . وما لبث أن استؤنفت الحرب مرة أخرى ضد الإيطاليين ، وأخذ المجاهدون يحياون الأرض تحت أقدام الغاصبين إلى جحيم مستعمر .

وعند ما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وجد « سموه » أن الفرصة سانحة لتحقيق استقلال بلاده . فشكل لهذا الغرض جيشا من الليبيين الموجودين فى الخارج وجمع حوله عدد من الأعوان المخلصين ، وبعد اتصالات متعددة مع قيادة الحلفاء فى القاهرة، تقرر أن ينضم جيش التحرير الليبى إلى جيوش الحلفاء المقاتلة فى الصحراء الغربية . واستمرت الحرب بعد ذلك سجالا بين الفريقين ، إلى أن أذن الله بالنصر، وعاد « سموه » إلى بلاده بعد غياب دام أكثر من ٢٢ عاما ، ليبدأ فى بناء الدولة الجديدة وتدعيم استقلالها .

وقد مرت بالبلاد بعد ذلك أحداث كثيرة ، أبرزها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ « بأن تصبح ليبيا المتكونة من أقاليم طرابلس وبرقة وفزان دولة مستقلة ذات سيادة ، وأن يصبح استقلالها نافذاً فى أقرب وقت ، على أن لا يتأخر ذلك الموعد فى أى حال من الأحوال عن ١ يناير ١٩٥٢ » . وبتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ عقدت الجمعية التأسيسية الوطنية أول اجتماع لها ، فبحثت نظام

الحكم للدولة الجديدة ، وقررت بإجماع الآراء ، وسط مظاهر الفرح والهتاف ، أن تصبح ليبيا دولة ملكية ، والمناداة بالأمير محمد إدريس السنوسى ملكاً على ليبيا. و بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٥٠ أرسل « سموالأمير » موافقته إلى رئيس الجمعية التأسيسية الوطنية على قبول تاج المملكة الجديدة ، على أن يؤخر إعلان هذا القبول إلى ما بعد الانتهاء من وضع الدستور والأسس الإدارية الأخرى للدولة الليبية الجديدة . وقد تم توقيع الدستور بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٩٥١ بمدينة بنغازى ، و بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أعلن الملك إدريس الأول استقلال بلاده فى رسالة وجهها إلى شعبه . و بذلك تم وضع اللبنة الأخيرة فى بناء الاستقلال ، وتوجت مجهودات ذلك الرجل العظيم بذلك الإعلان التاريخى المجيد .

إنه لمن نعم الله وفضله على هذه البلاد وشعبها أن قيّض لها هذا الربان الماهر والسياسى المحنك والمجاهد المستبسل ، إذ أن كثيراً مما حصلت عليه ليبيا راجع قبل كل شىء إلى صفاته الفريدة وجهوده المضنية و إدارته الحكيمة فى أعصب الأوقات وأحلك الظروف. وقد أضاف إلى مآثره الماضية مآثر جديدة تخلد ذكره على الدوام ، فكان أول ملك يتنازل عن لقب الجلالة لأنه من صفات الله ، و يرفض أن يناديه به أحد . وقد أمر كذلك — حفظه الله — أن تستوفى الحكومة رسوم الجمارك كاملة على كل ما تستورده الخاصة الملكية وأفراد العائلة المالكة . كما أصدر قانوناً يحرم الاشتغال بالتجارة وما إليها على الأمراء والنبلاء . فكبرت بذلك منزلته فى نفوس الناس ، واشتد حبهم له وتعلقهم به . ولا يستطيع أن يدرك مدى تعلق الليبيين بمليكهم إلاّ من زار ليبيا أو أقام فيها .

هذا هو الرجل الذى يتربع اليوم على عرش ليبيا ، وله قبل ذلك عرش يتربع عليه فى قلب كل مواطن ليبى .

حفظ الله الملك .

القسم الأول

الماضي

عصور التاريخ الطرابلسى

٨٠٠ ق . م . — ١٤٥ ق . م	= الاستعمار الفينيقى
١٤٦ ق . م . — ٤٥٠ م .	= العصر الرومانى
٤٥٠ — ٥٣٣	= غزوة الفاندال
٥٣٣ — ٦٤٣	= العصر البيزنطى
٦٤٣ — ١٥١٠	= الفتح الإسلامى العربى
١٥١٠—١٥٥٣	= غزوة الأسبان
١٥٥٣—١٧١٤	= العهد العثمانى (الفترة الأولى)
١٧١٤—١٨٣٥	= ولاية الأسرة القره مانلية
١٨٣٥—١٩١٢	= العهد العثمانى (الفترة الثانية)
١٩١٢—١٩٤٣	= الاستعمار الإيطالى
١٩٤٣—١٩٥١	= الإدارة البريطانية
٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ . . .	= إعلان الاستقلال وتشكيل الحكومة الوطنية

الفصل الأول

طرابلس الغرب
بين الأسطورة والتاريخ

تروى الأساطير القديمة [1] أن طرابلس الغرب كانت فى الماضى بلاداً غنية وأرضها خصبة للغاية ، بها حدائق جميلة من نخيل وأعناب ، قطوفها دانية ، ذات دفء فى الشتاء أما فى الصيف فقد كانت الجبال تحميها من الرياح الحارة . وكان السكان يعيشون بهناء تام ، فكانت الحياة تجرى بهم سعيدة منطلقة هى أقرب الأشياء إلى حياة الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين . ولكن نفوس الناس تغيرت ، فاتبعوا الشيطان ، وجروا وراء الشهوات ، حتى اشتد بهم غضب الله ، وأقسم ليمتحن سكان هذه البلاد الطيبة .

وظهرت من البحر حورية من أجمل حور العين ، تحملها زعانفها الذهبية حتى استقرت فى إحدى حدائق النخيل والبرتقال ذات الروائح العطرية الزكية . وتطاير خبر قدومها بسرعة البرق ، وأخذ الجميع يتحدثون عن جمالها الفتان وجاذبيتها الأخاذة . وسمع ذلك الخبر ابن السلطان « غاديا » الذى تملكه شعور جامح لا يرد . فارتدى أفخر ما عنده من ملابس مزركشة ، وتمنطق بخنجره ذى المقبض المطعم بالذهب والمرصع بالأحجار الكريمة . وركب الأمير جواده ، فلما اقترب من تلك الحديقة الغناء التى كانت الحسناء تستظل بأشجارها ، صاح من شدة فرحه مخاطبا

---

(١) عن كتاب ليبيا فى العهد العثمانى الثانى ، لمؤلفه الميجور أنتونى كاكيا ، (ترجمة الأستاذ يوسف العسلى) بقليل من التصرف .

إياها : « ألست جميلا كريم الأخلاق ؟ » ولـكنها أجابته ببرود وبدون اكتراث . فظن الأمير أنها بحاجة إلى الألفاظ المعسولة، وأسمعها قصيدة يمتدح فيها جمالها وحسن قوامها . ولـكن تلك القصيدة لم تحرك ساكنا من مشاعرها ، وبقيت الحورية على فتورها نحوه .

احتد الأمير لذلك الإغضاء ، وترك تلك العبارات الرقيقة والألفاظ المهذبة وأخذ يلقي الـكلام على عواهنه ، مما أدى إلى ازدياد نفور الحورية منه ، فاستجمعت قواها وأفلتت من بين ذراعيه ، هاربة نحو الشاطئ حتى ابتلعتها أمواج البحر .

فلما رأى الأمير ذلك أُسقط في يده ، واحتـار في أمره . فظل يتجول أياماً في حدائق البرتقال نادباً سوء حظه ، وأقسم لئن رجعت الحورية لينزلنها من نفسه أحسن منزلة ، وليحترمنها أعظم احترام .

وأرسلت له الحورية تطلب منه أن يقسم أن لا يخون قواعد الضـيافة إن هي رجعت له ، وأن يرعاها ويحسن معاملتها ، فأقسم الأمير على ذلك بحرارة ، وزاد بأنه سيجعلها دائماً سعيدة ويبعد عنهـا كل مكروه . وهكذا رجعت الحورية الفاتنة إلى بستان البرتقال عند شاطئ المنشية (في مدينة طرابلس) . ولـكن عندما رآها الأمير مرة أخرى ، عادت له أطماعه ، ولم يستطع ضبط شهواته ، وأفضى لوالده السلطان بما كان من أمره طالباً نصحه ، فقال له والده : « اجعل لها كميناً أوقعها به ، وعندما ترى نفسها أسيرة لا بد وأن تخضع للأمر الواقع فتستسلم لك » .

وأرسلت الرسل إلى الحسـناء داعية إياها إلى حفلة يقيمها الأمير احتفاء بها ، وتوسل إليها الأمير أن لا ترفض طلبه ذلك ، فقبلت الحورية تلبية تلك الدعوة بمزيد السرور . وبدأت رحلتها نحو الجبل حيث قصر السلطان .

وقبل أن تصل الحورية الفاتنة إلى قصر السلطان ، وعلى بعد قليل منه ، وقعت في ذلك الـكمين الدنئ الذى نصبه لها الأمير. وعندما أوشك على الإيقاع بها تملصت منه كثعبان الماء ، وطارت لتلقى حمايتها في البحر الذى خرجت منه . وبذهابها ذبلت

الأشجار المثمرة وجفت ، وتحولت الأراضى الخصبة إلى صحراء قاحلة ، وتلاشت الجداول بين الصخور ، ولم يبق منها سوى الماء الأجاج الذى أصبح لا يكاد يصلح لشرب الوحوش .

وهكذا أنزل الله عقابه بأهل هذه البلاد التى كانت يوماً ما مباركة ، وصار عليهم وعلى أولادهم فيها بعد أن يكدوا ويشتغلوا للأبد عقاباً لهم ، وأن يتحملوا لفح الرياح القبلية الآتية من الصحراء ، وأن يتذكروا أن الجنة لا يدخلها إلا من أطاع الله ، وكبح جماح شهواته .. ا . هـ

ويلاحظ فى هذه القصة الخرافية ، التى أثبتناها هنا لطرافتها ، أنها شديدة الشبه والصلة بالقصص الخرافية الأخرى التى يزخر بهـا تاريخ الإغريق القدماء ، وهى فى جوهرها تشبه قصة « فينوس » أو « أفروديت » إلهة الحب والجمال التى ظهرت على شواطىء اليونان متولدة من زبد البحر ، وقصـة « أفروديت » القبرصية التى ظهرت على الشواطىء الغربية لتلك الجزيرة ، ويبدو أن قصة « أفروديت » الطرابلسية — وأفروديت عند الإغريق رمز لكل جميل وعلم على كل غال ونفيس — انتقلت إلينا عن طريق الإغريق الذين استعمروا سواحل أفريقيا الشمالية — خصوصاً برقة — حوالى العام ٦٣١ قبل الميلاد .

وهنالك غير هذه من القصص الخرافية التى انبثقت من عصور الوثنية الأولى ، وقد ظلت هذه الأساطير والمعتقدات تلعب فى خيال سكان طرابلس على مر العصور المختلفة ، فلما جاء الإسلام أضيفت حكايات جديدة يغطيها رداء شفاف من المعتقدات الدينيـة ، وأخذ الناس يتناقلون حكايات خارقة عن المعجزات و « الكرامات » المنسوبة للأولياء ورجال الدين ، ولعله من أبرز ما يروى فى هذا الصدد قصة الأميرة الأجنبية التى استنجدت بسيدى عبدالسلام الأسمر الفيتورى ، فأحضرها هى وقصرها إلى زليطن .

* * *

أما من حيث التاريخ ، فإن الآثار التى عثر عليها المنقبون حتى الآن تدل على إن سكان طرابلس الأولين هم من نفس السلالة التى كانت تقيم فى مصر وتونس . و يقول هيرودوتس فى كتاباته فى القرن الخامس قبل الميلاد ، إن ليبيا (التى يعنى بها شمال أفريقيا بأسره فيما عدا مصر) كانت مأهولة بنوعين من الأجناس هما : الليبيون فى المناطق الساحلية ، والأحباش فى الدواخل ، ولم يجد العلم الحديث ماينقض هذا القول . فأما الأحباش الذين ذكرهم هيرودوتس فقد عنى بهم العنصر الأفريقى من السكان ، وهم الذين تسربوا إلى المناطق الساحلية من الصحراء ، بينما الليبيون — الذين انحدر منهم البربر الحاليون ، كانوا من أجناس حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهى التى توجد أيضاً فى مناطق متفرقة من أوروبا الجنوبية[1] .

---

(١) يقول الفيلسوف أمين الريحانى فى كتابه «المغرب الأقصى» عن أصل سكان المغرب، مايلى :

« ويقول فريق آخر من العلماء المنزهين عن الأغراض الخاصة ، والمعنيين فى المباحث الأتنولوجية البيولوجية ، وفروعها الجغرافية والنباتية والجيولوجية ، أن برزخاً ، فى عهد جيولوجى قديم ، كان يصل شبه جزيرة ايبارية بالمغرب الأقصى ، ودليلهم على ذلك الجبلان المتقابلان المعروفان اليوم بجبل طارق وجبل موسى المقابل له فى القارة الإفريقية .

« هذان الجبلان ، فى الزمن السابق للعهود الجليدية ، كانا جبلا واحداً ، بشهادة علماء الجيولوجيا والنبات والحيوان . ففى الجبلين اليوم تشابه فى طبقاتهما ، وفى حاضر نباتهما وفى آثار الماضى من حيوانهما . وكما نزحت الحيوانات وانتشرت النباتات الإفريقية من الجنوب إلى الشمال ، نزح الإنسان السابق للتاريخ ، إنسان العصر الحجرى . والدليل على ذلك فى جماجم من بقايا ذلك العصر فى أوروبا شبيهة شكلا وحجماً بالجماجم الإفريقية .

« إذن ، وبموجب هذه الآراء العلمية ، تكون الحقيقة على عكس ما كان يظن . أى أن الأوروبيين من افريقيا ، وليس الإفريقيون من أوروبا . والرأى الأجدر بالاعتبار ، هو أن الشعب المغربى الأصلى من القارتين — من صحراء إفريقية وجنوبى إسبانيا . وقد يضاف إليه عنصر أبيض البشرة فى شمالى أوروبا .

« هذا الشعب المغربى الأصلى كان فى البلاد قبل أن أسست قرطجنة ، وقبل أن اتصل بالمغرب شيء من حضارة الإغريق .

« ثم جاء شعب من المشرق يختلط به ، فينقلنا من العلماء الطبيعيين إلى العلماء المؤرخين . ومن هؤلاء من يقول إن المغاربة ، أو البربر كما صاروا يدعون ، هم من بلاد كنعان ، بل هم من الكنعانيين ، فأخرجهم اليهود فى أيام يسوع بن نوت . ولهذا القول أشياع فى زماننا يروقهم مثل هذه الأبحاث . وما الفائدة منها ؟ لا فائدة البتة !

« إن فى المغرب اليوم شعباً واحداً وإن تعددت عناصره . إنهم جميعاً اليوم عرب ، تجمعهم اللغة العربية ، وشعر امرىء القيس ، كما يجمعهم القرآن والإيمان » ا . هـ

وإلى أن اتصل أولئك الليبيون القدماء بثقافة العصر البرونزى للفينيقيين كانوا ما زالوا يعيشون فى الحالة البدائية لإنسان العصر الحجرى . إلا أن ذلك لايعنى أنهم كانوا يعيشون على الفطرة تماماً ، فإن الاكتشافات العصرية تدل على أنهم كانوا قد تعلموا زراعة الحبوب ، بل أنهم بدأوا فى الاستقرار شيئاً فشيئاً جماعات صغيرة فى بيوت من النوع البدائى . ويتحدث هيرودوتس فى كتاباته عن « الناسامونيين » (Nasamones) ، وهم من شعوب طرابلس الشرقية ، بأنهم كانوا يقومون برحلات سنوية إلى واحة العجيلة لجنى النخيل . ويقول مؤلف إغريقى آخر (فى القرن الرابع قبل الميلاد) أن الماكاى (Macae) الذين كانوا يسكنون منطقة الخمس ، كانوا يذهبون كل صيف إلى الجبل لسقى ماشيتهم . ويقول المؤرخون القدماء أيضاً أن قبيلة من أهم القبائل الطرابلسية ، وتعرف باسم « غارامنت » (Garamantes) ، كانت تربى نوعاً من الماشية ، اشتهر بأنه كان يسير إلى الخلف أثناء الرعى ، بسبب قرونه الطويلة الممدودة إلى الأمام .

ويقول هيرودوتس أيضا أن هذه القبيلة كانت تستعمل عربات تجرها أربعة جياد ، لأقتناص أفراد القبائل الحبشية كلما كانوا بحاجة إلى مزيد من العبيد . ولعله مما تجدر ملاحظته هنا أن المنقبين على الآثار عثروا على صور هذه العربات محفورة على الصخور فى فزان . وكان يظن أن هذه القبيلة التى لعبت فيما بعد دوراً كبيراً فى تاريخ طرابلس الغرب ، من سلالة حبشية ، إلا أن نتائج الحفريات التى قامت بها بعثة إيطالية فى إقليم فزان ، وعثرت خلالها على حوالى الـ ٤٥٫٠٠٠ من قبورهم فى وادى العجيل ، تثبت على أنهم كانوا فى الواقع من سلالات حوض البحر الأبيض المتوسط .

وأما عن الحياة الاجتماعية عند الليبيين القدماء ، فليس لدينا سوى القليل . ويبدو أن هذه العادات كانت تختلف باختلاف القبائل ، بينما كانوا جميعا يتكلمون لغة واحدة ، ويشتركون فى عبادة الشمس والقمر — ولعل هذه العبادة تسربت

إليهم من الفينيقيين . وبرغم وحدة اللغة والدين ، فان ليبيو ذلك العصر لم يندمجوا في وحدة سياسية سوى مرة واحدة ، وذلك في عصر مملكة النوميديين[1] . ويمكن القول أن حبهم للاستقلال الذاتي كان جارفاً إلى الحد الذي جعلهم يرفضون التنازل عن أي جزء من حريتهم في سبيل الوحدة العامة ، مما سهل على الشعوب الأخرى إخضاعهم وبذر بذور التفرقة بينهم . ومع ذلك ، فأنهم لم يستكينوا للغاصب أبداً ، ومحاولاتهم الدائبة لاسترجاع حريتهم تشكل فصولا بارزة في تاريخ طرابلس الغرب القديم . ومنذ ذلك الحين ـ عندما بدأت أيدي الغزاة تدق أبواب البلاد ـ بدأت طرابلس الغرب تخرج شيئاً فشيئاً من ظلام الأسطورة إلى وضح التاريخ .

(١) راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب .

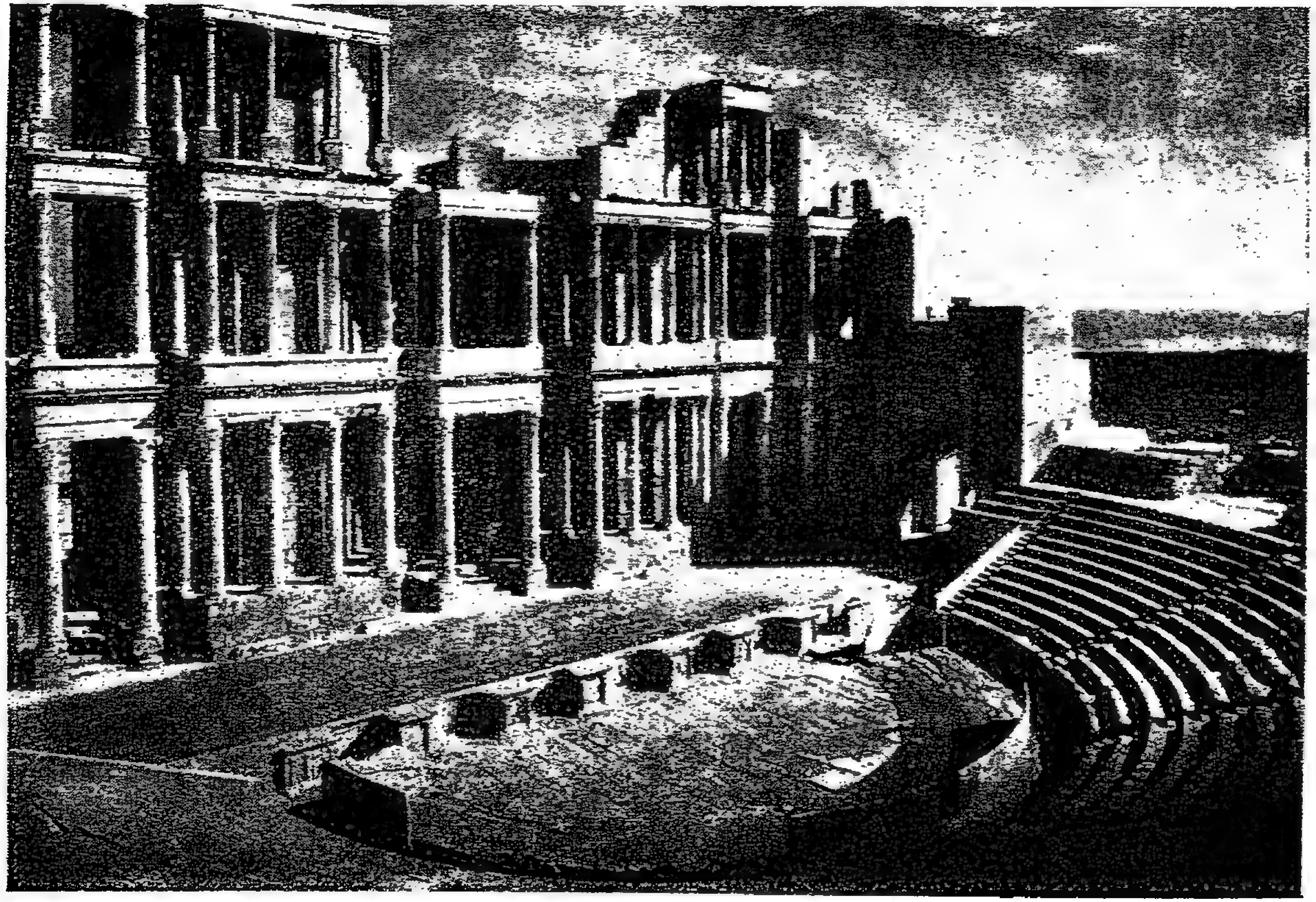

الامفتياتر الرومانى — صبراته

[تصوير جناح]

الفصل الثانى

طرابلس الغرب

من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامى

بدأت قوافل الفينيقيين ، حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، تزور السواحل الإفريقية الشمالية ، ومن بينها سواحل طرابلس الغرب ، آتية من موانيهم المزدهرة على الساحل الفينيقى (لبنان اليوم) كصور وصيدا ، وكان الفينيقيون ذوى نشاط تجارى عظيم ، وخبرة كبيرة فى البحار ، فكانوا يذرعون البحر الأبيض المتوسط جيئة وذهاباً ، بحثاً عن الذهب والفضة وسائر الأشياء النادرة ، فيشترونها بأثمان رخيصة من الشعوب الغربية المتأخرة ، ويبيعونها بأغلى الأثمان فى مدن الشرق الغنية الزاهرة .

إلا أن الضرورة ، على ما يبدو ، وليس الرغبة فى التجارة ، هى التى ألجأتهم فى أول الأمر إلى وضع أقدامهم على شواطىء طرابلس الغرب . فان الرحلات البحرية التى كان يقوم بها الفينيقيون فى مراكبهم الصغيرة ، كانت شاقة وخطيرة . وكان من عادة الملاحين فى قديم العصور أن يسلكوا الطرق البحرية القريبة من الشواطىء ، بدلا من تعريض أنفسهم للخطر باقتحامهم عرض البحار . فكان الفينيقيون يمرون أثناء رحلاتهم إلى بلاد البحر الأبيض المتوسط الغربية ، بالشواطىء الطرابلسية ، ولا شك أن عواصف خليج « سرت » المشهورة قد دفعتهم إلى طلب الأمان على الخلجان الشاطئية . وهكذا بدأت الصلة تتكون بين الفينيقيين وسكان هذه البلاد .

ولم يلبث أن أدرك الفينيقيون أن باستطاعتهم الاستفادة من هذه البلاد بأكثر من مجرد كونها ملجأ لمراكبهم من عواصف البحر ، أو مراكز عابرة للتموين ،

فإن طرابلس الغرب هى الحلقـة التى تستطيع أن تصلهم بقلب القارة الإفريقية ، حيث يكثر وجود الذهب والعاج وريش النعام والعبيد . وهكذا لم يتردد الفينيقيون باغتنام الفرصة ، وأخذوا يضعون الخطط لاستعمار هذه السواحل ، واستغلالها تجاريا .

وهكذا ، أنشأ الفينيقيون ، فى مدى مائتى عام تقريباً ، عدة مراكز على طول الساحل الطرابلسى ، وقد ذكر بعض جغرافى الإغريق أسماء عشرة من هذه المراكز التى لم تزد ، فى رأى أولئك الـكتاب ، عن كونها مجرد « نقط ارتكاز » تسكنها أقلية من التجار الفينيقيين ، إلى جانب أكثرية من السكان الأصليين ، ومن أهم هذه المراكز : « كراكس » ، وتقوم فى مكانها اليوم مدينة «السلطان » بين سرت والنوفلية ؛ و«سرت»، التى كانت تعرف باسم «برج يوفرانتاس» ؛ و «ماكوماكا» فى خليج تاورغة ؛ و « زوخيس » ، على مسافة يوم بالبحر إلى الغرب من طرابلس ، وكل هـذه اشتهرت بصناعة حفظ الأسماك ، بينما اشتهرت زوخيس أيضا بالصبغة الأرجوانية التى كان الفينيقيون يستخرجونها من نوع خاص من الأسماك ، واشتهروا بها فى عصور التاريخ القديم .

أما المدن الحقيقية التى أسسها الفينيقيون فى طرابلس ، واستقرت فيها جماعات كبيرة منهم ، فلم يزد عددها على ثلاثة ، وهى : « لبتس » أو « لبسس » ، واسمها الأصلى « لبكى Lpky »[1] ، الواقعة فى منطقة من أخصب سهول الإقليم ، وقد بنيت المدينة ذاتها عند مصب وادى لبدة و بذلك كانت مرفأ صالحاً للسفن فى ذلك الوقت . و « فيعات Vai'at » التى أنشأها الفينيقيون على الموقع الذى تقوم عليـه مدينة طرابلس حاليا ، وأطلق عليها اليونان والرومان فيما بعد اسم « أويا Oea » . وكانت الواحات المحيطة بهذه المستعمرة تزود السكان بكافة احتياجاتهم من الطعام والماء ، كما كانت تسيطر ، بحكم موقعها ، على التجارة القادمة من الداخل عن طريق

(١) وتعرف اليوم باسم لبدة

ممرات ترهونة وغريان . وأخيراً ، مدينة « صبراته Sabratha » ، التى ما زالت تحتفظ باسمها الفينيقى القديم ، وهذه أنشأها الفينيقيون على رأس إحدى الطرق التجارية الهامة المودية إلى الساحل ، مارة بغدامس .

الاستعمار القرطاجنى :

وبالتدريج ، أخذت هذه المدن الفينيقية تفقد صلتها بالوطن الأصلى ، ثم فقدت صلتها التامة به بعد إخضاع الأشور يين لعاصمتهم « صور » ، عند نهاية القرن الثامن قبل الميلاد . وفى هذه الأثناء ، أخذ يعلو شأن قرطجنة ، المدينة التى أسسها الفينيقيون عند نهاية القرن التاسع . ق . م . ، بالقرب من موقع مدينة تونس الحاليـة ، حتى تمكنت من تزعم المستعمرات الفينيقية المنبثة على الشواطىء الإفريقية . ولولا ذلك لهلـكت هذه المستعمرات الواحدة تلو الأخرى .

إلا أن ثمن هذه الحماية كان غالياً ، فقد سيطرت عليها قرطجنة سيطرة كاملة ، وضمتها إلى إمبراطوريتها الناشئة ، وذلك عند نهاية القرن السادس ق . م .

وفى العام ٥٢٠ ق . م . قرر دوريوس ، ابن ملك اسبارطة أناكساندريداس ، وكان قد تشاجر مع أخيه الذى خلف والده على العرش ، أن يهجر بلاده مع نفر من أتباعه ومريديه . وتمـكن بمساعدة سكان إحدى الجزر اليونانية « ثيرا Thera » ـ الذين كان رفقاؤهم قد استعمروا برقة فى ذلك الحين ونشروا فيها الثقافة اليونانية ـ أن يهبط فى طرابلس الغرب عنـد مصب نهر وادى الـكعام حيث أسس مستعمرة يونانية . إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها التوفيق ، إذ تمكن القرطاجيون بمساعدة إحدى القبائل الليبية (١) من طرد الغزاة وإلقائهم فى البحر .

إلا أن توسع القرطاجيين واستمرار نمو سيطرتهم على الأقاليم الطرابلسية أهاج

(١) وهى قبيلة الماكاى الوارد ذكرها فى الفصل الأول من هذا الـكتاب .

ثائرة المستعمرة اليونانية القوية «سيرين»[1] ـ المعروفة اليوم باسم شحات ـ وإحدى مدن العالم الإغريقى المعدودة فى ذلك العصر. وما لبثت أن اصطدمت القوتان فى نزاعهما على السيطرة والسيادة، واشتبك القرطاجيون فى قتال مدمر فى البحر والبر مع إغريق سيرين، إلى أن اتفق الطرفان، بعد أعوام من القتال العنيف، على إنشاء خط فاصل للحدود بينهما.

وقد ظلت اتفاقية الحدود هذه معمولا بها حتى قرب نهاية القرن الرابع ق. م. وقد نعمت طرابلس الغرب خلال هذه المدة بفترة هادئة تحت حكم القرطاجيين. إلا أن هذا الهدوء سرعان ما بدأ يضطرب عندما جهز الأسكندر المقدونى جيشاً لغزو قرطجنة عن طريق طرابلس، ولم يمنعه من ذلك إلا وفاته عام ٣٢٣ ق. م. ولم يكن وريثه فى مصر، بطليموس الأول، أقل أطماعاً من سيده. فأخضع برقة بقوة السلاح، ومد حدوده إلى سرت الواقعة على بعد ٢٢٠ ميل داخل الحدود الطرابلسية.

أما قرطجنة، التى كانت منهمكة إذ ذاك فى حرب طاحنة مع إغريق صقلية، فلم تجد القدرة على خوض حربين فى وقت واحد، ولذا لم تحرك ساكناً أزاء العدوان الإغريقى على حدودها الشرقيـة، إلى أن اضطرت لذلك بعد المحالفة التى عقدها أغاثوقليس ملك سرقوسة مع أوفيلاس الحاكم المقدونى لمدينة سيرين عام ٣٠٩ ق.م. وبموجبها سير الأخير جيشاً لغزو طرابلس وإخضاع قرطجنة، قوامه عشرة آلاف مقاتل، و ٦٠٠ فارس، و ١٠٠ عربة، ومعهم عشرة آلاف رجل وامرأة وولد لحمل العتاد والطعام، وبعد شهرين ونصف من خروجه من سيرين، تمكن أوفيلاس من الوصول بقواته إلى تونس، حيث تقابل مع قوات حليفة أغاثوقليس.

إلا أن نهاية قرطجنة لم تكن قد دنت بعد. فقد غدر ملك سرقوسة بحليفه وقتله غيلة، ثم بدأت الهزائم تتوالى عليه من القرطاجيين، الذين استجمعوا قوتهم

---

(١) نسبة الى إحدى آلهات اليونان، ومنها اشتق الاسم الأفرنجى لأقليم برقة Cyrenaica

آثار « لبـدة » الرومانية

[تصوير جناح]

وبدأوا يكيلون له الضربة تلو الأخرى ، حتى اضطروه للانسحاب إلى جزيرته يجر أذيال الخيبة . ثم انقلبوا إلى الشرق ، واستعادوا المناطق التي فقدوها حتى حدودهم السابقة . ويبدو أن قرطجنة سكرت بخمرة هذا النصر ، فعزمت على الاقتصاص من الصقليين في عقر دارهم ، وحالفها النجاح هذه المرة أيضاً حتى تمكنت من إخضاع الجزيرة بأسرها ، فيما عدا مدينة سرقوسة ذاتها . وبذلك بلغت قرطجنة أوج مجدها ، ووقفت على القمة ، فكان لابد لها بعد ذلك من الانحدار تدريجياً نحو الهاوية .

لقد ترك القرطاجيون المدن الطرابلسية استقلالها الذاتي ، ولم يتعرضوا لعادات السكان وأساليب معيشتهم مادامت مصالحهم مصونة ، وتجارتهم مكفولة ، وكان سكان المدن الفينيقية الثلاثة يعقدون اجتماعات سنوية لانتخاب رجلين توكل اليهما مقاليد الإدارة والقضاء ، يعاونهما مجلس مؤلف من أعيان المدينة . إلا أنه لم يكن يسمح لهذه المدن أو سواها بإنشاء الجيوش أو الأساطيل البحرية ، إذ كانت شئون الدفاع من اختصاص القرطاجيين وحدهم ، كما حرمت عليها التجارة مع أنحاء العالم الخارجي ، ومنعت السفن الأجنبية من دخول الموانىء الطرابلسية ، مما اضطر الأهالي للاعتماد على الزراعة في معيشتهم .

وإلى الفينيقيين يعود الفضل في إدخال زراعة أشجار الفاكهة إلى طرابلس ، إذ لم يكن ينمو فيها قبل مجيء الفينيقيين سوى النخيل . ومن الأنواع التي يعود الفضل في إدخالها طرابلس إلى الفينيقيين : اللوز ، والتين ، والخوخ ، والرمان ، والعنب ، والزيتون . الذي أصبح فيما بعد عماد الاقتصاد الليبي .

مملكة النوميديين :

كان الرومان قد بدأوا ، في منتصف القرن الثالث ق . م . يحلون محل الإغريق في سيطرتهم على العالم . وما لبثوا أن طردوا القرطاجيين من جزيرة صقلية (٢٦٤ — ٢٤١) ق . م .) ، ولكنهم لم يمسوا إمبراطوريتهم في أفريقيا .

إلا أن قرطجنة سرعان ما استعادت قوتها، وتمكن قائد القرطاجيين المشهور « هانيبال » من غزو إيطاليا ودحر الرومان ، ولكنه اضطر أخيراً إلى طلب الصلح بعد أن تمكنت قوات رومانية مضادة من الوصول إلى الشواطىء الأفريقية .

وفى أثناء الحرب أيضاً ، ثارت بعض القبائل بقيادة « ماسينيسا » ، زعيم النوميديين[1] ، الذى أعلن إنشاء مملكة نوميدية مستقلة . فسارعت روما للاعتراف بهذه المملكة الجديدة ، رغبة منها فى إضعاف شوكة القرطاجيين تمهيداً لأخضاعهم ، كما عقدت حلفاً مع الدولة الجديدة .

وقد اضطرت قرطجنة إلى قبول الأمر الواقع ، إلا أن « ماسينيسا » لم يقنع بهذا النصر ، وسير جيشاً لاحتلال طرابلس الغرب بأسرها . و بعد قتال دام أكثر من إثنى عشر عاماً ، تمكن من تنفيذ مآربه ، وضم إلى ملكه سائر الأقاليم الطرابلسية .

وفى سنة ١٤٥ ق . م ، تمكن الرومان من سحق القرطاجيين وتدمير مدينتهم بكاملها ، ولكنهم تركوا مملكة النوميديين قائمة تحت امرة خليفة ملكهم السابق ، الذى توفى قبل ذلك التاريخ بثلاثة أعوام . وفى عام ١١١ ق . م . نشبت ثورة داخلية فى المملكة ، تدخلت روما على أثرها ، واحتل جنودها المدن الطرابلسية لأول مرة ، ومن بينها لبدة وأويا وصبراته . إلا أنه لم يتم ضمها نهائياً إلى الإمبراطورية الرومانية إلا بعد خمسة وستين عاماً ، فى عهد يوليس قيصر .

العصر الرومانى :

بدأت البلاد تسترد من جديد بعض هدوئها المفقود ، وعادت موانيها تستقبل المراكب والتجار من جميع أنحاء العالم المعروف . فبدأت التجارة تزدهر فى الموانىء

(١) من القبائل الليبية القديمة ، ولعلهم من البربر ، سكان البلاد الأصليين .

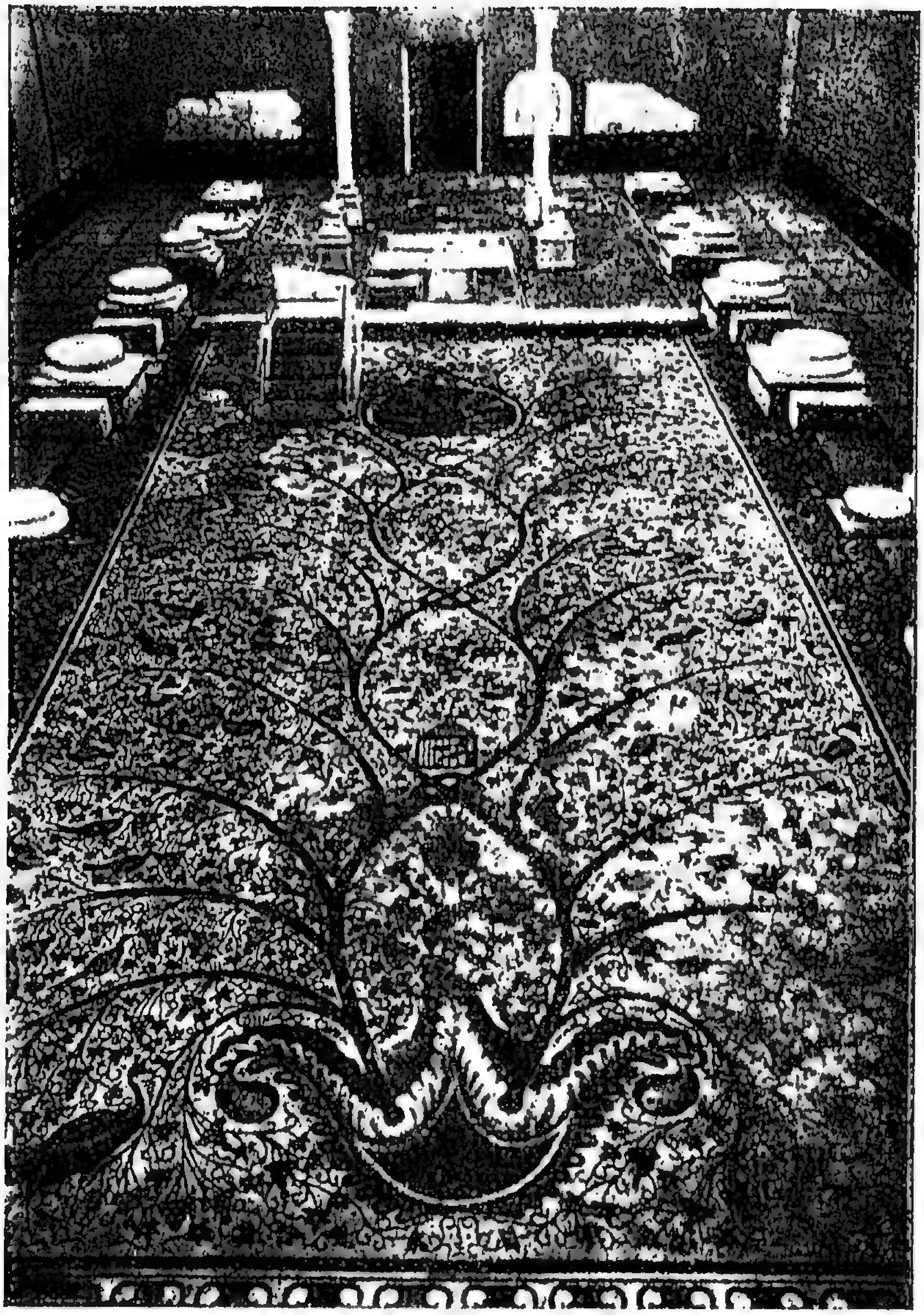

قاعة البازليكا – صبراته (العصر الرومانى)

[تصوير جناح]

الطرابلسية ، وتحولت المدن الفينيقية القديمة إلى مدن رومانية بمعابدها ومسارحها وأسواقها ومنازلها التى بنيت كلها على الطراز الرومانى . كما انتشرت المزارع والمساكن فى سائر أنحاء البلاد ، وازدهرت الزراعة عن طريق الوسائل التى استحدثها الرومان للرى وضبط المياه .

ومع أن طرق المعيشة الرومانية قد انتشرت بين السكان ، إلا أن الرومان لم يفرضوها على الفينيقيين(١) . فظلت مدنهم تتمتع باستقلال داخلى مستمد من اتفاقية عام ١١١ ق . م . وكانت هذه المدن ، حتى زمن القيصر تيبيريوس Tiberius ، (١٤ — ٣٧ م) لاتزال تقوم بسك نقودها . وحتى بعد أن جردت من هذا الحق ، ظلت تنتخب قضاتها وحكامها . وكانت اللغة الفينيقية لغة رسمية إلى جانب اللغة الرومانية ، كما ظلت لغة التخاطب بين أهلها حتى الفتح الإسلامى .

و بينما كان السكان يجنون ثمار هذا الهدوء ، كانت بعض القبائل القوية الضاربة فى الجنوب تستعد للانقضاض على حكم الرومان ، فى محاولة لاستعادة ملك النوميديين الضائع . وما لبثت هذه القبائل أن وجدت فرصتها سانحة عندما نشبت الثورة فى نوميديا ذاتها ، فألقت فيها برجالها وسلاحها ، إلا أن الرومان استطاعوا إخضاع الثائرين حوالى عام ٢٠ ق .م ، وتمكن قائدهم « كورنيليوس بالبوس» من احتلال غُدامس إحدى مدن الغارامنتيين الهامة ، ومنها سار جنوباً إلى فزان ، مستولياً على عدة مدن ومواقع هامة ، حتى قضى نهائياً على الثورة باحتلاله « جرما Germa » عاصمة الغارامنتيين . أما بالبوس ، فقد عاد إلى روما ليحتفل بهذا النصر .

إلا أن الهزيمة لم تزد الغارامنتيين إلا عناداً و إصراراً على طرد الرومان ، فاستمرت

---

(١) لم يتعرض الرومان لعقائد الأهليين وعباداتهم ، فظل الليبيون يعبدون إلههم « آمون » ، بينما كان الرومان يعبدون الاله « جوبيتر » ، والفينيقيون الاله « بعل » والاله « باكوس » ، الذى اشتهر بأنه إله النبيذ .

ثوراتهم بعد ذلك . ولكن الرومان تمكنوا من إخضاعهم مرة أخرى (عام ٢٤م) ، وذهب وفد منهم إلى روما لطلب العفو من الإمبراطور .

وكان يبدو أن السلام سيخيم فوق طرابلس الغرب بعد هذه الهزيمة ، إلا أن ثورة داخلية نشبت على الحدود بين مدينتى لبدة LePtis وأويا Oea عام ٦٩ م ، تطورت بعد ذلك إلى حرب قطية بين المدينتين . فلما وجدت أويا أن غريمتها تتفوق عليها فى الرجال والعتاد ، استنجدت بالغارامنتيين الذين سارعوا إلى تلبية النداء ، وانقضوا على لبدة فخربوا أراضيها ، وضربوا الحصار على المدينة ذاتها . وفى هذه الظروف ، استنجدت لبدة بالحاكم الرومانى ، الذى تمكن بعد قتال عنيف من فك الحصار وإبعاد الثائرين إلى الجنوب .

وهذه الحادثة ، أى محاربة المدن الطرابلسية الواحدة للأخرى ، تدل على الحرية المدهشة التى كانت تتمتع بها هذه المدن . وربما دلت أيضا على سياسة الرومان التى استنها أحد رجالهم فى ذلك العصر ، وهى سياسة «التفرقة والحكم divide et impera» ، ولعل مما يرجح القول الأخير ، أن القائد الرومانى لم يوقع عقوبة ما بمدينة « أويا » ولكنه وجه همه نحو ملاحقة الغارامنتيين وتقتيلهم . ويظهر أن الكارثة التى لحقت بالغارامنتيين كانت ثقيلة ، إذ لم يعد يسمع عنهم ، اللهم إلا عندما اشتركوا مع الجيش الرومانى فى غزو إفريقيا الوسطى ، كحلفاء .

والقبيلة الأخرى التى أقضت مضاجع الرومان مدة طويلة هى قبيلة الناسامونيين التى كانت تسكن الجزء الشرقى من إقليم طرابلس الغرب . ومن أهم ثورات هذه القبيلة ، تلك التى قامت بها أثناء حكم الإمبراطور الرومانى دوميتيان (٨١ — ٩٦م) ، إذ قتلت عدداً من الموظفين الذين أرسلهم الرومان لجباية الضريبة ، ورفعت راية العصيان . فلما سير الرومان جيشا لمقاتلتهم وإخضاعهم ، تمكن الناسامونيين من قهر هذا الجيش واحتلال معسكراته برمتها . إلا أنهم بدلا من ملاحقة الرومان

المهزومين ، انصرفوا إلى الاحتفال بالنصر والتهام كميات الطعام والنبيذ التي وجدوها في المعسكرات . فلما كرت عليهم فرق جديدة من الرومان عجزوا عن المقاومة الجدية ومنذ ذلك التاريخ وهم يدفعون الضريبة بانتظام للسادة الرومانيين .

وهكذا ما إن شارف القرن الأول الميلاد على نهايته ، حتى كان الرومان قد أتموا إخضاع طرابلس الغرب بأسرها ، بما في ذلك إقليم فزان .

وكان القرن الذي تلى ذلك ، فترة طويلة من الهدوء والاستقرار ، ولم تعكر صفوه حادثة واحدة . وكانت قوافل التجارة المحملة بالبضائع الثمينة تصل إلى الشواطىء في يسر وسهولة . وقد وجد الطرابلسيون في روما سوقاً رائجة لبضائعهم ، خصوصاً الحيوانات المفترسة التي كانت المسارح الرومانية (الأمفيتياتر) بحاجة مستمرة لها . بل إن المحصولات الزراعية التي كانت تفيض على حاجة السكان كانت تصدر أيضاً إلى روما ، ومن أهمها الزيتون الذي كان الرومان يستوردونه بكثرة والزيت .

ولعل هذا النمو الاقتصادي السريع هو الذي جعل الإمبراطور الروماني تراجان (٩٨ — ١١٧ م) يرفع مرتبة المدن الثلاثة إلى مصاف « المستعمرات الرومانية » ، وبذلك أصبح لسكان هذه المدن ما لسكان روما أنفسهم من الحقوق والامتيازات ولعل أسطع برهان على ازدهار ذلك العصر ، تلك الآثار التي نشاهدها اليوم ، ناطقة على حضارة رفيعة ومستوى عال من الرقي ، وكثير منها يرجع إنشاؤه إلى هذه الفترة بالذات . فإن الحمامات الكبرى في لبدة ، وهي أفخم ما عرف من نوعها ، تم إنشاؤها عام ١٢٧م ، كما إن مسرح صبراته وأكثر من ربع المدينة بني في القرن الثاني الميلاد . ومع أن «أويا» قد تلاشت منذ مدة طويلة وحلت مكانها تريبوليس [1] — أي المدن الثلاثة — إلا أن الأثر الروماني الوحيد الباقي في هذه المدينة ، وهو قوس النصر في المدينة القديمة ، والمعروف بقوس ماركوس أوريليوس ، شُيد في هذا القرن أيضاً.

---

(١) ومنه اشتق اسم طرابلس الحديث .

إلا أن فترة الهدوء هذه بدأت تضطرب عندما نشبت الحرب الأهليـة فى الإمبراطورية الرومانية عام ١٩٣م بسبب التنـافس على وراثة العرش . وبعد خمس سنوات ، تمكن قائد فى الجيش الرومانى من أبنـاء مدينة لبدة ، يدعى سبتميوس سيفيروس Septimius Severus من تنصيب نفسـه إمبراطوراً ، وقضى الأربع سنوات التـالية فى قهر منافسيه حتى استتب له الأمر نهائيا . وقد أقام سبتميوس سلسلة من القلاع ووصل بينها بطريق يسير بمحاذاة « رأس الجبل » على هيئة قوس عظيم يمتد من لبدة إلى قابس فى تونس . وبالإضافة إلى هذه الحصون السـاحلية ، أنشأ سبتميوس قلاعا أخرى فى أنحاء متفرقة من الدواخل ، مثل بونجم وغيرها . وبعد وفاته ، أتم ابنه وخليفته الـكسندر سيفيروس بنـاء هذه الخطوط الدفاعيـة (٢٢٢ — ٢٣٥) ، ووضع فيها جنوداً أكثرهم من الليبيين .

ولم ينس سبتميوس ، فى غمرة الأحداث، مسقط رأسه . فأعفى سكان لبدة من دفع الضرائب بأنواعها ، وشيد فيها كثيراً من آثارها التى مازالت قائمة حتى اليوم . ورداً على هذا الصنيع ، كان سكان تلك المدينة يتبرعون كل عام بكمية كبيرة من زيت الزيتون لتوزيعها على فقراء روما . إلا أن هذا « التبرع » أصبح عبئا ثقيلا على المدينة فيما بعد ، عندما أصر القياصرة الذين تلوا سبتميوس ، على الحصول على كمية زيت الزيتون كاملة كل عام .

إلا أن الضياء الذى ألقى سناه على طرابلس الغرب عند بداية القرن الثـالث الميلاد ، كان يأتى من شمس غاربة . فقد قتل الـكسندر سيفيروس ولما ينقضى أكثر من ثلث قرن على اعتلاء والده عرش الامبراطورية الرومانيـة ، وبقتله وقعت الامبراطورية فريسة الحروب الداخلية ، وبدأت غزوات البرابرة تزعزع أركانهـا من الشمال . وعندما منح ديوقليشيان (٢٨٤— ٣٠٥) إقليم طرابلس الغرب حق الاستقلال الذاتى وأسماه « مقاطعة طرابلس » Provincia Tripolitana لم يأت ذلك

نأية فائدة للبلاد ، ذلك أن الضرائب كانت قد سحقت الفلاحين وحولتهم إلى عبيد فى المزارع الكبيرة ، وكانت أمراض المدنية الرومانية قد تأصلت فى نفوس الناس إلى الحد الذى لم تعد تجدى معه إصلاحات دستورية أو إسمية . وقد وصف القديس سبريان ، وهو نفسه أفريقى حالة الامبراطورية فى ذلك الوقت بقوله : « إن العالم نفسه يقترب الآن من نهايته بدليل فشل عناصره وقواه الطبيعية ، فلم تعد الأمطار تسقط فى الشتاء لإنبات البذور ، وحتى الصيف لم تعد له الحرارة الكافية لانضاجها . وقلت كميات الرخام المستخرجة من الجبال ، ونفذت مناجم الذهب والفضة . الفلاح يهرب من الحقول ، والملاّح من البحر ، والجندى من المعسكر ، كما هربت العدالة من المحاكم ، وفقدت روح الصداقة بين الناس ، والمهارة عند الفنانين » .

أما طرابلس ، فقد شاركت بنصيبها كاملا فى هذه المحن . وزاد الطين بلة قيام الثورات الداخلية ، أشهرها ثورة عام ٣٦٣م ، عندما هاجمت جماعة من الأستوريين (وهم من أصل غير معروف ولعلهم جاءوا إلى طرابلس من الجنوب) مدينة لبدة ، فنهبوها وأحرقوا المزارع التى حولها ، وقتلوا سكانها وأخذوهم أسرى .

ولعل من أهم دلائل انحلال الامبراطورية الرومانية وقربها من النهاية ، أن القائد الرومانى فى شمال إفريقيا ، رفض أن يحرك ساكناً إزاء هذا الاعتداء ، وحتى الامبراطور الرومانى نفسه فالنتيسان الأول ، لم يفعل شيئا عندما أرسلت له المدن الطرابلسية الثلاثة وفداً لطلب الحماية ضد هجمات القبائل المغيرة ، سوى إرسال « لجنة تحقيق » ! وقد شجع هذا التصرف رجال القبائل على التمادى فى عدوانهم على السكان ، فعادت قبائل الأستوريين إلى الهجوم على لبدة عام ٣٦٥ م ، ثم انقلبت إلى المدينتين الباقيتين أويا وصبراته ، وأتلفتها إتلافا يكاد يكون تاماً ، ونهبت كل ما فيها .

وبينما كان رجال القبائل يغيرون على المدن الطرابلسية ويضربونها بشدة ، كان

النزاع الديني يمزق وحدة السكان في الداخل ، أثر اعتراف الرومان الرسمي بالدين المسيحي عام ٣١٣م . فقد أخذ الدين المسيحي يتسرب شيئا فشيئاً إلى السواحل الإفريقية ، بينما قاومه البعض الآخر من السكان . وقد أدى هذا النزاع ، في النهاية ، إلى الصدام المسلح بين الفريقين ، حين هاجمت فرق من المسيحيين تعرف باسم « المطهرين » " Circumcelliones " بلدان شمال إفريقيا ، وأعملت فيها القتل والحرق والسلب ، تحت ستار الدين ، مرددة هتافها المأثور « المجد لله ». وقد وجد أولئك المسيحيون الأرض ممهدة في طرابلس التي مزقتها الحروب وأنهكتها الفوضى فزادوا في آلامها ونشروا الذعر ، عوضا عن الفضيلة ، بين السكان .

* * *

لقد أشرفت الإمبراطورية الرومانية على نهايتها ، وآن لشمسها أن تزول . ففي العام ٤٢٩م . دعا حاكم شمال إفريقيا الروماني ملك الفندال ، جنسريك ، لاحتلال البلاد لخلاف بينه و بين الامبراطورة بلاسيديا . ولم يكن جنسريك بحاجة إلى هذه الدعوة ، فقد كان طامعا منذ زمن بإحتلال شمال إفريقيا ، ولم يلبث أن سار إليهم على رأس جيشه . فلما استتب له الأمر في هذه البلاد طرد منها حاكمها الروماني الذي استنجد به ، وبخروجه انتهت سيطرة الرومان على شمال إفريقيا عام ٤٣٠ م .

الفاندال والبيزنطيون :

كان الفاندال برابرة[1] بسطاء ، شقر الشعور ، بيض البشرة ، وقد اشتهروا بميلهم الشديد إلى الخمر والنساء والغناء ، حتى أصبحت هذه الأشياء علماً عليهم

---

(١) أطلق عليهم هذا اللفظ نظراً لأعمال الهدم والتخريب التي ارتكبوها أثناء زحفهم على أوربا ، وعرفوا به في عصور التاريخ . وهو غير إسم « البربر » الذي أطلق على سكان شمال إفريقيا الأصليين

وقد أقام الفاندال ملكهم في إسبانيا قبل احتلالهم شمال إفريقيا ، فأصبحت تلك البلاد تعرف باسم « فاندالوسيا » ، ومنها اشتق اسم « الأندلس » الذي أطلقه العرب على إسبانيا .

آثار لبدة — العصر الرومانى

| تصوير جناح |

في التاريخ . وكانوا قبل تأسيس مملكتهم في شمال إفريقيا تابعين — نظرياً — للدولة الرومانية . فلما فتحوا هذه البلاد ، بقيادة جنسريك ، لم يجدوا فيها ما يغرى على ضمها واستثمارها ، ولذا فإنهم لم يضموها إلى ملكهم نهائيا إلا بعد ٢٥ عاما من نزولهم فيها . وحتى آنذاك ، فقد اكتفوا بأن يتركوا فيها حامية صغيرة لا تكاد تصلح المحافظة على الأمن في الداخل .

كانت طرابلس لا تزال تعانى آثار الفوضى وسوء الإدارة التى خلفها فيها الرومان في أواخر عصرهم . وكانت قواعد الصحة العامة والنظافة قد نسيت كلها أو أهملت ، حتى أن قساوسة النصارى أنفسهم لم يمنعوا أتباعهم من دفن موتاهم في الميادين والشوارع العامة ، بل في أى مكان آخر في المدينة .

وهكذا ، وجد أولئك المحاربون الخشنون ملاذاً لهم في قرطجنة ، التي سميت « بالمدينة الشريرة » نظراً لكثرة ملاهيها ، وحياتها الليلية الفاجرة . وقد ذكر المؤرخ الرومانى « بروكوبيوس » Procopius « كيف أن الفاندال ، وهم في الأصل برابرة على الفطرة لم يتذوقوا الثقافة اليونانية أو الرومانية ، سرعان ما انغمسوا في اللذات والحياة الصاخبة . فكانوا كما قال المؤرخ المذكور ، يبالغون بالاستحمام كل يوم ، ويتناولون طعامهم على موائد حوت أشهى الأطعمة البرية والبحرية . وكانوا يرتدون أفخر الملابس ويزينونها بالذهب الكثير ، ويرتادون المسارح وأماكن اللهو الأخرى ، ويذهبون للصيد والقنص . وكان أكثرهم يقيم في الحدائق الكبيرة ، حيث المياه الغزيرة ، والأشجار الظليلة . وكانت جميع أنواع اللذة الجنسية شائعة بينهم شيوعاً كبيراً » .

وقد عقد المؤرخ المذكور مقارنة بين هذا البذخ الفاجر وحالة السكان الأصليين في ذلك العصر . فذكر أن الليبيين كانوا « يقيمون في الأكواخ البسيطة ، أما الأغنياء منهم ، فكانوا يفرشون أرضها بجلد الخراف . وفضلا عن ذلك ، لم يعتد

السكان على تغيير ملابسهم بتغير الفصول ، بل كانوا يلبسون عباءة ثقيلة ، وقميصاً خشناً ، على مدار فصول السنة » .

أما الرومان ، الذين ظلوا كرعايا تحت حكم الفاندال ، فكانوا يحتقرونهم ، ويسمونهم « الوحوش الشقراء » . إلا أنه لا يوجد فى التاريخ ما يثبت أن الفاندال ارتكبوا فى شمال إفريقيا مثل ما ارتكبوه فى أوربا من اعتداء وتدمير وتخريب . ولعل رقة الثقافة الأوربية ، إلى جانب دفء الشمس الإفريقية ، قد هذبت من طباعهم ، وأزالت من نفوسهم نزعة الهدم والتخريب . ولكنهم – من الناحية الأخرى – لم يحسنوا حكم هذه البلاد أو المحافظة عليها ، كما إنهم لم يحاولوا الدفاع عنها ضد العدو الجديد ، الذى أخذ يدق أبوابها من ناحية الشرق .

كانت بيزنطة ، وريثة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، تطمع فى استعادة مجد روما الغابر ، بما فى ذلك استعادة المستعمرات الرومانية المفقودة فى الغرب . ولم تجد الحملة التى سيرتها عام ٤٦٨ م . بقيادة هرقل صعوبة فى طرد الفاندال الذين أخذت قواتهم فى الإنحلال ، من طرابلس الغرب ، إلا أن هزيمة أسطول البيزنطيين الذى أرسلوه فى نفس الوقت لاحتلال تونس ، أجبرت هرقل على الانسحاب بعد ثلاث سنوات ، ولم يجرب البيزنطيون تكرار المحاولة إلا بعد ستين عاماً . أما الفاندال فقد رفضوا أن يستعبروا بالحوادث ، وظلوا على إهمالهم لهذه البلاد ، مما شجع القبائل الداخلية على الثورة ومهاجمة المدن الساحلية من جديد . وقد تلقت لبدة القسط الأكبر من حدة هذا الهجوم ، فدمرت المدينة تدميراً تاماً ، وهجرها كل سكانها .

كانت إمبراطورية الفاندال آيلة إلى السقوط إذن عندما جرد جوستنيان ، إمبراطور بيزنطة ، حملة لإخضاع شمال إفريقيا عام ٥٣٣ م ، وضمها إلى الدين الكاثوليكى . ولم تلاق هذه الحملة ، كسابقتها ، مقاومة تذكر من الفاندال . فأتم البيزنطيون احتلال البلاد ، وانتهت سيطرة الفاندال عليها إلى الأبد .

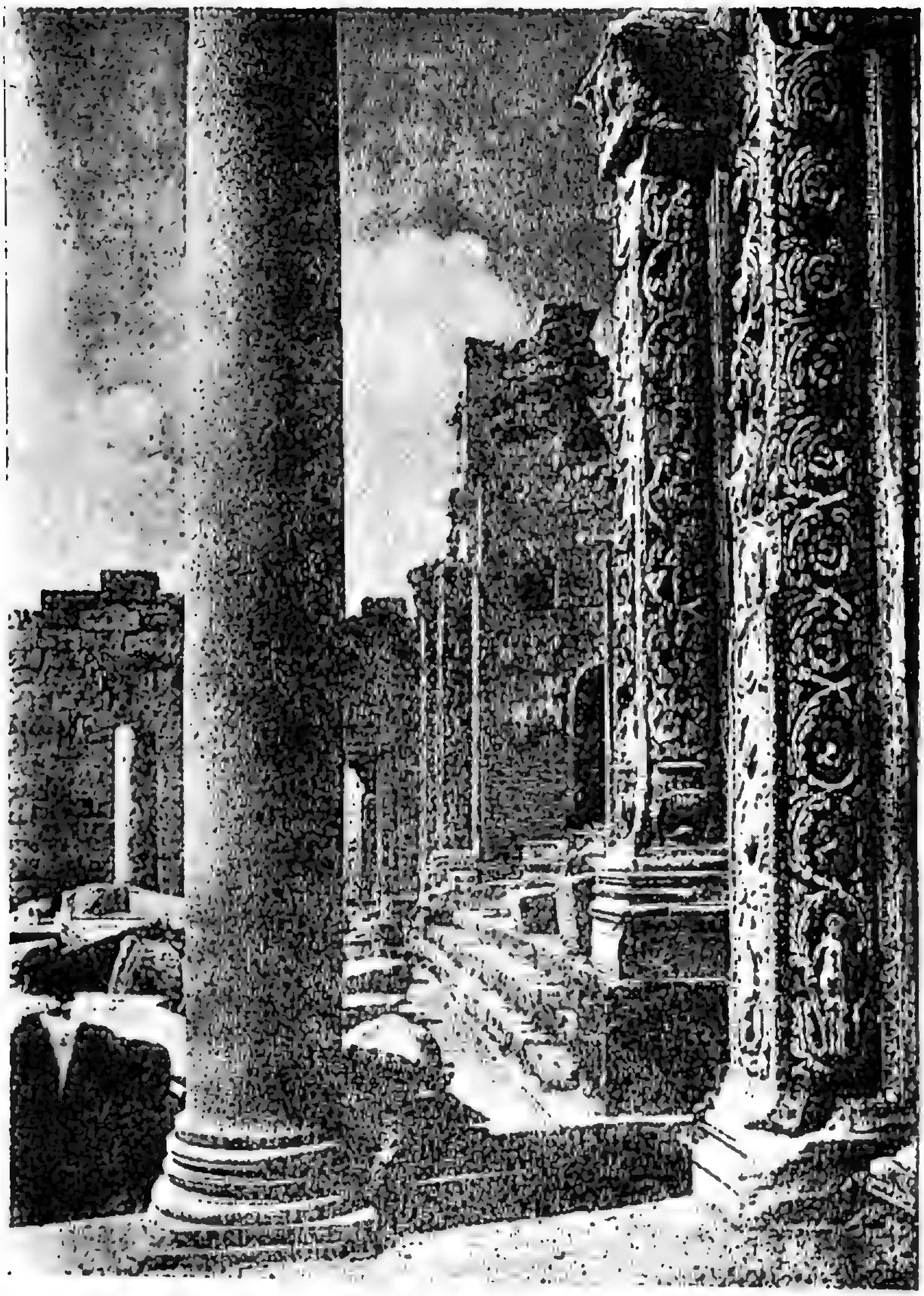

جانب من آثار لبدة — العصر الرومانى

[تصوير جناح]

إلا أن هزيمة الفاندال لم تكن فى الواقع إلا إيذاناً ببدء المتاعب للبيزنطيين . فقد ثارت عليهم القبائل وقامت البلاد قومة رجل واحد محاولة طرد الغزاة . غير أن البيزنطيين تمكنوا من إخضاعهم فى النهاية ، وأجبروهم على الطاعة .

ولكن السلام لم يطل هذه المرة أيضاً ، إذ بينما اجتمع ٨١ زعيما من القبائل الطرابلسية فى مدينة لبدة لتقديم ولائهم للقائد سرجيوس المعين حاكماً عسكرياً على طرابلس الغرب ، إذ بالجنود ينقضون عليهم من كل صوب ، حتى ذبحوهم إلا واحداً استطاع أن ينجو بنفسه حياً (١) . وقد كانت هذه الخيانة نذير ثورة عامة فى البلاد ، إذ هاجت القبائل عند بلوغها النبأ ، وحاصرت لبدة بقيادة الزعيم « ليواثا » . وفى المعارك التى تلت ذلك قتل سرجيوس نفسه ، وكان لهيب الثورة فى هذه الأثناء قد امتد إلى نوميديا وتونس ، فقامت هذه البلاد تقاتل المحتلين ، ولم يحل دون طرد البيزنطيين من شمال إفريقيا بأسرها إلا وقوع القبائل فى خلافات داخلية ، فتت فى عضدها ، وأعطت القائد البيزنطى الجديد « جون تروغليتا » الفرصة لإخضاعهم مرة أخرى .

وقد تلى هذه الثورات قرن من الهدوء ، انصرف البيزنطيون خلاله إلى تنظيم الشئون الداخلية للبلاد ، ونشر الدين الكاثوليكى . إلا أن إصلاحات البيزنطيين ومجهوداتهم لم تكن كافية لأن تعيد إلى طرابلس الغرب أكثر من ظل ضئيل من مجدها الغابر .

وكانت الضرائب التى فرضها البيزنطيون على السكان تثقل كاهلهم ، كما إن الجزء الأكبر من البلاد كانت قد دمرته الحروب والثورات المتعاقبة . فأهملت الأرض وخلت المدن من جزء كبير من سكانها، وضعفت التجارة حتى أوشكت أن تتوقف . وفى هذه الحال، وجد العرب المسلمون البلاد ، عندما جاؤها فاتحين عام ٦٤٣ م .

(١) ما أشبه ذلك بمذبحة المماليك فى قلعة القاهرة !

الفصل الثالث

من الفتح الإسلامى

إلى قيام الدولة الفاطميــــة

بينما كانت هـذه الأحداث جارية فى طرابلس الغرب ، والبيزنطيون يحاولون نشر الدين المسيحى وترسيخه ، كانت الجزيرة العربية مسرحاً لنوع آخر من الحوادث . إذ بينما كانت الدولة البيزنطية سائرة فى طريق البلبلة والتفكك ، والتذمر يعم طبقات السكان ، إذ برجل يظهر فى جزيرة العرب ، داعياً قومه إلى الوحدة ، والتوحيد ونبذ الشرك ، ناشراً بينهم فضائل الدين الجديد الذى أرسله الله به هادياً ومبشراً ونذيراً .

وما هى إلا بضع سنوات حتى كان الإسلام قد عم الجزيرة العربية كلها ، ودانت لمحمد صلوات الله عليه ، القبائل العربية برمتها . فلما اختاره الله إلى جواره الأكرم كان المصطفى قد أتم تبليغ رسالته ، ورضى لقومه الإسلام دينا .

إلا أن الإسلام لم يكن خاصاً بقوم ، ولم يبعث الله رسوله للعرب وحدهم — (إنا أرسلناك رحمة وهدى للعالمين) ، ولكن شاءت حكمة الله أن توكل إلى العرب دون غيرهم مهمة احتضان هذا الدين ونشره ، وشاءت حكمته تعالى أن يصطفى من بين العرب محمداً ليقوم بتبليغ رسالته . وهكذا ، ما إن حمل اللواء بعد قبض الرسول خلفاؤه الكرام ، حتى أخذوا ينشرون رسالة الإسلام ، ويسعون لتدعيم سلطانه فى البلاد المجاورة للجزيرة . وفى سنوات قليلة ، تمكن أولئك المجاهدون الصابرون ، على قلة عددهم ، من إخضاع كافة الأقطار المجاورة لجزيرتهم ، ففتحوا سوريا وفلسطين والعراق وفارس ومصر ، وساعدهم على ذلك تذمر الأهلين بسبب الفوضى وسوء

الإدارة الضاربة أطنابها فى تلك البلاد . فكان السكان يستقبلون العرب ويمهدون لهم السبل حتى تمكنوا ، فى أقل من عشر سنوات ، من تقويض دعائم الممالك المجاورة وثلّ عروشها ؛ و إحالة الفوضى والاضطراب فيها إلى نظام وطمأنينة واستقرار .

وبعد أن تمت الغلبة للعرب فى مصر ، واستتب لهم الأمر فيهـا ، وجهوا أنظارهم نحو شمال إفريقيا ، حيث كان لايزال يسيطر البيزنطيون . وكان لا بد من احتلالهم لهذه البلاد للقضاء نهائيا على هـذه الدولة أو إضعافها إلى الحد الأدنى . ففى الوقت الذى أخذ العرب يستعدون للهجوم على مستعمراتها الإفريقية ، جهزوا جيشاً آخر ليضربوا به قلب الدولة البيزنطية من ناحية الشرق .

وهكذا ، زحفت جيوش العرب على إفريقيا من مصر بقيادة فاتحها عمرو بن العاص فى زمن خلافة عمر بن الخطاب ، ولم تكن برقة فى حالة تمكنها من الدفاع عن نفسها ، فصالحته سنة ٢٢ هـ (٦٤٢ م) على جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار ، وشرط أهلها أن يبيعوا من أولادهم من أرادوا بيعه فى جزيتهم[1] . فلما فرغ ابن العاص من احتلال برقة سار إلى طرابلس فحاصرها وعسكر بجنوده على الهضبة التى تعرف اليوم بهضبة الشيخ الشعاب (وهى واقعة على مسيرة نصف ساعة إلى الشرق من طرابلس) . وبعد ثلاثين يوما من الحصار، لم تكن عزائم المدافعين عنها قد تزعزعت ، ولم يبد أن المدينـــــة على وشك التسليم ، ولذا كم كان سرور المسلمين عظيما عندما اكتشفوا ثغرة بين البحر والمدينة من الناحية الغربية ، فكبّروا بصوت واحد ارتجت له الأرض ، وأطبقـوا على المدينـة ، فانخلعت قلوب البيزنطيين ، وفر من أفلت منهم فى سفنهم ، الراسية فى الميناء بمواجهة المدينة .

وقد سهل فرار الأهلين إلى الجبال احتلال عمرو بن العاص لجميع أطراف المدينة . فلما تم له ذلك ، أرسل ابن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى فتح المغرب ولكن الخليفـة لم يأذن له ، فبقى فى طرابلس ينظم أمورها وبنى فيها أول مسجد

(١) المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب للنائب ، الجزء الأول .

إسلامى وهو الذى يقوم مكانه الآن جامع احمد باشا . و بعد أن اطمأن إلى استقرار الأمور ، عاد إلى مقر ولايته بمصر ، وظل فيها إلى أن عزله عثمان بن عفان عام ٢٥هـ (٦٤٥م) موليا مكانه أخاه فى الرضاع عبد الله بن أبى سرح .

جاء عبد الله إلى طرابلس على رأس قوات جديدة[١] ، ومعه تكليف من الخليفة بفتح تونس ، جاعلا له إن أفلح خمس الخمس من الغنائم . وكان فى جيش أبى سرح عدد من الصحابة وأبنائهم ، نذكر منهم عبد الله بن عمر ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير وعقبة بن نافع وغيرهم . و بعد أن استراحوا قليلا بمدينة طرابلس ، بدأوا زحفهم على تونس ، فقابلهم البيزنطيون فى جيش لجب من ١٢٠ ألف مقاتل على أبواب عاصمتهم « سبيطلة » ، بينما لم يزد عدد جيش المسلمين على عشرين ألفا ، ونشبت بين القوتين غير المتكافئتين معركة طاحنة ، أذن فيها الله بالنصر للمسلمين ، وتبدد جيش البيزنطيين على كثرتهم وقتل أميرهم المدعو « جريجور » وانتشر المسلمون بعد هذه الموقعة فى الأرض يجمعون الغنائم والسبايا ، حتى صالحهم السكان على ثلاثمائة قنطار من الذهب ، بشرط أن يرحلوا عن بلادهم . ولأمر ما ، قبل عبد الله بن أبى سرح هذا الشرط ، وأمر جنوده بالانسحاب إلى المشرق ، بينما قفل هو راجعا إلى مقر ولايته فى مصر[٢] .

---

(١) قيل أن عددها بلغ عشرة آلاف مقاتل ، ثم أمده الخليفة بعد ذلك بقوات أخرى .

(٢) قيل إنه لما اقترب القتال ، أخرج جريجور ابنته ، فألبسها حليها وثيابها وأسفر عن وجهها ، وكان عدد خدمها اللاتى صعدن معها أربعين خادما . فقال جريجور موجها الخطاب لرجاله : « أتدرون من هذه ؟ » فقالوا : « نعم ياسيدنا ، هذه إبنة الملك ، وهؤلاء خدمها » . فقال لهم : « وحق المسيح والنصرانية ، لايقتل أحدكم عبد الله بن سعد إلا زوجته إبنتى وسقت إليه مامعها من الحلى والخدم ، وأنزلته المنزلة التى لايطمع فيها أحدكم عندى ! » . فلما انتهى إلى عبدالله ابن سعد ــ أمير الجيش ــ مافعله جريجور ، نادى فى عسكره ، وأخبرهم بالذى كان من جريجور ، ثم قال لهم : « وحق محمد رسول الله ، لا يقتل أحد منكم جريجور إلا نفلته (وهبته) إبنته وما معها ! » . ثم زحف بمن معه من المسلمين .

وذكر أيضاً أن إبنة الملك أشرفت على العرب فى معسكرهم ، فاستقلت عددهم ، وقالت لأبيها : =

فلما تولى معاوية إمارة المسلمين ، جاعلا عاصمته فى دمشق . أمر بإرجاع عمرو بن العاص إلى ولاية مصر وشمال إفريقيا . فعين عمرو ابن خالته عقبة بن نافع نائبا عنه فى طرابلس وتونس (عام ٤١ هـ .) . وفى عهده ثارت قبائل برقة وفزان وغدامس وارتدت عن الإسلام . فحاربها عقبة وأثخن فيها إلى أن رجعت للدين والطاعة ، ولكن إلى حين .

أما هرقل ، ملك بيزنطة ، الذى كان يؤدى إليه أمراء النصارى وملوكهم فى إفريقيا ومصر والأندلس الخراج كل عام ، فقد عز عليه أن يفقد هذه الأموال التى كانت تنساب إلى يديه من المستعمرات الإفريقية ، ولذا أرسل أحد بطارقته إلى شمال افريقيا وأمره أن يأخذ من أهلها مثلما يأخذ المسلمون . فنزل البطريق فى قرطاجنة ، وجمع أهل إفريقيا وأخبرهم بما أمره به سيده . ولكن السكان أبوا دفع الجزية مرتين ، وكان قد قام بأمر البيزنطيين فى إفريقيا بعد قتل أميرهم السابق رجل آخر خشى وقوع الفتنة ، فطرد البطريق وأمره بالعودة من حيث أتى . ولكن البطريق بدلا من أن يعود إلى هرقل فى القسطنطينية ، ذهب إلى معاوية فى دمشق حيث زين له إرسال جيش لمحاربة البيزنطيين فى شمال إفريقيا وطردهم نهائياً من هناك . فاستجاب معاوية لهذا الطلب وأرسل مع البطريق جيشاً من المسلمين بقيادة معاوية بن حديج السكندى سنة ٤٠ هـ . فلما وصلوا الإسكندرية توفى البطريق ، ومضى ابن حديج حتى وصل إلى إفريقيا بعد خمس سنوات فوجدها ناراً تضطرم . وما أن بلغ العرب إمارة البيزنطيين فى تونس حتى

= « لاتسرع فى قتل هؤلاء ، واعطنى إياهم ! » ، فقال : « لقد أعطيتكيهم » فالتقى الجيشان وهى تنظر حتى هزم الله الروم ، وقتل أبوها أمام عينيها . فلما رأت العرب يتنازعون بعد المعركة ، قالت : « ما للناس يتنازعون ؟ » . فقيل لها : « فى قتل أبيك » . فبكت وقالت : « قد رأيت الذى أدركه وقتله » . فسألها عبدالله بن سعد : « وهل تعرفينه ؟ » . قالت « إذا رأيته عرفته » . وأخذ عبد الله بن سعد جنوده بالعرض ، فمروا بين يديها وهى تنظر ، حتى مر عبد الله بن الزبير ، فقالت : « هذا هو قاتل أبى ! » . فقال له عبدالله بن سعد : « كتمتنا يا أبابكر قتلك إياه ! » . فنفله ابن أبى سرح ابنة الملك .

وجدوا أمامهم جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل . فاستنجد حديج بمعاوية ، ولما أنجده كرّ على البيزنطيين يقاتلهم حتى حصر فلولهم فى قلعة (جلولا) . ولم يشأ حديج الإنتظار ، فاقتحم الحصن عنوة بعد هدم أسواره ، واغتنم كل ما فيه . و بعد هذا النصر عاد حديج إلى مصر ، جاعلا طرابلس تحت إمرته ، بينما ظلت برقة وزويلة (فى الجنوب الشرقى) تحت إمرة عقبة ابن نافع .

وفى سنة ٤٢هـ (٦٦٢م) توفى عمرو بن العاص فى مدينة الفسطاط التى أنشأها قرب القاهرة (وتعرف اليوم باسم المدينة القديمة) ودفن فيها . ويقوم على قبره اليوم جامع عظيم يعرف باسمه . و بعد مرور ثمانى سنوات ، اقتطع معاوية إقليم طرابلس الغرب وتونس من معاوية بن حديج ، وضمها إلى عقبة بن نافع ، و بذلك أصبح عقبة ولياً على الشمال الإفريقى بأسره ، مرتبطاً بالخليفة فى مصر مباشرة .

لقد كان عقبة من الصحابة الصالحين[1] ، وفى عهده تمتعت البلاد بالعدل والطمأنينة ، فمنح أهلها حرية العبادة والعمل ، وعاملهم جميعاً بالرأفة والحسنى حتى أسلم الكثير منهم طائعين مختارين ، وتطوعوا فى جيش العرب مجاهدين .

وكما أنشأ عمرو بن العاص مدينة الفسطاط قرب القاهرة ، كذلك أنشأ عقبة ابن نافع مدينة القيروان[2] ، جنوبى تونس ، وجعلها عاصمة الإمارة ومقراً لأعماله . إلاّ أن معاوية رأى ، عام ٤٦هـ (٦٦٦ م .) عزل عقبة بن نافع وعين مكانه

---

(١) ترجم له الامام السيوطى فى حسن المحاضرة بقوله « عقبة بن نافع الفهرى أمير المغرب ، قال فى التجريد : ولد على عهد الرسول ولا تصح له صحبة ، بينما ذكره ابن الربيع فى من شهد فتح مصر من « الصحابة » ، ولا يعرف له حديث .

(٢) اختلف المؤرخون والكتاب فى معنى لفظة القيروان فقيل : هى موضع اجتماع الجيش . وقيل : محط أثقال الجيش . وقيل : هى الجيش نفسه . (المنهل العذب) وقد كمل بناء المدينة فى خمسين سنة .

ومما يروى بهذا الصدد ، أن عقبة بن نافع عندما أتى وادى القيروان مع أصحابه ، وقف فى الصباح على رأس الوادى وصاح : « يا أهل الوادى أظعنوا فانا نازلون » وكررها ثلاث مرات . فأخذت الحيات والعقارب وغيرها من الدواب تنساب خارجة منه ، حتى انتصف النهار ، فنزلوا الوادى عند ذلك ، ولم يروا منها شيئا (المنهل العذب) .

رويفع بن ثابت النجاري . ومع إنه كان إداريا حازما ، ومسلماً صادقاً ، غير أن السكان الذين أحبوا عقبة لم يرضوا عن عزله ، فثارت الاضطرابات ، وأوشك زمام الأمور أن يفلت ، حتى اضطر يزيد الذى تولى الخلافة بعد وفاة أبيه معاوية ، إلى إعادة عقبة إلى ولايته على إفريقيا ، عام ٦٢هـ .[1] وقد تمكن عقبة بعد عودته من القضاء على الفتن والثورات ، وأتم فتح شمال إفريقيا حتى شواطئ الأطلسى. إلا أن بعض قبائل البربر انقضت عليه بزعامة رجل منهم يدعى « كسيلة » ، فحاربها حتى قتل عقبة ومعه ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين فى معركة « تهودة »[2] فشجع قتله القبائل الثائرة ، وأصبح حكم العرب فى شمال أفريقيا مهدداً كله بالزوال . وفعلا تمكن « كسيلة » من الاستقلال بحكم المغرب مدة خمس سنوات ، إلى أن بويع لعبد الملك بن مروان بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم . فبعث بزهير بن قيس الذى كان قد خلف عقبة على ولاية برقة ، على رأس جيش من العرب لقتال البربر والثأر منهم لدم عقبة بن نافع . وقد تمكن زهير من كبح جماح القبائل الثائرة ، وقتل زعيمها « كسيلة » فى معركة نشبت بينهما بالقرب من مدينة القيروان و بذلك خمدت الثورة مؤقتاً ، واحتمى البربر بالقلاع والجبال .

و بعد هذه المعركة ، قفل زهير راجعاً إلى مصر ، زاهداً فى الحكم ، وقال : «إنما جئت للجهاد ، وأخاف أن تميل نفسى إلى الدنيا» . و بينما هو فى طريق العودة ، إذ اعترضه عند سواحل برقة أسطول البيزنطيين الذى أنزل جنوداً لقتاله واسترجاع أفريقيا من العرب . فقاتلهم زهير حتى قُتل ، ودفن فى مدينة درنة حيث له قبر يزار إلى اليوم .

---

(١) توفى رويفع بن ثابت ببرقة سنة ٥٦ هـ ، ودفن بالجبل الأخضر حيث لايزال قبره يزار إلى اليوم .

(٢) يقول ابن خلدون أن أجداث الصحابة الذين قتلوا فى هذه المعركة مازالت فى مكانها من أرض الزاب ، وقد بنى فوقها مسجد يعرف باسم « مسجد عقبة » وهو إلى اليوم مقصد الزائرين المتبركين من السكان .

وقد وجدت قبائل البربر فى مقتل زهير فرصة سانحة لشق عصا الطاعة من جديد . وفى هذه المرة ، أسلم البربر قيادهم إلى امرأة تدعى «الكاهنة داهيا الزناتية» ، وصفت بأنها ذات شجاعة فائقة وحنكة فى القيادة بالغة . وقد استطاعت «الكاهنة» أن توحد تحت سلطانها قبائل البربر ، فأعلنت استقلالها ، وحاربت العرب حرباً لاهوادة فيها ، حتى تمكنت من إجلائهم عن تونس والجزائر ، واحتلت القيروان وجزءاً من إقليم طرابلس . وفى هذه الحرب ، أتلفت المناطق المزروعة وأحرقت الغابات ، ودمرت القرى والمدن ، إلى أن تدارك الخليفة عبد الملك بن مروان هذا الحال ، وأرسل قائده حسان بن النعمان فى ستة آلاف رجل لمحاربة الثائرين وإخضاعهم عام ٦٩ هـ ، فسار حسان إلى إفريقيا ، فسأل عن أعظم من فيها من الملوك ، فقالوا : « صاحب قرطاجنة » . فرحل إليه حسان ، وقاتله قتالا شديداً ، حتى سقطت قرطاجنة ، فدخلها حسان بالسيف ، وغنم كل مافيها ، ثم أمر بهدم المدينة ، وجلا عنها كل من بقى فيها من الإفرنج إلى جزيرة صقلية وأسبانيا .

ثم سأل حسان عن أعظم ملوك إفريقيا ، وعمن إذا قتل أو قهر دانت إفريقيا لقاتله ، ويئس الروم والبربر من أنفسهم ؟ فقيل له : «امرأة يقال لها الكاهنة ، وهى فى جبل «أوراس» ، وجميع من بإفريقيا خائفون منها ، والروم سامعون لها مطيعون ، فإن قتلتها ، يئس الروم والبربر أن يكون لهم ملجأ » . فلما سمع حسان ذلك خرج إليها بجيوشه ، فلما بلغ موضعاً يقال له « مجانة » وجد الروم قد تحصنوا به ، فمضى وتركهم . وبلغ الكاهنة أمره ، فزحفت من جبل أوراس فى عدد غفير ، ونزلت بمدينة « باغاى » وأخرجت من بها وهدمتها ظناً منها أن حسان ينوى أن يتحصن بها . فلما بلغ الخبر حسان ، أقبل بجيوشه حتى التقى بالكاهنة فى « وادى مكناسة » ، واقتتل الجيشان قتالا شديداً ، فانهزم حسان بعد بلاء عظيم ، وقتل من العرب خلق كثير ، حتى سمى ذلك اليوم « يوم البلاء » . وظلت الكاهنة جادة فى أثر حسان وجنوده ، حتى أجلتهم عن قابس ، وأسرت من أصحابه ثمانية رجال ،

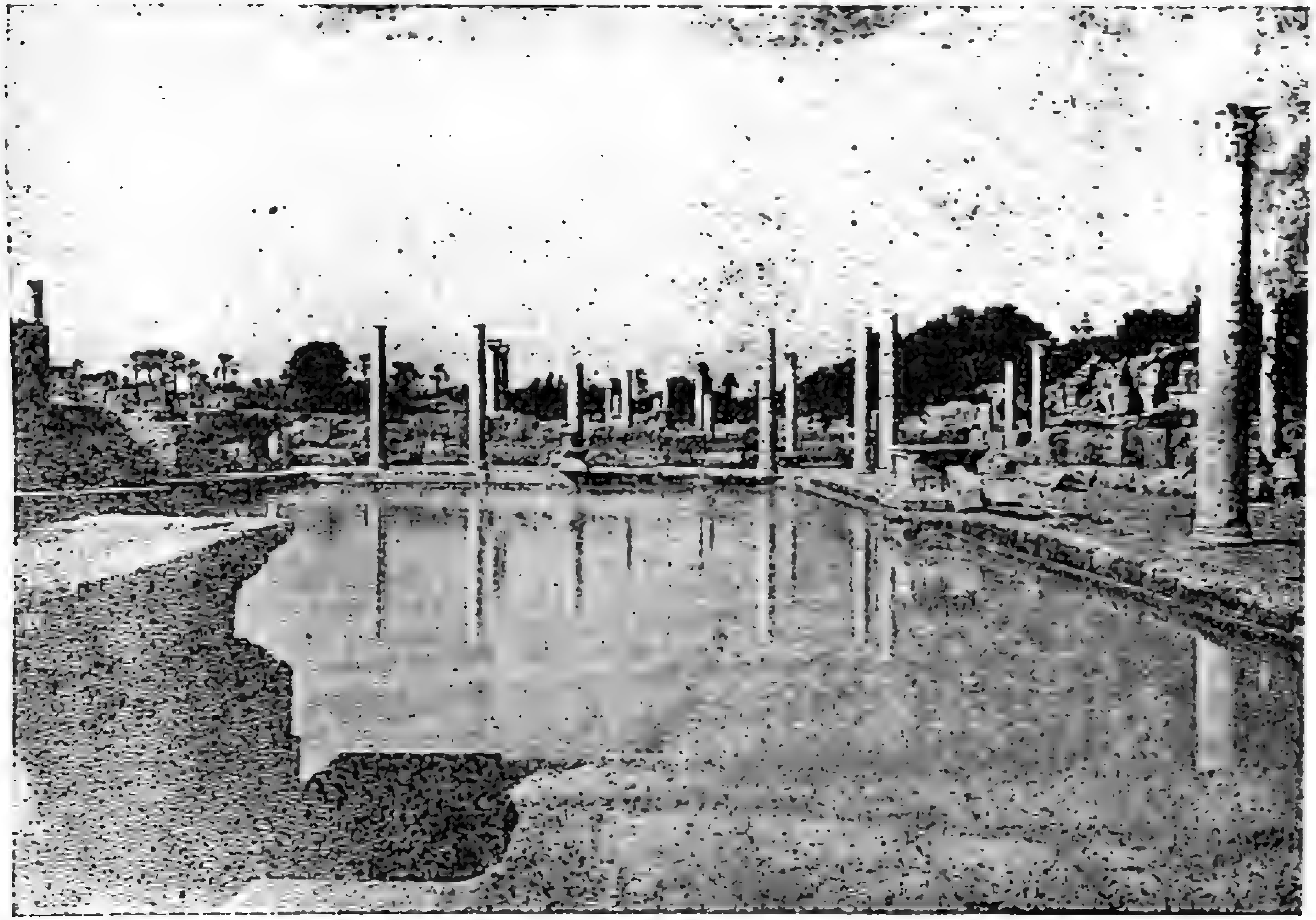

الحمامات — آثار لبدة (العصر الرومانى)

[تصوير جناح]

وقيل ثمانين رجلاً ، منهم خالد بن يزيد العبسى ، وكان من خيرة العرب ومجاهديهم ، وظل حسان فى تقهقره حتى بلغ موقعاً قريباً من المكان الذى تقوم عليه مدينة «مصراته» اليوم ، فثبت فيه وأقام لنفسه قصراً يقال له اليوم « قصور حسان» . أما الكاهنة فرجعت إلى مقرها فى وادى مكناسة ، وظلت تحكم البلاد حكماً مستقلاً مدة خمس سنوات (١) .

كان يبدو أن زمام الأمور قد أفلت نهائياً من يد العرب ، وأن شمال إفريقيا قد ضاع منهم إلى الأبد . غير أن القوات التى أنجد بها الخليفة عبد الملك بن مروان قائده، مكنت حسان من الكر على قبائل البربر . فوصل فى زحفه إلى قابس ، حيث لاقته الكاهنة فى جيوش عظيمة ، فقاتلهم حسان حتى هزمهم ، وهربت الكاهنة تريد « قلعة بشر » تتحصن بها . فوجدت القلعة قد سطحت حتى أصبحت بمساواة الأرض ، فهربت قاصدة جبال أوراس ، وحسان فى أثرها حتى اقتربت جيوشه منها . فالتقى الجمعان ، واشتد القتال ، حتى هزمت الكاهنة وقتلت عند بئر ، فسماه المسلمون « بئر الكاهنة» . و بموتها انتهت آخر مراحل هذا الصراع ، واستتب الأمر مرة أخرى للعرب .

وبعد أن هدأت الحرب ، وأتم تنظيم شئون الدواوين ووضع الخراج ، عاد حسان إلى دمشق بعد أن استخلف على شمال إفريقيا رجلاً من جنوده اسمه صالح . وهذه ظاهرة تدعو إلى التأمل ، فان جميع القواد أو الفاتحين العرب الذين جاءوا إلى هذه البلاد كانوا يعودون من حيث أتوا ، سواء إلى القاهرة أو دمشق ، بمجرد الانتهاء مما عهد إليهم به . ومما تجدر ملاحظته أيضاً ، ثورات البربر المتكررة منذ أن وطئت بلادهم أقدام غريبة . ولعل الرومان والبيزنطيين ، والعرب ، لم يجدوا صعوبة فى إخضاع بلد وضبطه كما وجدوا فى إخضاع هذه البلاد وحكمها .

و بعد وفاة عبد الملك بن مروان ، تولى إمارة المسلمين من بعده ابنه الوليد بن

---

(١) عن كتاب « رياض النفوس » الجزء الأول ــ القاهرة ١٩٥١

عبد الملك . فعين لأمارة شمال افريقيا القائد موسى بن نصير . وكان طموحاً شجاعاً ، كبير الهمة ، عظيم الخلق ، شديد الإيمان والإرادة . فاستطاع بفضل هذه الصفات أن يؤلف بين قبائل العرب والبربر ، وأن يزيل ما فى نفوسهم من أحقاد . فلما تم له ذلك ، كتب إلى الخليفة الوليد يستأذنه فى فتح الأندلس ، وكان قد فاوضه يوليان حاكم سبتة فى أمر إسبانيا ، وشوقه إلى غزوها ، انتقاماً من ملكه لذريق (أو ردريق) فكان جواب الوليد : أن اتق الله ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال . فأصلح موسى علمه بالبحر الشديد الأهوال قائلا : إنه خليج يرى من أوله ما وراء آخره .

وغلبت إرادة موسى خوف الخليفة ، فأرسل قائده ووليه طارق بن زياد على رأس جيش قوامه ٢٧٫٠٠٠ من العرب و ١٢٫٠٠٠ من البربر لفتح الأندلس . فعبر طارق بجنوده البحر إلى الجبل الذى سمى باسمه فيما بعد ، ثم أحرق سفنه ، وألقى فى جنده خطبته المشهورة فى التاريخ . وقد أثبت هذا البطل الفاتح نبوغاً فى القيادة لا مثيل له ، إذ تمكن بقواته القليلة من فتح الأندلس سنة ٧٣١ م (٩٢ هـ) ، ثم لحقه موسى بن نصير ومعه قوات أخرى من شمال إفريقيا، وأتما معاً إخضاع الأندلس فاتحين ظافرين غانمين الغنائم ؛ باسم الله والرسول والمسلمين(١)

فلما وقف موسى بن نصير على الحدود الشمالية لأسبانيا ونظر ما وراءها ، شاقه أن يفتح تلك البلاد الكبيرة ـ أى أوربا ـ وأن يعود إلى الشام عن طريق ألمانيا فالقسطنطينية فآسيا الصغرى . ولكن الخليفة الوليد قطع عليه تلك الرؤيا المجيدة ، فكتب يلح عليه فى القدوم إلى دمشق ليقف منه على حقيقة خبر الأندلس ، ولعله كان يخشى استقلاله بإمرة هذه البلاد الغنية البعيدة .

فقال موسى للرسول مغيث الرومى : فى الشمال بلاد تنادينا ، تنادى المسلمين . تعال معنا نفتحها فتكون شريكنا فى الأجر والغنيمة . ثم نعود إلى الشام .

---

(١) كان من بين جنود موسى بن نصير سيدى المنيذر الصحابى ، وقد اشترك فى فتح الأندلس ، ثم قفل راجعاً إلى طرابلس ومات فيها ، وقبره مشهور لدى أهلها ، يتبركون به .

وقد لاقت هذه الدعوة هوى فى نفس مغيث ، فزحفوا إلى جليقيا (Galicia) يفتحون الحصون ويخضعون المدن ، وكانوا كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به الرحال ، ونزلوه قاطنين .

و بينما هو فى هذه الفتوحات ، إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة ومعه كتاب يو بخه فيه لإبطائه فى العودة .

نماد موسى من جليقيا ، وركب البحر ومعه طارق بن زياد وأحمال من الغنائم والأموال والجواهر التى لا يقدر قدرها ، وثلاثون ألف رأس من السبي .

عاد الفاتح ظافراً غانماً ، فماذا لقى من مليكه أمير المؤمنين ؟

قيل إنه لما توجه إلى المشرق ، وانتهى إلى مصر ، بلغه الخبر بمرض الوليد ، ووافاه كتاب يستحثه على القدوم وكتاب آخر من سليمان أخو الوليد يثبطه ، فأسرع موسى بالعودة ، ووفد على الوليد قبل وفاته بثلاثة أيام ، ودفع إليه مامعه من الغنائم والأموال . فغاظ ذلك سليمان وأساء مكافأته حين أفضى الأمر إليه .

وفى يوم شديد الحر ، أوقفه سليمان بن عبد الملك فى الشمس ، فوقف حتى سقط مغشياً عليه . وقال له سليمان : كتبت إليك فلم تنظر كتابى . هلم مائة ألف دينار ! فقال موسى . يا أمير المؤمنين ، لقد أخذتم ما كان معى من الأموال ، فمن أين لى مائة ألف ؟ فقال سليمان : لا بد من مائتى ألف ! فاعتذر ، فقال الخليفة : لا بد من ثلاثمائة ألف دينار . وأمر بتعذيبه ، وعزم على قتله وقتل جميع أولاده . كما أمر عامله بأفريقيا محمد بن يزيد القرشى ، باستئصال بنى موسى ، فقبض على ابنه عبد العزيز ، الذى كان قد استخلفه موسى على إمارة الأندلس عند رحيله إلى الشام ، وقتله ثم أرسل رأسه إلى الخليفة .

فلما أحضر الرأس بين يدى سليمان بن عبد الملك ، استدعى إليه موسى بن نصير وقال : أتعرف هذا ؟

فقال موسى : نعم ، أعرفه صواماً قواماً . فعليه لعنة الله إن كان الذى قتله خيراً منه .

ثم أمر سليمان بنفى موسى إلى الحجاز ، حيث مات ذليلا معدماً . أما طارق بن زياد ، فقد اختفى بعد وصوله إلى دمشق ، ولم تعرف حتى الآن كيف كانت نهايته[1] .

* * *

كانت نهاية ولاية موسى بن نصير هى بدء فترة من المتاعب لهذه البلاد . وقد تقلب عليها عدد من الولاة لم يكن بينهم من يدانيه فى حكمته وشجاعته وحسن قيادته وفى عهدهم كثرت الفتن واختل حبل الأمن ، إلى أن بعث الخليفة هشام بن عبدالملك بعبد الرحمن بن حبيب (وهو حفيد عقبة بن نافع) غازياً إلى المغرب ، فبلغ فى زحفه المغرب الأقصى ، وقضى فى طريقه على الفتن والثورات . ومن أهم ماقام به غزو جزيرة صقلية لأول مرة فى تاريخ العرب والإسلام ، وذلك عام ١٢٢ هـ ، فهاجم سرقوسة العاصمة وحاصرها ، وأثخن فى الجزيرة وفرض على أهلها الجزية ، ثم قفل راجعاً إلى طرابلس ، ليخمد ثورة البربر التى جاءته أنباؤها إلى صقلية . فلما بلغها ، وجد أن البربر قد بايعوا بالخلافة رجلا يدعى ميسرة المظفرى ، ولكنهم ما لبثوا أن قتلوه لما تبينت لهم سوء أخلاقه ، وأقاموا على أنفسهم أميراً يدعى خالد بن حميد الزناتى . فكان أول ماعمله عبد الرحمن بن حبيب أن أنشأ حول مدينة طرابلس سوراً يحميها

---

(١) تسهيلا للادارة وضبط الأمور ، قسم موسى بن نصير المغرب إلى ثلاثة أقاليم وهى : المغرب الأقصى وهو المعروف الآن بمراكش ، والمغرب الأوسط وهو الجزائر ، والمغرب الأدنى ويشمل ليبيا وتونس .

أما ليبيا ، فقد منحها استقلالا ذاتيا ، وولى عليها أبابكر بن عيسى القيسي الذى أحسن إدارتها ، ففى عهده نمت التجارة ونهضت الزراعة واطمأن الناس إلى نفوسهم وأرزاقهم . كما أنشأ عدداً من المساجد ، وألحق بكل منها مدرسة قرآنية لتعليم الدين والنحو والحساب .

من غارات القبائل (سنة ١٣١ هـ) . غير أن ذلك السور لم يمنع أحد زعماء الثائرين واسمه عبد الجبار من احتلال المدينة ، وقتل واليها أبا بكر بن عيسى القيسى . وكان عبد الرحمن إذ ذاك خارج المدينة ، فجاءها على عجل ، وظفر بعبد الجبار وقتله ، وأعاد تحصين المدينة .

وقد استقل عبد الرحمن بن حبيب بعد ذلك بولاية أفريقيا ، وثبته عليها الخليفة مروان بن محمد ، إلا أنه لم يلبث طويلا حتى توفى سنة ١٣٢ هـ ، وتصادف موته مع نهاية الدولة الأموية فى دمشق ، وقيام دولة العباسيين على أنقاضها فى بغداد . فكان ذلك حافزاً للشمال الأفريقى على أن يستقل بأمره ، وشجعهم على ذلك بعد الصلة بينهم و بين عاصمة الخلافة الجديدة .

وهكذا أعلنت طرابلس الغرب انفصالها عن الخلافة العباسية ، وسلمت زمام أمورها إلى رجل من رجالها يدعى أبو الخطاب الأباضى . وقد تمكن أبو الخطاب (وهو من وجوه العرب فى نواحى طرابلس) من توحيد ليبيا تحت إمرته ، وانضم اليه سائر البربر ، ثم زحف على القيروان فاحتلها وعين والياً عليها من قبله اسمه عبد الرحمن بن رستم الفارسى . كما إن جهات أخرى أعلنت استقلالها أيضا وانفردت بالحكم . غير أن العباسيين ، الذين لم يكن فى نيتهم التخلى عن هذه البلاد ، جردوا حملة على شمال إفريقيا بقيادة محمد بن الأشعث (عام ١٣٧ هـ — ٧٥٤ م) ، فحارب أبا الخطاب وقتله بأرض تاورغة ، ثم زحف على القيروان واستولى عليها بعد فرار واليها عبد الرحمن بن رستم إلى تاهرت . وجاء دور طرابلس بعد ذلك ، فاحتلها ابن الأشعث كما احتل سائر ضواحيها ، و بذلك عادت بلدان شمال أفريقيا مرة أخرى إلى حظيرة الخلافة العباسية .

وكما عاد أسلافه إلى بلادهم بعد الانتهاء من فتوحاتهم فى أفريقيا ، عاد كذلك

ابن الأشعث إلى المشرق سنة ١٤٨ هـ ، بعد أن ولى على شمال أفريقيا الأغلب بن سالم التميمى .

فلما ولى الخلافة هرون الرشيد ، أعلى خلفاء العباسيين شأنا وأعظمهم مقدرة ، ولى على طرابلس سفيان ابن أبى المهاجر . ولكنه استقال بعد عامين ونصف من ولايته . فولى الرشيد مكانه محمد بن مقاتل العكى (وهو أخو الرشيد بالرضاع) ؛ فقدم إلى القيروان عام ١٨١ هـ ، ولكن الجند ثاروا عليه لسوء أخلاقه ، فجاء لاجئا إلى طرابلس . ولما بلغ النبأ ابراهيم الأغلب سار بجيشه إلى القيروان فدخلها وأرجع محمد بن مقاتل إلى ولايته على القيروان سنة ١٨٣ هـ .

وفى السنة التالية ، كانت أخبار محمد بن مقاتل قد وصلت إلى الرشيد ، فاستشار رجاله فيمن يولى على شمال أفريقيا ، فأشاروا عليه بتولية ابراهيم بن الأغلب . فولاه هرون الرشيد ، وزاد بأن جعل الولاية وراثة فى عقبه من بعده . و بذلك بدأ فى شمال أفريقيا حكم جديد يعرف (بعصر الأغالبة) الذى امتد ١١٣ سنة (١٨٤—٢٩٧هـ). وفى عهدهم تقدمت العلوم وانتعشت التجارة ونشطت الزراعة رغم الظروف المحيطة بهم ، والحروب التى جروا اليها جراً ، وأهمها محاربة البربر عام ٢٤٥ هـ ، ومحاربة العباس بن طولون عام ٢٦٥ هـ .

ومن أهم الأعمال التى قام بها الأغالبة ، وينسب لهم الفضل فيه ، فتح جزيرة مالطة سنة ٢٥٥هـ ، أثناء ولاية أبو الغرانيق محمد بن أحمد بن الأغلب الذى كان أديباً عاقلا حسن السيرة والأخلاق ، إلى جانب كونه قائداً شجاعاً ومسلماً فاضلا .

* * *

وفى سنة ٢٨٥هـ ، أخذت جماعة فى الظهور فى بلاد المغرب ، مدعية النسب إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) . وكان يتزعم هذه الجماعة رجل يدعى عبيد الله بن المهدى بن محمد بن قداح الشيعى، الذى أخذ يعلن أحقيته بالخلافة ، ويطالب بها

لنفسه . وكان على رأس دولة الأغالبة فى ذلك الوقت أبو العباس أحمد بن الأغلب، فلما قتل سنة ٢٩٠هـ ، تولى الامارة من بعده ابنه أبو مضر زيادة الله ، وكان شـابا متلافا انصرف عن شئون الحـكم إلى الفسق والفجور ، فكان يهيئ الجو بتلك التصرفات الماجنة لظهور الدعوة الفاطمية وتقويتها ، حتى تمكن عبيد الله من الاستيلاء على كافة بلدان المغرب الأقصى ، وتلقاه أهل القيروان مبايعين عام ٢٩٧هـ. وبذلك انتهى حكم الأغالبة ، وبدأ عصر الدولة الفاطمية فى المغرب .

الفصل الرابع

الدولة الفاطمية وما بعدها

كان عبيد الله المهدى ، أول ملوك الفاطميين فى المغرب ، رجلاً مستبداً غليظ الطباع . فلما تمت له البيعة بمدينة القيروان ، عمد إلى التخلص فوراً من الذين عاونوه فى دعوته ومكنوه من الملك . فقتل كبير دعاته أبا عبد الله الشيعى ، وأخاه أبا العباس المهدى ، وغيرهما من كبار الشيوخ والأعيان ، ولما تمض على توليته بضعة شهور ا فلما تخلّص ممن زين له الوهم أنهم منافسوه فى الملك ، أخذ فى تعيين الولاة وتنظيم أمور الدولة . فأرسل « ماكنون بن ضبارة اللحيانى » على طرابلس ، و « حباسة بن يوسف » على برقة . وعين ابنه أبا القاسم نزار لولاية العهد .

ويبدو أن «ما كنون» لم يحسن سياسة أهل طرابلس ، اذ ثاروا عليه ثورة جامحة عام ٣٠٠ هـ ، أى بعد أقل من عامين من توليته ، وطردوه من مدينتهم . فأرسل لهم عبيد الله المهدى ابنه أبا القاسم ، ولكن الطرابلسيين امتنعوا عليه هو أيضاً ، وأقفلوا أبواب مدينتهم . فحاصرها أبو القاسم حصاراً طويلاً ، ثم فتح المدينة عنوة وأثخن فى أهلها ، وفرض عليهم غرامة قدرها ٣٠٠٫٠٠٠ دينار .

وقد تربع عبيد الله المهدى على عرش المغرب أربعة وعشرين عاماً ، وسع خلالها رقعة ملكه حتى المغرب الأقصى ، وتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، عن ثلاثة وستين عاما .

وبعد وفاة المهدى ، تولى مكانه إبنه وتلقب بالقائم ، وقد ثارت طرابلس في عهده أيضاً . وتولى من بعده إبنه إسماعيل المنصور بالله . وبعد وفاته بويع لابنه المعز بن المنصور سنة ٣٤١هـ .

كان المعز أشهر ملوك الفاطميين قاطبة ، وكان تداعب خيالاته آمال عراض ، كافتتاح مصر وضم ثرواتها إلى ملك الفاطميين . وقد تمكن المعز من تحقيق حلمه هذا بعد عشرين عاماً من توليته . ففي سنة ٣٦١ هـ أرسل قائده المشهور جوهر الصقلي لإحتلال أرض النيل ، فافتتحها بدون مقاومة كبيرة . ولما تم له ذلك ، سار إليها المعز في شهر شوال من نفس العام ، فبلغها في الخامس من رمضان من العام التالي . وكان جوهر في هذه الأثناء قد أسس مدينة القاهرة ، و بنى فيها الجامع الأزهر ، الذى أصبح يضم فيما بعد أكبر جامعة إسلامية في العالم .

وفي القاهرة ، طالب المعز بالخلافة الإسلامية لنفسه دون العباسيين ، فلباه زعماء مصر وأعيانها ، وجاءوه مبايعين . و بذلك إنتقلت عاصمة الفاطميين من القيروان إلى القاهرة ، وأصبحت الأقاليم الافريقية ولايات تابعة لمصر .

و بانتقال مقر الملك وعاصمة الخلافة إلى القاهرة ، أُهمل الشمال الأفريقي ، ووقعت بلدانه مرة أخرى فريسة الفوضى وسوء الإدارة . وقد تعاقب على ولاية طرابلس « عملاء » — كما كان يسميهم الفاطميون — عديدون . غير أنهم لم يزيدوا عن كونهم « أشباه حكام » ، ولم يكن لهم من السلطة إلا ظلها ، فتعاقبت في أيامهم الفتن والثورات ، واضطربت شئون الزراعة والتجارة ، وحل الخوف بقلوب الناس .

ومن أشهر أولئك العملاء ، عبد الله الكتامي الذى شملت ولايته طرابلس و برقة حتى اجدابية (عام ٣٦٧هـ) . وفلفول بن خزرون عام ٣٩١هـ ، الذى استقل بإدارة طرابلس ، ومحمد بن الحسن (عام ٤٠١ هـ) وفي عهده ثار البربر وهاجموا مدينة طرابلس، وعبد الله بن الحسن (عام٤٠٥هـ) وفي عهده انتشر مذهب الأمام مالك[1]

---

(١) نشأ الامام مالك رضي الله عنه في المدينة بجزيرة العرب ومات فيها .

فى بلاد المغرب ، وكان على ولاية أفريقيا آنذاك المعز بن باديس ، الذى انتقض على الخلافة الفاطمية ومذهب الشيعة ، وخطب للخليفة العباسى فى بغداد . فشجع هـذا الانتقاض الجمهور (وأكثرهم من أهل السنة) على الجهر بما فى نفوسهم ، وفتكوا ببعض أهل الشيعة . فلما بلغت هـذه الأنباء الخليفة الفاطمى بالقـاهرة ثار وهاج ، واستدعى وزيره أبا محمد اليازورى[1] للتداول معه فى أمر المعز . فأشـار عليه الوزير باصطناع قبائل بنى سُليم و بنى هلال التى كانت قد نزلت بمصر آتية من صحراء نجد ، وتولية مشايخهم أمر أفريقيا ، فيتخلصون بذلك من وجودهم فى مصر ، ومن المعز بن باديس فى وقت واحد . وقد استحسن الخليفة هذ الرأى ، لا سيما وأن هـذه القبائل كان قد استفحل أمرها فى مصر حتى باتت تهـدد بخلق المشاكل للخلافة الفاطمية ، فأرسل وزيره إلى شيوخ هاتين القبيلتين ليفاوضهم ، وما زال بهم حتى قبلوا بعد أن أعطى كل فرد منهم بعيراً وديناراً وقال لهم : « لقد أعطيتـكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجى » .

وهكذا بدأت أكبر غزوة عربية كاسحة فى تاريخ هذه البلاد . فسارت قبائل العرب على برقة واقتحمت حصونها وأمصارها ، ثم سارت جموعهم إلى طرابلس حيث قابلهم المعز بن باديس فى جيش من حوالى ثلاثين ألف مقاتل فانهزم أمامهم وارتد بفلول جيشه إلى مدينـة القيروان . و بعد أن جمع المعز أشـتيات قواته ، خرج إليهم وقاتلهم مرة أخرى ، ولـكنهم تغلبوا عليه فى هذه المرة أيضاً . وفى عام ٤٤٦هـ سقطت مدينة القيروان بيـد الغزاة ، وفر المعز إلى المهـدية حيث أقام إمارته ، بينما استقل «عائد بن أبى الغيث» فى إمارة تونس . وفى سنة ٤٥٤هـ توفى المعز بن باديس وتولى مكانه إبنه تميم . فحارب العرب ، ولـكنه هزم أمامهم كما هزم والده من قبل . وفى هذه الأثناء تولى على طرابلس رجال لم يكن لهم من الأمر شيئاً ، كما تدلك على

(١) أصله من فلسطين من قرية يازور ، وكان أبوه فلاحا بها .

ذلك حادثة الأمير التركى « شاهملك » الذى قدم إلى طرابلس من مصر عام ٤٨٨ هـ فى بعض الفرسـان ، فدخلوا مدينـة طرابلس ، وكان أهلها على خـلاف مع الوالى فأدخلوهم وطردوا الوالى ، وعينوا مكانه شاهملك .

قد ثار تميم بن المعز بن باديس عنـد سماعه هذا النبأ ، فأرسـل الجند وحاصر مدينة طرابلس ، ثم احتلها وأسر شاهملك ، وعاد تميم بعد ذلك إلى المهدية . ويروى عن تميم أنه كان شجاعا ذكيا محباً للعفو ، وله فضائل كثيرة . وتوفى عام ٥٠١ هـ .

***

وبوفاة تميم ، انقرضت أسرة بنى خزرون[١] فاستقل أهالى طرابلس بأنفسهم ورفضوا دفع الجباية للوالى الجديد محمد بن خزرون بن خليفة ، وانحل نظام الحـكم والإدارة ، فشكلت كل قبيلة (حكومة) مستقلة وعينت رئيساً لها . إلا أن القبـائل لم تستطع أن تتفق فيما بينها على كثير من الأمور ، فقامت الحرب بينها وهلك فيها عدد كبير من سكان طرابلس . وقد زاد الطين بلة حدوث مجاعـة فى البلاد بسبب هلاك الزرع والحروب . فاختلت أحوالها ، وهجرها سكانها .

وفى هذه الأثناء ، كان الصقليون (وملـكهم روجر الثانى) ينتظرون الفرصـة الملائمة لغزو طرابلس ، فلم يجدوا أنسب من هذه الفرصة ، وأرسلوا عام ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) أسـطولا بقيادة الأميرال جورج ميكائيل[٢] الذى حاصر المدينـة مدة ثلاثة أيام ، ثم انتهز فرصة اقتتال السكان حول انتخاب أحد الرؤساء ، فتمكن من وضع السلالم على أسوار المدينة ، وتسلقها جنوده ، فاحتلوا المدينة بعد قتال قصير ، واحتفظ الأميرال الصقلى ببعض أعيانها رهينة عنده .

---

(١) وهى المعروفة أيضا فى التاريخ باسم الأسرة « الصنهاجية » وهم من البربر.

(٢) وهو المعروف أيضا باسم « جورج الأنطاكى » .

ثم أعلن الصقليون مصالحة المسلمين ، ودعاهم الأميرال للعودة إلى المدينة ، على أن يترك لهم حرية انتخاب الوالى والقاضى . فعاد جزء كبير منهم ، وانتخبوا يحيى بن مبروك والياً عليهم ، كما انتخبوا أبا الحجاج يوسف قاضياً للمدينة . وعند ذلك أطلق الأميرال الصقلى سراح الأعيان المعتقلين . فلما هدأت الأحوال ، واستأنف السكان حياتهم العادية ، أبحر من طرابلس تاركا فيها حامية دفاعية صغيرة .

وقد ظلت طرابلس مدة ١٢ سنة تحت حراسة هذه الحامية الصقلية الصغيرة ، حتى استطاع أحد أمراء الموحدين واسمه محمد المؤمن بن على(١) (عام ٥٥٣هـ – ١١٥٨م) أن يؤلب أهالى تونس على الإفرنج الذين كان قد امتد سلطانهم حتى شمل جزءاً كبيراً من الشمال الأفريقى غرب طرابلس . فزحف على هذه المدينة واحتل فى طريقه البلاد الساحلية .

ولما بلغ محمد المؤمن أبواب مدينة طرابلس ، وجد فى استقباله الوالى و بعض الأعيان ، فعلم منهم أن سكان المدينة قد انقضوا فى الليلة السابقة على الصقليين وذبحوهم عن آخرهم . و بعد أن ثبت محمد المؤمن يحيى بن مبروك على ولاية طرابلس ، اتخذ طريقة عائداً إلى مقر ملكه .

كان يحيى بن مبروك رجلا نزيهاً ذكياً ، وقد استطاع أن يدير الدفة بحكمة وشجاعة حتى كسب ثقة الجميع . فلما تولى ملك الموحدين ابن زيد بن محمد المؤمن ، استأذنه فى الذهاب إلى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج ، وكانت قد تقدمت به السن ، فتوفى وهو فى مكة .

و بوفاة يحيى ،عادت طرابلس إلى أحضان البؤس والفوضى من جديد ، إذ انصرف

---

(١) وهو ابن المهدى بن محمد بن تومرت الذى ادعى انه المهدى المنتظر ، وأسس دولة الموحدين فى المغرب . وهم يعرفون أيضا فى التاريخ باسم « الحفصيين »

الموحدون إلى قضاء مصالحهم الشخصية على حساب السكان ، وأهملوا الجيش . فثارت بعض القبائل وعلى رأسها بنى هلال ، وظلوا يقاتلون الموحدين حتى أضعفوا سلطانهم و بددوا شمل ممالكتهم . وفى هذه الظروف أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبى ، الذى كان قد أنشأ الدولة الأيوبية فى مصر بعد وفاة آخر خلفاء الفاطميين أبو محمد العاضد لدين الله (عام ٥٦٦هـ — ١١٧٠م) مملوكه شرف الدين قراقوش لاحتلال إفريقيا . فسار قراقوش يتلف وينهب كل ما فى طريقه ، وانضمت إليه القبائل الثائرة ، حتى وصل مدينة طرابلس عام ٥٦٨هـ (١١٧٢م) ، فحاصرها ثم أخذها عنوة . وقد سهل احتلالها اخضاع سائر الأقاليم والمدن الأفريقية ، فاحتل تونس والجزائر ومدناً أخرى عديدة فى بلاد المغرب . فلما تم له ذلك ، بعث برسول إلى الخليفة العباسى فى بغداد ، ليحصل منه على لقب الأمارة .

فلما رفض الخليفة العباسى أن ينعم على قراقوش بهذا اللقب ، شجع ذلك ملك الموحدين يعقوب أبو يوسف الحفصى على محاربة قراقوش واخراجه من شمال أفريقيا ، فسار إليه على رأس جيش من عشرين ألف مقاتل ، حتى بلغ تونس . وكانت خطة قراقوش تقضى بالإنتظار وعدم محاربته الآن ، فأمر الأهلين بتسهيل مرور الموحدين ، بل باستقبالهم بمظاهر الفرح والترحيب . فلما توغل الموحدون فى البلاد انقض عليهم قراقوش برجاله ، ومزقهم شر ممزق إلا أن يعقوب جمع فلول جيشه ، وانقض بدوره على قابس حيث توجد معظم قوات قراقوش ، حتى تمكن من المدينة وغنم كل ما فيها ، بما فى ذلك نساء قراقوش وأطفاله . فلما رأى الجزائريون ما حل برئيسهم وجيشه ، خضعوا ليعقوب واستكانوا له ، فلم يجد قراقوش بدأ من مفاوضة عدوه على إلقاء السلاح والعودة إلى تونس ، مقابل اطلاق سراح نسائه وأطفاله .

و بعد أن تم ليعقوب الاستيلاء على طرابلس وضواحيها ، قفل راجعاً إلى فاس

عام ٣٨٦ هـ (١١٩٠ م) ، بينما انسحب قراقوش إلى تونس حسب الاتفاق. ولكن لم يمض وقت طويل حتى كان جنود قراقوش قد بدأوا يعودون إليه ويتجمعون حوله ، فأغراه ذلك على استئناف الحرب ، وخرج قراقوش فاكتسح قابس ، ومنها سار إلى طرابلس فاحتلها أيضاً . وعلى مسيرة ساعة ونصف ساعة إلى الغرب من هذه المدينة ، أقام لنفسه قصراً من الحجر والآجر، أطلق عليه إسمه(١) .

وبعد أن أتم تنظيم جيشه ، استأنف قراقوش الحرب ضد الموحدين ، ولكنهم تمكنوا من التغلب عليه فى هذه المرة أيضاً بمساعدة يحيى بن غانية شقيق على بن غانية الذى كان قد جاء من ميورقة (وهى جزيرة واقعة إلى الشرق من اسبانيا) ليجرب حظه هو الآخر بالفتح والملك . فاحتل الموحدون طرابلس للمرة الثالثة عام ١٢٠٢م ، بعد مقاومة عنيفة أبدتها قوات قراقوش بقيادة أحد رجاله المدعو يعقوب(٢) .

وفى سنة ١٠٦ هـ (١٢٠٤م) قدم أبو يوسف يعقوب خليفة الموحدين إلى طرابلس حيث احتفل السكان بتنصيبه أميراً عليهم . وهو بدوره عين يحيى بن غانية والياً على طرابلس وقابس مكافأة له على خدماته فى قتال قراقوش .

إلا أن قراقوش لم ييأس بعد ضياع طرابلس من يده ، فذهب إلى فزان فى الجنوب وأخذ فى محاربة القبائل ، وغنم منها غنائم كثيرة . فخرج إليه يحيى بن غانية

---

(١) لم تبق من هذا القصر سوى أطلال مندثرة . وتعرف المنطقة التى أقام بها قراقوش قصره اليوم بمنطقة « قرقارش » ، وقد أقام الايطاليون أثناء الاحتلال حصنا فى هذه المنطقة ، على بعد ٩ كيلو مترات من المدينة ، وتقيم فيه اليوم قوات بريطانية . كما أنه تقع فيها « حمامات قرقارش » المعدنية المشهورة .

(٢) يقول النائب فى كتابه « المنهل العذب » أن قراقوش جاء من مصر فاستولى على فزان وزويلة ومنها سار إلى طرابلس بعد أن حالفه العرب وأمير جبل نفوسه من قبل الموحدين ، المدعو مسعود البلاط . وبعد احتلاله طرابلس ، خرج على بن غانية (وهو أحد أمراء الملثمين) من جزيرة ميورقة فى أسطول لقتال الموحدين ، فاستولى على تونس ، ولما جاء قاصداً طرابلس، اتفق معه قراقوش على أن يحكماها مشاركة . فقبل وانضمت إليهما العرب ، فغزوا مملكة الموحدين غزوات غير موفقة . ثم مات على بن غانية فى جهات الجزائر ، وتولى مكانه أخوه يحيى الذى اختلف مع قراقوش ، فقتله واستقل بالحكم .

فقاتله حتى غلبه وأخذه أسيراً هو وعائلته وأطفاله ، ثم قتلهم وأخذهم إلى طرابلس حيث علقهم على المشانق فى الميدان العام[1] و بذلك انتهى هذا التطاحن المميت بين العدو ين اللدودين .

لم يحزن أحد من سكان طرابلس لموت قراقوش والتمثيل بجثته على هذا النحو البشع ، فقد كان حاكما مستبداً ، ارتكب كثيرا من المظالم ، وتسبب فى احداث الخراب فى جزء كبير من البلاد . وفى عهده ، وجدت القبائل فرصة للخروج على النظام ، فشاركته سيآته ، وأتلفت ما أبقى عليه حكمه السئ ، حتى أصبح اسمه علماً على الظلم وسوء الحكم . واليوم ، يتندر الناس بحكايات قراقوش ، ولعل أكثرها مختلق أو مبالغ فيه . ولكنها فى جوهرها لا تخرج كثيرا عن الحقيقة والواقع[2] .

إلا أن وفاة قراقوش لم تضع حدا لمتاعب السكان وآلامهم . فقد خلفه فى شروره وطغيانه يحيي بن غانية ، بل زاد عليه . وكأنه لم يجد بعد موت قراقوش من يقاتله ، فأخذ ينكل بالسكان التعساء و يقتلهم بلا حساب ، حتى أنقذهم منه الخليفة الناصر بن يعقوب ، وكان قد خلف أباه على ملك الموحدين . فلما دخل الناصر مدينة طرابلس ، أخذ يهدىء من روع الأهلين ، وأقام على المدينة والياً من خيرة رجاله وأتقاهم ، هو الشيخ أبو محمد بن أبى حفص .

أما يحيي بن غانية ، الذى فر من طرابلس قبل أن يدخلها الناصر ، فقد عاد إلى الظهور مرة أخرى في ضواحى المدينة ، ومعه بعض الجنود والعرب من قبائل بنى هلال و بنى سليم . فخرج اليه أبو محمد فى جيش من الموحدين ، ونشبت بين الفريقين معركة طاحنة . وقد ظلت المعركة دائرة طول اليوم ، فلما جاء المساء ، كانت الهزيمة قد دبت فى صفوف يحيي ، ونجا هو بنفسه جريحاً إلى الصحراء . وقد جمع أبو محمد

---

(١) Annales Tripolitaines — Féraud

(٢) مما يجدر ملاحظته هنا أن الأيوبيين فى مصر لم يرسلوا أية نجدات حربية لمساعدة قراقوش ، كما أنهم لم يحاولوا استعادة شمال أفريقيا بعد وفاته .

فى ذلك اليوم غنائم وفيرة ، ذهب بها إلى الناصر فى المهدية ، وقدم إليه استقالته . ولكن الناصر أبى قبولها ، وأعاده إلى طرابلس ومعه بعض الهدايا لأعيان المدينة .

بقى أبو محمد ، إذن ، فى ولايته على طرابلس . فأخذ ينظم أمورها ، ويصلح من شأنها . إلا أن يحيى عاد إلى الظهور مرة أخرى ، وحوله بعض فلول جيشه . فلما بلغت أنباء تجمعاتهم أبا يحيى ، خرج إليهم عام٦٠٦ هـ (١٢٠٩م) ، فقابلهم عند جبل نَفُّوسه ، وهناك قاتلهم حتى أجهز عليهم بعد معركة دامت طول النهار وجزءاً من المساء . وقد قتل فى هذه المعركة عدد من زعماء القبائل ، وأحد أبناء يحيى ، أما يحيى نفسه فقد استطاع الفرار هذه المرة أيضاً، ولكنه توفى بعد ذلك طريدا فى الصحراء . وهكذا استتب الأمر نهائياً لأبى محمد .

وبعد وفاة الناصر ، تولى خلافة الموحدين مكانه ابنه يوسف المستنصر ، وكان لا يزال حدثاً صغير السن . فعين شيوخ الموحدين أبا محمد قائداً عاماً لأفريقيا نظراً لكفاءته الحربية والإدارية ، فاستطاع كسب ثقة الجميع ، وظل محترماً مرهوب الجانب إلى أن توفى عام ٦١٦هـ (١٢٢١م) .

وبعد وفاة أبو محمد ، تولى القيادة مكانه أبنه زيد عبد الرحمن . فقبض على السلطة بيد من حديد . وأخمد سريعاً بعض الفتن التى أطلت برأسها هنا وهناك . ولكنه اضطر للاستقالة بعد ثلاثة شهور من تعيينه ، بناء على أمر المستنصر، الذى عين مكانه على ولاية أفريقيا أبا العلا إدريس .

غزوة الجنويين :

وبعد وفاة المستنصر عام ١٢٢٦م ، تتابع على عرش الموحدين ملوك عديدون ، كما تتابع على طرابلس عدد من الولاة لم يكن من بينهم مصلح أو حازم ، حتى اضطربت الأحوال وتفككت عرى الدولة ، فاستقل كل (شيخ) بحكم احدى

المناطق ، وتفرق الشمال الأفريقى إلى دويلات صغيرة مبعثرة . وفى عام ٧٥٠ هـ ، كان على ولاية طرابلس رجل يدعى ثابت بن محمد ثابت ، فاغتنم الفرصة واستقل هو الآخر بحكم المدينة ، ولكنه لم يحسن إدارتها . وفى هذا العام ، كان تجار الجنويين يترددون على المدينة ، فلما رأوا الحالة فيها فوضى أضمروا غزوها ، وفعلا تمكنوا من احتلالها بعد قليل ، وهرب واليها الى بعض العربان فقتلوه ، أخذاً بالثأر لقتله بعض رجالهم .

وكان على قابس ، فى هذه الأثناء ، أمير يدعى أبو العباس أحمد بن مكى . فلما رأى ما حل بطرابلس وسكانها ، أخذ يفاوض الجنويين على فديتها ، فاشترطوا عليه خمسين ألف مثقال من الذهب . فدفعها أبو العباس وملك المدينة بعد جلاء الجنويين عنها ، وقام باصلاح ما تهدم من سورها ومنازلها ، ولم يزل واليا عليها حتى توفى عام ٧٦٦ هـ ، فتولى مكانه ابنه عبد الرحمن بن مكى ، وكان سيء السيرة . فلما قدم طرابلس أبو بكر بن محمد بن ثابت فى أسطول من الاسكندرية (حيث كان قد فر أبوه بعد احتلال الجنويين للمدينة) ساعده السكان من العرب والبربر ، ومكنوه من احتلال طرابلس . و بقى أبو بكر واليا عليها حتى توفى عام ٧٩٢ هـ .

وقد تعاقب بعد ذلك على طرابلس عدد من الولاة تابعين اسميا لدولة الموحدين فى تونس ، حتى جاء عام ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) ، فكانت هذه السنة هى نهاية حكم العرب فى طرابلس ، ونقطة التحول فى تاريخ شمال أفريقيا بوجه عام .

حكم الاسبان فى طرابلس :

فى العام المذكور احتل الاسبان مدينة طرابلس وملكوها . وتروى لهذا الاحتلال قصة رواها المؤرخ « ابن غلبون » ونقلها عنه بعد ذلك أكثر المؤرخين . وتقول هذه القصة أن سفينتين تجاريتين قدمتا من اسبانيا ، و بعد أن ألقت مراسيها فى الميناء ، خرج رجل من التجار فاشترى من الأسبان جميع بضائعهم ونقد لهم ثمنها ،

ثم استضافهم رجل آخر ، فصنع لهم طعاما فاخراً ، ولما مده أمامهم ، أخرج ياقوتة ثمينة فدقها دقا ناعما ، ورشها على الطعام قائلا : « هذا بدل البهار » . فبهت الأسبان لذلك . ولما فرغوا من تناول الطعام ، قدم لهم بطيخا ، فطلبوا سكينا فلم توجد فى داره سكين ولا عند جاره ، إلى أن خرجوا الى السوق فأتوا بسكين . فلما رجعوا الى بلادهم سألهم مليكهم ــ فردناند الكاثوليكى ــ عما رأوه فى طرابلس ، فقالوا له : « ما رأينا بلداً أكثر مالا وأقل سلاحا وأعجز أهلا » وذكروا له الحكايتين (١).

فصمم فردناند على غزو طرابلس طمعا بأموالها وكنوزها ، وجهز لهذا الغرض أسطولا جعل قيادته للأميرال بيير نافارو (Pierre Navarro)

بدأت غزوة الأسبان لهذه البلاد على عدة مراحل ، وكانت خطة الأسبان ترمى لاحتلال موانىء بجاية و وهران ثم طرابلس . وهكذا سار أول أسطول إسبانى بقيادة « دى كوردوفا » فاحتل ميناء وهران ، وسار الأسطول الذى كان يقوده « بيير نافارو » باتجاه مدينة بجاية ، فأنزل فيها جنوده بتاريخ ٥ يناير سنة ١٥١٠ م .

كان عدد قوات نافارو ١٥٫٠٠٠ رجلا ، ونظراً لضيق المكان وعدم توفر الشروط الصحية ، سرعان ما انتشر بينهم الطاعون ، وكان يموت منهم أكثر من مئة رجل يوميا . فقرر نافارو أن يسير على طرابلس بجزء من هذا الجيش ، وترك مدينة « بجاية » فى حراسة أحد قواده .

---

(١) علق الأستاذ عمر البارونى فى كتابه « الإسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس » على هذه الرواية بما يلى :—

« ولاشك أن هذه القصة ، كما قدمنا ، هى أقرب ماتكون الى الخيال منها إلى الحقيقة ، وفى سرد وقائعها ما يحمل على الأخذ بعدم صحتها ، ويكفى أن نعرف أنه كان بالمدينة سوق تباع فيها السكاكين وأن هذه الآلة من مستلزمات الحياة المنزلية التى لاغنى لأحد عنها ، وكيف نأخذ بمنطق هذه القصة وسحق الياقوت على الطعام مايدل على عدم سبك حوادثها إلا إذا أخذنا به على أنه من تصرفات العقول المخبولة ، ومهما يكن من شىء ففى ذكر هذه القصة تصوير لما كانت عليه طرابلس من رخاء وغنى دفع أهلها الى حياة الكسل وإهمال العدة لأى طارىء خارجى ، وإن أخطأ المؤلف فى تصويرها بشكل منطقى مسبوك . وفى الوقت نفسه أسند المؤلف هذه الحملة للجنويين لا للاسبان ، وفى هذا ما يشعرنا بضعف السند الذى نقل منه المؤرخون الثلاث : العياشى وابن غلبون والنائب »

وكانت طرابلس فى هذه الأثناء ، كما وصفها المؤرخ (مارمول) فى كتابه (أفريقيا) مزدهرة بالتجارة لقربها من تونس ونوميديا ، ولأنه لا توجد مدينة سواها على الساحل الأفريقى حتى الأسكندرية . وكان يتردد عليها التجار المالطيون والجنويون والبنادقة ، فوجدوها مليئة بالمساجد والكليات والمستشفيات . وكانت شوارعها وميادينها أحسن نظاما من مدينة تونس . بل إن أكثرهم أكد أن طرابلس أكبر من تونس وأغنى ، فكانت مليئة بالجوهرات واللآلىء والبضائع . وكان بها حوالى ١٥٠ مصنعا لصناعة الحرير والمنسوجات الفاخرة ، كما كان بها عدد كبير من التجار والبقالين الذين كانت مخازنهم مكدسة بالبضائع على أنواعها. وكان على المدينة حاكم يدعى عبد الله بن شرف ، وهو أحد المحاربين القدماء . وفى زمانه احتل الأسبان طرابلس ، وقد وصف المؤرخ المذكور كيفية احتلال الأسبان للمدينة على الوجه الآتى :

« لما بلغ أسطول « نافارو » شواطىء طرابلس ، فتح نيران مدافعه على المدينة . وكان ذلك عند الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس ٢٥ يوليو سنة ١٥١٠م . ومع أن بطاريات الساحل أجابت ببضع طلقات من مدافعها العتيقة ، إلا أن الأسبان استطاعوا إنزال ١١,٠٠٠ جندى إلى البر ، فدخلوا شوارع المدينة وبدأ القتال . فالتجأ والى طرابلس وأفراد عائلته إلى القصر ، بينما تجمع السكان فى الجامع الكبير ، فيما عدا أقلية منهم استمرت تقاتل بشجاعة ، وعند المساء كان الأسبان قد أتموا احتلال طرابلس ، ودخلوا الجامع وقتلوا فيه أكثر من ألفى رجل . ثم هاجموا القصر الذى احتمى فيه الوالى ، فأسروه هو وعائلته وبعض الزعماء .

« وقد بلغ مجموع قتلى المسلمين فى ذلك اليوم ستة آلاف ، ألقيت جثثهم فى البحر أو فى أحواض المياه فى الجوامع ، و بعضها أحرق . و بلغ مجموع الأسرى أكثر من خمسة عشر ألفا . أما الغنائم ، فلا تعد ولا تحصى . » ا.هـ .

وقد جدد الأسبان سور المدينة بعد احتلالها ، كما جددوا بنـاء القلعة (السراى اليوم) . وقد اقتصر حكمهم على داخل المدينـة ، أما الدواخل فقد استقل بحكمها الزعماء والمشـايخ . وفى عهد ملـكهم شارل كوينت (Charles-Quint) أعطيت طرابلس لفرسان القديس يوحنا المقدسى ، عام ١٥٣٠م ، وكان العثمانيون قد أخذوا يهاجمون أساطيل الإفرنج فى البحر المتوسط ، ويهددون باجتياح البلقان وأوربا .

وقد شجعت انتصارات الأتراك سكان طرابلس على الاستنجاد بالسلطان سليمان الأول لانقاذ بلادهم من حكم الأسبان . فأرسلوا وفداً منهم إلى القسطنطينية عام ٩٢٦ هـ ، قابل السلطان وشرح له الظروف القائمة فى شمال افريقيا . فتأثر السلطان لكلامهم ، وعين مراد آغا لولاية ليبيا ، وأرسله فى أسطول لغزو طرابلس وانقاذها من يد الأسبان . فلما بلغ الأتراك تاجوراء ، على بعد ١٦ كيلو متراً من طرابلس ، أنزلوا بهـا جنودهم وشرعوا فى مهاجمة طرابلس نفسها ، فوجدوها محصنة تحصينا قويا . فأرسل مراد آغا إلى السلطان سليم يطلب إمداده بقوات جديدة .

وفى هذه الأثناء ، أقام طابية صغيرة بين تاجوراء وطرابلس ، وأخذ ينظم أمور السكان ، كما أسس الجامع الـكبير فى تاجوراء ، والمدرسـة المعروفة باسمه ، وأوقف عليهما أوقافاً جمة .

وفى سنة ٩٥٧ هـ ، غزا الجنويون مدينة المهدية عاصمة تونس وهدموا أسوارها ، ثم استولوا على جزيرة جربة (وكانت آنذاك تابعة لليبيا) . فهال ذلك السلطان سليم واعتبره تحديا له ، فأرسل لهم أسطولا كبيراً بقيادة سنان باشا ودرغوت بك ، فمتكوا بالأفرنج ، وأسروا حاكم جربة وحرروا مدن المهـدية و بنزرت ووهران ، وحاصروا جزيرة مالطة .

وفى العام التالى ، جاءت أسـاطيل سنان باشا ودرغوت بك إلى طرابلس ، فأنزلت الجنود قرب تاجوراء ، ثم رست سفنهم بمواجهة المدينة ، وكتب سنان باشا

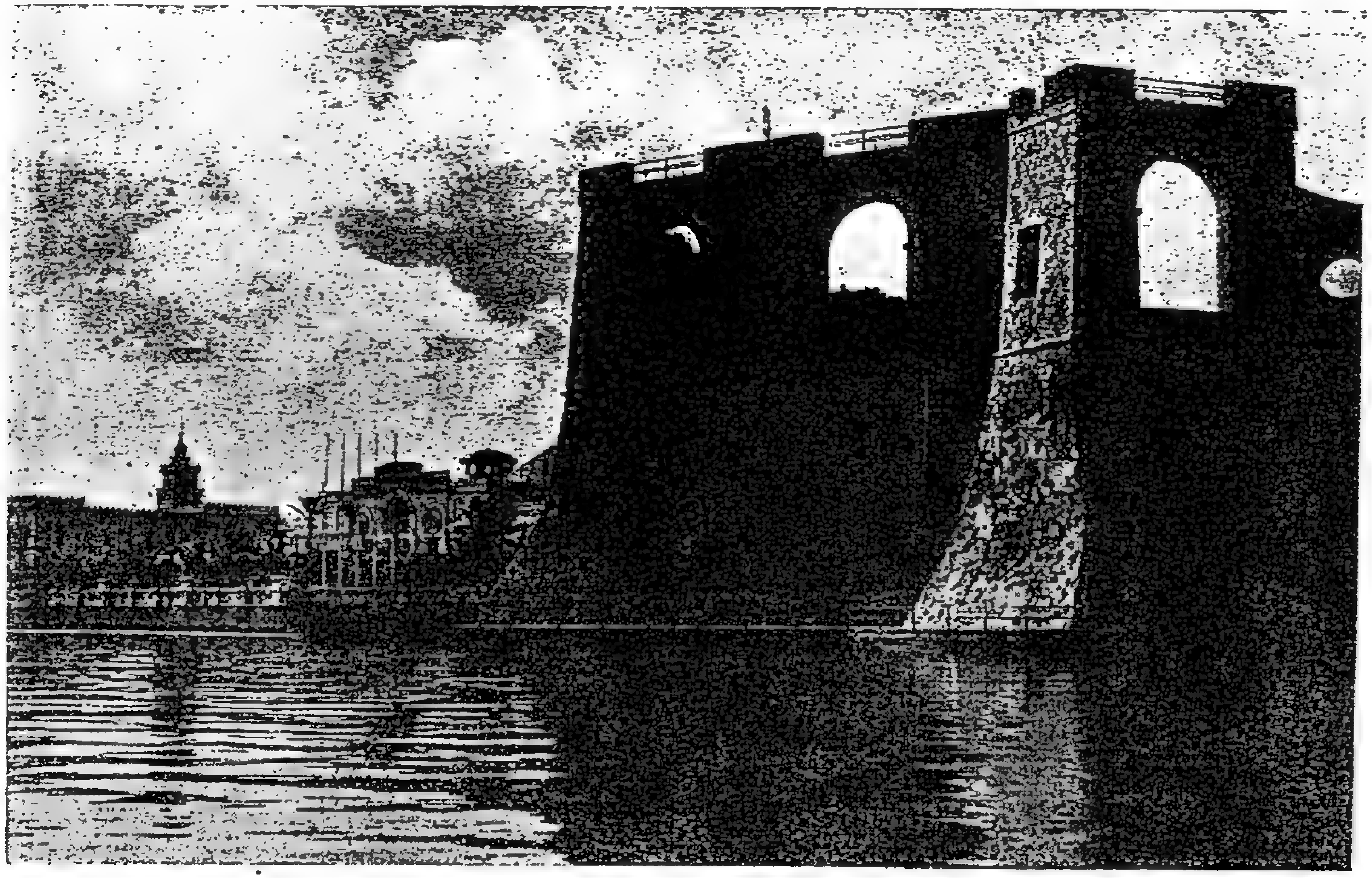

طرابلس — منظر عام للسراى الحمراء (القلعة) من البحر

[تصوير أولا]

إلى حاكمها المدعو دى فالييه ((De Vallier)) يخيره بين التسليم والفناء . فلما جاء رد الحاكم برفض التسليم ، زحف سنان باشـا بجنوده على المدينـة من ناحية برج الشعاب ، بينما أخذ الأسطول التركى بقيـادة درغوت بك يدق المدينة من البحر . وبتاريخ ١٤ أغسطس سنة ١٥٥١م الموافق ١١ شعبان سنة ٩٥٨ هـ استسلم الأسبان ، فدخل الأتراك المدينة واحتلوها . وبذلك دخلت طرابلس فى حوزة العثمانيين .

الفصل الخامس

طرابلس فى العهد العثمانى

(١٥٥١ — ١٩١٢ م)

ترك سنان باشا مراد أغا على ولاية ليبيا تنفيذاً لأمر السلطان ، وأبحر بأسطوله عائداً إلى القسطنطينية ، ولكن ولايته لم تطل إذ توفى عام ٩٦٧ هـ — ١٥٦٠ م . فخلفه قائد الأساطيل درغوت باشا ، وهو يعد من أشهر قادة الأساطيل البحرية فى التاريخ ، وقد اتصف بالشجاعة الفائقة وحب المغامرة(١) . وكان عهده عهد إنشاء وعمران، فاتسعت المدينة ، وأنشأ فيها جامعاً باسمه ، وشيد القلاع والحصون لحماية البلاد ، كما شجع الفلاحة وزراعة البساتين ونشط التجارة ، فتدفقت الأموال إلى جيوب الناس . ولايزال الطرابلسيون يذكرونه بالخير و يجلّونه حتى اليوم .

وقد غزا درغوت باشا بأساطيله السواحل الأوربية غزوات موفقة ، وكان يعود فى كل مرة محملا بالغنائم ، فينفقها على إصلاح المدينة ، ودفع رواتب الجند وما إلى ذلك . وفى عهده ضُمت القيروان وتونس إلى أملاك الدولة العثمانية ، بناء على طلب أهل هذه البلاد .

وفى عام ٩٧١ هـ (١٥٦٤ م) خرج لحصار جزيرة مالطة وحرب الجنويين بالاشتراك مع أساطيل مصطفى باشا و بيالة باشا . وقد أتى فى هذه المعارك بالمعجزات

---

(١) تحوط حياة درغوت اليوم هالة من البطولة الممزوجة ببعض الخرافة . ولقبره منزلة كبيرة عند العامة ، فيزورونه للتبرك ، كما يقدمون له النذور . وينحدر درغوت من أصل أناضولى ، ولعل هذا يفسر شجاعته المتناهية وصلابته فى القتال مما خلد إسمه فى التاريخ .

مما سجله له التاريخ حتى استشهد فى إحدى المواقع ، فعادوا بجثته إلى طرابلس ودفن فى جامعه سنة ٩٧٢ هـ . وقد كرم السلطان العثمانى مدينة طرابلس التى ضمت تربتها جسد درغوت ، بأن أهدى إليها إحـدى شعرات الرسول (ص) ، وهى محفوظة إلى اليوم فى جامعه .

وكان درغوت يستعين فى حروبه بفرقة من الجنود الأتراك عرفوا باسم الأنكشارية(١) . فلماتوفى درغوت بدأوا يتذمرون ، وقويت شوكتهم حتى سيطروا على الولاة وأفسدوا فى البلاد ، بل كانوا يفرضون الولاة أحياناً على السلطان ، و يعزلونهم أو يقتلونهم . وظلت الحالة كذلك إلى أن تولى على طرابلس أحمد باشا القره مانلى(٢) يوم الخميس ١٣ جمادى الآخرة سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) ، وكان من أعظم الولاة العثمانيين شجاعة واقتداراً ، وصفه المؤرخون بالعدل والإنصاف ولين العريكة . إلا أنه لم يمض على اختياره أسبوع واحد حتى قدم خليل باشا الوالى الأسبق فى أسطول من القسطنطينية ، ومعه فرمان سلطانى بإعادته إلى ولاية ليبيا ، فلما منعه أحمد باشا من النزول فى المدينـة ، توجه خليل باشا إلى زوارة ونزل فيها بجنوده ، وانضم إليه بعض العرب . فلما اتصل خبره بأحمد باشا سار لقتاله ، ونشبت بين الفريقين معارك هائلة انتهت بقتل خليل باشا وفرار جنوده . و بعد قليل جاء فرمان سلطانى بتقليد أحمد باشا القره مانلى ولاية ليبيا ، و بذلك استتب له الأمر ، و بدأ حكم الأسرة القره مانلية فى هذه البلاد .

وفى سنة ١١٣٢هـ ، عين أحمد باشا أخاه الحاج شعبان بك لولاية برقة ، كما أخمد عدة ثورات فى أنحاء متفرقة من البلاد ، حتى دانت له جميع الأقاليم الليبية . فانصرف

---

(١) أصلهم من شـعوب الدول البلقانية وأوربا الوسـطى ، كان الأتراك يأخذونهم أطفالا ويربونهم فى المعسكرات والقصور تربية إسلامية ، ويدربونهم على الجندية والحرب . وقد اشتركوا فى كثير من الفتوحات والمعارك ، وأبدوا فيها شجاعة فائقة .

(٢) قدم جد الأسرة القره مانليه إلى طرابلس فى عهد درغوت باشا . وقد تزوج من سيدة عربية من سكان طرابلس ، وظل أبناؤه فى المدينة منذ ذلك التاريخ .

بعد ذلك إلى التعمير ، وأنشأ فى مدينة طرابلس جامعاً عظيماً يحمل اسمه ، فى مكان المسجد الذى بناه الفاتح عمرو بن العاص ، وألحق به مدرسة لنشر العلم وأوقف عليهما أوقافا كثيرة . كما بنى البرج المعروف ببرج « المندريك » الكائن فى الجهة الغربية من ميناء طرابلس . واستمر احمد باشا على ولاية طرابلس إلى أن توفى فى السادس عشر من شوال عام ١١٥٨ هـ .

وقد تولى بعده ابنه محمد باشـا القره مانلى بفرمان سلطانى . ولم تحدث فى زمنه فتن داخلية . فوجه جهوده نحو تجديد الأساطيل البحرية وتقويتها ، فلما انتهى من ذلك أرسلها لقتال الأوربيين وغزو بلادهم ، فكانت تعود محملة بالغنائم الوفيرة . وفى سنة ١١٦٧ هـ توفى محمد باشا ، فخلفه ابنه على باشا ، الذى وجه جهوده هو الآخر نحو تقوية الأسطول وغزوالسواحل الأوربية ومصادرة سفن الأفرنج حتى اتهموه بالقرصنة . وقد حاولت بعض الدول استرضاءه ، وعقدت معه معاهدات لضمان حرية مرور سفنها التجارية . وفى أواخر حكمه ، قلت الإيرادات وعجز عن دفع الرواتب ، فتتابع فرار الجنود ، وخلا الجو لقطاع الطرق والمجرمين ، وعمت الرشوة بين الموظفين . فاجتمع بعض الأعيان والأمراء واستقر رأيهم على أن يلتمسوا من السلطان عزل على باشا . فلما سمع بذلك يوسف بك أصغر أولاد على باشا ، قرر أن يستولى على الولاية خشية قدوم وال آخر من القسطنطينية . ولـكى يخلو له الجو ، هجم ذات يوم على أخيه حسن بك وكان جالسا مع والدته ، فقتله وقطع يد والدته أثناء محاولتها اليائسة لحماية ولدها الآخر . ويقال أن آثار الدم مازالت ظاهرة إلى اليوم فى مكان الحادث (١) .

وفى سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٣م) قدم الشيخ خليفة بن عون إلى طرابلس فى جموع من عربان الأقاليم ، وانضم إليه أهالى المنشية والساحل ، طالبين تولية يوسف بك وعزل على باشا . فحاصروا المدينة مدة ثمانية وثلاثين يوما . فانتهز أحد كبار

---

(١) فى إحدى غرف القصر ، وهى جزء من المتحف ، وتقع فى « السراى الحمراء » مقر الحكومة الاتحادية اليوم .

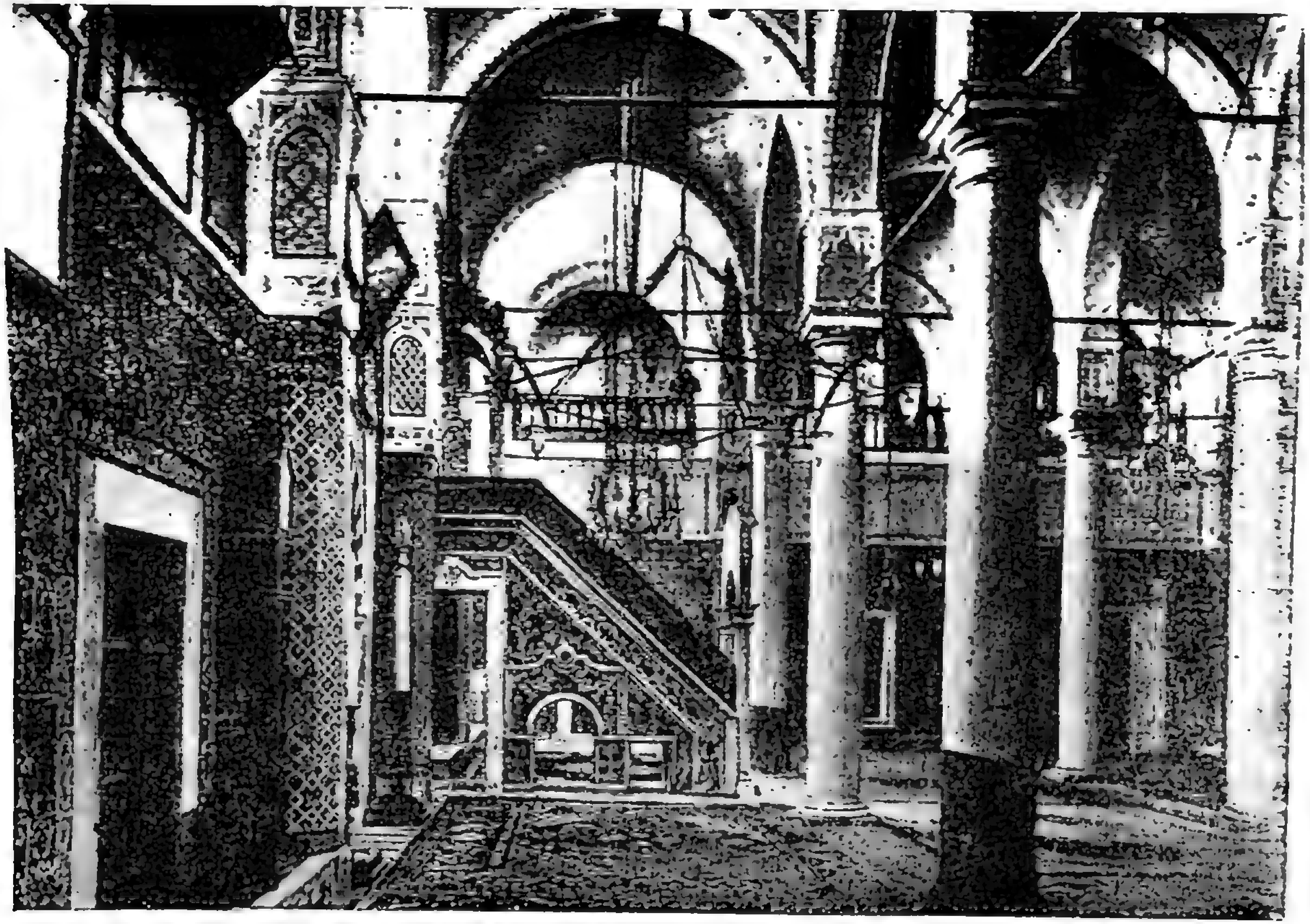

منظر داخلي لجامع أحمد باشا القره مانلي – طرابلس

[تصوير جناح]

الموظفين الأتراك فى الجزائر واسمه على باشا برغل هذه الفرصة، فذهب إلى القسطنطينية مطالبا بولاية ليبيا لنفسه، على أن لا يكلف الدولة مالا أو جنداً ،حتى تمكن ، بمساعدة أخ له هنـاك ، من الحصول على فرمان سلطانى بتعيينه والياً على ليبيـا ، وعاد إلى طرابلس ومعه أسطول وبعض الجند ، فاحتل المدينة بعد أن فرّ منها واليها الأسبق على باشا القره مانلى إلى تونس ، حيث لحق به إبناه احمد بك ويوسف بك .

إلا أن عهد برغل لم يطل فى طرابلس ، إذ تمكن القره مانليون من استعادة إمارتهم على طرابلس بمسـاعدة شقيق على باشا برغل نفسـه ، الذى كان والياً على تونس — وكانت بين الشقيقين عداوة — فلما استعادوا طرابلس سـنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٥م) ، اجتمع العلماء والأعيان وعينوا احمد بك القره مانلى والياً على طرابلس ، كما عاد إلى المدينة على باشـا واليها الأسبق . وقد ظل احمد بك على ولاية طرابلس مدة أربعة عشر شهراً فقط ، إذ ثار عليه السكان سنة ١٢١٠ هـ بإيعـاز من أخيه يوسف الذى كان لا يزال يهدهد أحلامه بالولاية ، ففر إلى مصراته ، ومنها إلى مالطة .

وهكذا أفلح يوسف باشا أخيراً فى بلوغ ما كان يرمى إليه ، وظل فى الولاية نحو خمس وأربعين سنة . وفى أوائل عهده ، بلغت طرابلس زهرة مجدها إذ بنى ثلاث عشرة سفينة حربية غزا بها سواحل إيطاليا وفرنسا وجزيرة مالطة ، وأسر كثيراً من سفن الأوربيين ، كما أنشأ حصوناً جديدة فى بعض المواقع من سور طرابلس ، وعزز وسائل الدفاع عن المدينة . وفى سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ، فرض يوسف باشا إتاوة مالية على دولة السويد قدرها مائة ألف فرنك تدفع فوراً ، ومبلغ ٨٠٠٠ فرنك تدفع سنويا . فلما رفضت السويد دفع هذه المبالغ ، أرسل يوسف باشا أساطيله لمهاجمتها ، وغنم بعض سفنها ، حتى اضطرت السويد أخيراً لأن تدفع غرامة قدرها ثمانون ألف فرنك ، واتاوة سنوية قدرها ثمانية آلاف فرنك .

ونظراً للتهديد الواقع على السفن الأمريكية فى المياه الطرابلسية ، بل فى مياه البحر المتوسط كلها ، فقد طلب القنصل الأمريكى من يوسف باشا أن يعقد معه معاهدة على غرار المعاهدة السويدية . ولكن يوسف باشا طالبه بأتاوة جسيمة لم ترض أمريكا بدفعها . فهاجمت أربعة سفن حربية أمريكية مدينة طرابلس عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٤ م) وقذفتها بنيران المدافع مدة عشرين يوماً [1] . وقد فقد الأمريكان فى حصار مدينة طرابلس اثنين من سفنهم ، فاضطرت السفينتان الباقيتان إلى الانسحاب إلى جزيرة مالطة حيث اتصل قائدها بالوالى السابق أحمد بك القره مانلى ، وأغراه على الانضمام إليهم مقابل إعادته لولاية ليبيا . فلما اتفقوا على ذلك ، قدموا مدينة درنة فى برقة ، حيث أنزل الأمريكان جنودهم و بدأوا الزحف غرباً نحو طرابلس . وأخذ الأهالى يفدون فى هذه الأثناء على أحمد بك معلنين ولاءهم له . فخشى يوسف باشا مغبة ذلك ، وسارع إلى مصالحة الأمريكان بواسطة القنصل الإنجليزى فى طرابلس ، وانسحب أحمد بك إلى مصر حسب نصوص الاتفاق .

و بعد هذه الهزيمة ، تنفس الأوربيون الصعداء ، فامتنعوا عن دفع الأتوات ، بل إنهم أخذوا فى مهاجمة مدينة طرابلس بأساطيلهم للانتقام مما حل بهم فى السابق . وبالتدريج ، ضعف نفوذ أحمد باشا وقلت إيراداته نظراً لانعدام المورد السابق من الأتاوات والغنائم البحرية مما اضطره إلى الاستدانة من بعض رعايا الدول الأجنبية خصوصاً إنجلترا وفرنسا ، كما فرض الضرائب الفاحشة على السكان لسداد هذا الدين وغير ذلك من النفقات — التى لم يكن بعضها فى نظر الأهالى ضرورياً — فأخذ التذمر يعم الناس ، ثم ثارت بعض القبائل ، وعجز يوسف باشا عن كبح جماحها . وقد اضطر فى أواخر سنى حكمه إلى بيع بعض سفنه الحربية ، وصهر مدافعها النحاسية وسكها نقوداً .

(١) كان رئيس الجمهورية الأمريكية فى ذلك الوقت توماس جفرسون . وقد أسر الطرابلسيون إحدى السفن الامريكية واسمها « فيلادلفيا » ، فلما دخلت الميناء السفينة الامريكية « إنتربيد » لانقاذها ، انفجرت لسبب غير معروف حتى الآن ، وغرقت فى الميناء .

وقد ازدادت الحالة سوءاً بعد ذلك ، حتى اضطر يوسف باشا إلى التنازل عن الولاية لابنه على بك . ولـكن الأمر كان قد استفحل واشتدت ثورة الناس ، إلى أن أمر السلطان — بناء على طلب الشعب — بنزع الولاية من الأسرة القرهمانلية و إعادة ليبيا ولاية عثمانية تحت الحـكم المباشر ، وذلك فى عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) .

ففى شهر مايو من تلك السنة ، أبحر أسطول تركى مؤلف من اثنين وعشرين قطعة بحرية قاصداً ميناء طرابلس . وعندما صعد على باشا القره مانلى إلى سفينة الأميرال لاستقبال مصطفى نجيب باشا ، ممثل السلطان ، أمر هذا باعتقاله على ظهر السفينة ، ونزل نجيب باشا ليعلن خلع على باشا بأمر السلطان ، وتولية محمد رائس باشا . ولما وصل رائس باشا فى شهر سبتمبر من السنة ذاتها ، كان أول عمل قام به هو إجلاء أفراد الأسرة القره مانلية إلى اســـتانبول ، باستثناء يوسف بك القره مانلى و بعض أولاده .

وفى أواخر سنة ١٨٣٦م ، عين الأميرال طاهر باشا لولاية ليبيا . وقد حدثت بعض الثورات فى عهده ، فعزل فى شهر أبريل من السنة التالية ، وعين مكانه حسن باشا . ولـكنه لم يكن أسعد حظاً من سابقه ، فاستدعى إلى استامبول وعين على عسكر باشا مكانه ، فاستطاع أن يقضى على ثورة الجبل و يلقى القبض على زعمائها.

وقد تتابع الولاة العثمانيون بعد ذلك على ليبيا[1] ، وتخللت حكمهم الثورات والقلاقل ، إلى أن جاء سامى باشا سنة ١٨٧٤ م ، فاستطاع أن يخضع البلاد لحـكمه ، ونظم الضرائب ، وشجع الصناعات المحلية . وخلفه فى الحـكم مصطفى عاصم باشا ، الذى كان رجلاً فاضلا حازماً ، يصر على الاتصال بالسكان لسماع شكاياتهم . وقد تجول لهذا الغرض فى أنحاء البلاد ، وقطع دابر الرشوة ، كما إنه رفض أن يقبل هدية من الذهب قيمتها حوالى ١٦٠٠ جنيه استرلينى ، قدمها له أهالى غدامس .

---

(١) أنظر الملحق رقم ٦ فى آخر الـكتاب .

وفى سنة ١٨٧٩ ، عين أحمد عزت باشا لولاية ليبيا ، فاستطاع أن يكسب حب الأهالى وتقديرهم . وأسس مدرسة الصناعات بطرابلس ، ومستشفى للغرباء ، وسوقاً فى المدينة أسماه « سوق الحميدية » ، كما أصلح جزءاً من سور المدينة ، وأمر ببناء منارة على ميناء طرابلس .

وكانت أطول مدة قضاها وال عثمانى فى طرابلس هى فترة ولاية أحمد راسم باشا ، إذ دامت أكثر من خمسة عشر عاماً . وفى أثناء هذه المدة ، أسس راسم باشا المدرسة الحربية فى باب البحر ، وجلب الماء إلى مدينة طرابلس بالأنابيب ، وأمر بزراعة الآلاف من شجر التوت لتربية دودة القز لاستخراج الحرير وصنعه ، وغير ذلك من الإصلاحات الكثيرة .

وفى عهد نامق باشا (١٨٩٨ — ١٨٩٩) أسست مدرسة الفنون والصنائع بطرابلس ، ومدت أنابيب جديدة لتغذية المدينة بمياه الشرب . وبعد نامق باشا عين هاشم باشا ، وتلاه بعد شهور قليلة حافظ باشا ، وجاء بعده حسن باشا (سنة ١٩٠٣) والفريق رجب باشا (سنة ١٩٠٦) ، وفى عهده استتب الأمن وأنشىء سوق المشير والمدرسة العليا وعدد من المدارس الابتدائية . فلما عين وزيراً للحربية فى استانبول ترك بكير بك نائباً عنه ، ولم يكن محبوباً من الأهالى ، فعين أحمد فوزى باشا (سنة ١٩٠٩) . وفى آخر السنة نفسها عين ابراهيم باشا ، وفى عهده ساءت الأحوال بين الدولة العلية وإيطاليا . وفى سنة ١٩١١ ، سافر ابراهيم باشا إلى استانبول لمحادثة ذوى الشأن هناك ، وخلف مكانه أحمد راسم باشا . وفى عهده استولت إيطاليا على هذه البلاد ، فى زمن السلطان محمد رشاد .

وقد حاولت إيطاليا ، قبل احتلالها هذه البلاد ، أن تخلق ذريعة لمحاربة تركيا . وحاولت التحرش بالأتراك عدة مرات ، كما أرسلت أساطيلها إلى السواحل الطرابلسية للاستكشاف وإثارة الشعور . وفى نفس الوقت ، اتخذ الإيطاليون خطة التسرب

تدريجياً إلى طرابلس أثناء سنوات العهد العثمانى الأخيرة ، (ولاية رجب باشا) ، عن طريق إنشاء بعض المؤسسات التجارية والثقافية ، ومحاولة كسب ثقة السكان واستمالتهم إلى جانبهم . فأنشأوا « بانكو دى روما »، وألحقوا به قسما لشراء الآنية المكسورة بثمن يكاد يعدل ثمنها وهى جديدة . وأنشأوا البناء الضخم القائم فى شارع هايتى ، وهو الذى تشغله الكلية الفنية اليوم ، وكان عند إنشائه مقراً لحركة تجارية فى الظاهر ، وللجاسوسية الإيطالية فى الخفاء . وكانت بداخل هذا البناء طاحونة ميكانيكية لطحن الدقيق والسميد للأهلين بأسعار زهيدة جداً ، كما كانت تبيعهم الدقيق الفاخر المستورد من إيطاليا بأثمان رخيصة . وأنشأوا كذلك داراً للسينما على شاطىء البحر ، و بعض المؤسسات الأخرى . وكلها تهدف ، كما قلنا ، لاستمالة السكان و بث الدعاية الإيطالية ، وقبل كل شىء لكى تكون عيوناً لقلم الاستخبارات الإيطالى والجاسوسية الإيطالية .

و بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٩١١ ، كان صبر إيطاليا قد نفذ ، فكشفت عن وجهها القناع ووجهت إنذاراً إلى حقى باشا الصدر الأعظم فى استانبول تطلب فيه تسليم ليبيا ، وقد سارع حقى باشا إلى تلبية هذا الطلب ، وأمر جنوده بالإنسحاب من طرابلس والعودة إلى استانبول دون قتال . و بينما أخذ الأتراك يتجمعون عند قرقارش تمهيداً لانسحابهم ، دخلت ميناء طرابلس باخرة ترفع العلم الألمانى واسمها « درنه » . فلما علم السكان أن هذه الباخرة تنقل سلاحا ، استولوا عليها ووزعوا حمولتها على القرى والقبائل المختلفة . و بعد ذلك اجتمع الشيوخ والزعماء ، وأخذوا فى إرسال البرقيات إلى استانبول ، وفيها يبدون استعدادهم للقتال . فلما تراكم سيل البرقيات على الباب العالى ، سقطت وزارة حقى باشا وقامت وزارة سعيد باشا الذى أعلن الحرب على إيطاليا بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ .

وقد شكل الطرابلسيون خطاً للدفاع على طول الساحل ، وكان معهم عدد قليل

من الجنود الأتراك لايزيد على ثلاثة آلاف . كما أقيمت خطوط دفاعية أخرى في طرابلس والخمس وزوارة . و بتاريخ ٣ أكتوبر سنة ١٩١١، وصلت البوارج الحربية الإيطالية ميناء طرابلس وأخذت تقذف المدينة بقنابلها . ثم أنزل الإيطاليون جنودهم في المدينة وكان عددهم حوالى المائة وعشرين ألفاً مجهزين بأحدث الأسلحة . وفي هذه الأثناء كان الطرابلسيون قد أتموا تنظيم صفوفهم وجمعوا ماوصلت إليه أيديهم من الأسلحة . فلما خرج الإيطاليون محاولين التقدم ، التحموا مع المجاهدين في معركة يشيب لهولها الولدان . وكان ذلك في يوم الإثنين ٢٣ أكتوبر سنة ١٩١١، في محلة الهانى من أرض المنشية . وقد قتل في هذه المعركة ، التى مازال بعض الطرابلسيين يذكرونها إلى اليوم ، عدة آلاف من الإيطاليين ، واضطربت صفوفهم ، فاضطروا للتقهقر والمجاهدون في أثرهم حتى كادوا يدخلون المدينة ذاتها . وقد فقد الإيطاليون أعصابهم بعد هذه المعركة ، وأفرغوا غضبهم على سكان مدينة طرابلس ، فأخذوا يقتلون الشيوخ والأطفال بدون وعى ، واستشهد في تلك الأيام خلق كثير .

و بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١١ ، التحم الإيطاليون مرة أخرى بالمجاهدين العرب في معركة أشدّ من الأولى ، وقد تمكن الإيطاليون بعدها من استرجاع « الهانى » ، واحتلوا سيدى المصرى[(١)] ، وما جاورها من الأراضى . واستمرت المعارك بعد ذلك والعرب ثابتون يقاتلون بعزم ونفوس متقدة بالغيرة على الوطن والدين ، إلى أن عقدت تركيا معاهدة « أوشى » مع إيطاليا بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ ، و بموجبها سلمت ليبيا إلى إيطاليا رسمياً .

و بإعلان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ، استؤنف القتال مرة أخرى بين إيطاليا وتركيا ، فاتصل الأتراك بالليبيين واتفقوا معهم على محاربة إيطاليا ،

---

(١) سيدى المصرى أحدى ضواحى مدينة طرابلس، وتبعد كيلومتراً واحداً عن سور المدينة . وتقوم فيها اليوم كلية المعلمين وبعض حقول التجارب الزراعية .

وأمدوهم بالأسلحة والذخائر بواسطة الغواصات الألمانية ، كما جاء بعض الضباط الأتراك لقيادة الحركة ومنحهم المال اللازم . فأنشأ الطرابلسيون حكومة وطنية عام ١٩١٤ فى مصراته برئاسة رمضان السويحلى ، وعين الأتراك الأمير عثمان فؤاد حفيدالسلطان مراد أميراً على البلاد ، كما تولى أحد الضباط الأتراك ، واسمه إسحق باشا ، القيادة العامة للجيش الطرابلسى . فأخذوا يشنون على الإيطاليين حرب العصابات ، وتقهقر الإيطاليون إلى داخل مدينة طرابلس حيث اعتصموا طيلة مدة الحرب . فلما أعلنت الهدنة عام ١٩١٨، كانت الحرب قد انجلت عن هزيمة تركيا وحلفائها ، وهكذابقيت ليبيا فى أيدى إيطاليا . ولكن الأهلين لم ييأسوا ، واستمروا فى جهادهم بشجاعة رغم الظروف القاسية المحيطة بهم ، مما أكسبهم إعجاب العالم كله . ولم يتم إخضاع ليبيا نهائياً لحكم الطليان إلاّ عام ١٩٣٢ ، فأخذوا ينكلون بالعرب ، و ينتقمون منهم أيما انتقام .

الحالة الاجتماعية والمالية والعمرانية
فى العهد العثمانى

الحيـاة الاجتماعية ووصف حالة المدينة :

لا تختلف الحياة الاجتماعيـة فى طرابلس اليوم كثيراً عما كانت عليه فى العصر العثمانى ، فلم تكن عادات السكان أو معتقداتهم أو نظمهم الاجتماعية أو ملابسهم تختلف عما هى عليه اليوم(١) .

وإذا قلنا العهد العثمانى ، فإنما نعنى بذلك الفترة التى بدأت عام ١٨٣٥ ، عندما جعلت طرابلس ولاية عثمانية تابعة لاستانبول رأساً، وهى الفترة التى أجريت خلالها معظم الإصلاحات والتنظيمات الإدارية الحديثة فى هذه البلاد .

وقد قُدِّر عدد سكان مدينة طرابلس عام ١٩٠٨ بحوالى ٣٢٫٠٠٠ نفس ، منهم ٢١٫٠٠٠ مسلم والباقون من جنسيات متفرقة . وقد صـدر أول قانون عثمانى لتنظيم شئون البلديات وضبط سجلات المواليد والوفيات عام ١٨٧٢ ، وفى العام التالى أُنشئت بلدية طرابلس وقُسِّمت المدينة إلى ٢٢ محلة لكل منها « مختار » هو حلقة الاتصال بين السكان والإدارة . وقد عهد المجلس البلدى — وعدد أعضائه عشرة ينتخبون من بين السكان بطريقة الاقتراع المباشر — بالإشراف التام على شـئون الصحة ومراقبة الأسواق ونظافة المدينة وإطفائيات الحريق وإنارة الشوارع ومراقبة الملاهى والمحلات العامة .

وقد نشطت حركة الملاهى والمقاهى فى مدينة طرابلس فى أواخر ذلك العهد ،

(١) انظر الفصل الثانى من القسم الآتى من هذا الكتاب .

حتى أنه كانت فى المدينة سنة ١٩١١ داران لعرض الصور المتحركة (السينما) وثلاثة فنادق ، واثنان وسبعون مقهى ، وتسعون حالة لبيع الخمور .

وكان بها من المستشفيات ثلاثة : واحد أنشأته الحكومة ، ويضم ٢٥٠ سريراً . والثانى أنشأته البلدية وبه خمسون سريراً . والثالث أنشأته الإرسالية الإنجليزية وبه عشرة أسرة . أما الأطباء فكان أكثرهم من الأتراك ، والبعض الآخر من اليونانيين .

وقد جلب العثمانيون مياه الشرب النقية إلى مدينة طرابلس من عيون أبو مليانة وعين زارة فى أنابيب خاصة .

أما الشوارع ، فكان أكثرها نظيفاً معبداً ، وكانت تضاء بمصابيح البترول ، فيما عدا بعض الحارات والأزقة التى ظلت على حالها ، وخصوصاً فى الأحياء التى كان يسكنها اليهود .

التقسيمات الإدارية :

أما من الناحية الإدارية ، فقد أقام الأتراك بإجماع آراء الكتاب حكما نظيفاً منظماً ثابت الأركان . وكانت ليبيا مقسمة إدارياً ، حتى عام ١٨٤٣ ، إلى ثلاث مقاطعات وهى : طرابلس ، ومصراته ، وبنغازى . ثم أعيد تقسيمها عام ١٨٤٣ إلى قسمين فقط هما ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازى . وكانت هذه الأخيرة تابعة لأستانبول رأساً فيما عدا الشئون العسكرية ، والجمارك ، والقضاء ، فكانت تخضع فيها للوالى فى طرابلس .

وفى سنة ١٨٦٩ ، أنشئت فى ليبيا المحاكم المدنية والجزائية ، وكانت درجاتها كما يلى : (١) محكمة الصلح (٢) المحكمة الابتدائية (٣) محكمة الجنايات (٤) محكمة الاستئناف (٥) محكمة التمييز (ومركز هذه الأخيرة فى استانبول) .

وكان جميع القضاة من الأتراك فى أول الأمر ، ثم أخذ الليبيون يشغلون بعض هذه المناصب بالتدريج .

وإلى جانب هذه المحاكم ، كانت تقوم المحاكم الشرعية للفصل فى القضايا والمنازعات الشرعية والأحوال الشخصية للمسلمين . وكان على رأس هذه المحاكم « قاضى قضاة » معين من استانبول . كما كان للولاية مفتى يعين من استانبول أيضاً .

وقد فتح الأتراك لأبناء البلاد أبواب المناصب الإدارية والحكومية العامة ، فكان منهم مديرو النواحى ، ومديرو المال ، والقائمقامون ، والمتصرفون ، وضباط البوليس والجنود . كما كان من بينهم نواب فى مجلس المبعوثان (النواب) العثمانى باستانبول .

الشئون المالية والاقتصادية :

كان الأجانب معفون من ضرائب معينة ، كما كانت سفنهم معفاة من دفع رسوم الموانئ .

وبالرغم من أن ثلث رواتب الجيش كان يرسل من استانبول ، إلا أن الإيرادات المحلية لم تغط أبواب المصروفات قط إلا مرتين فقط ، وذلك فى عامى ١٨٩٤ و ١٩٠٣ م .

وكانت إيرادات الولاية تتألف من حصيلة عدد من الضرائب أهمها :

ضريبة الويركو — وتشتمل على : (١) الضريبة الشخصية على السكان ومقدارها ٤٠ قرشاً عن كل ذكر بالغ . (٢) ضريبة الحيوانات ، ومقدارها ٤٠ قرشاً عن كل جمل ، و ٢٠ قرشاً على كل بقرة أو ثور ، و ٤ قروش على كل رأس غنم ، وقرشان على كل رأس من الماعز . (٣) ضريبة الأشجار ، ومقدارها قرشان ونصف

على كل شجرة زيتون أو نخلة . بينما كانت باقي الأشجار معفاة من دفع هذه الضريبة .

ضريبة العشر على الحبوب — وكانت تجبى عيناً من المحصول بمقدار العشر .

ضريبه العقار — وكانت تجبى بمعدل ١٠ ٪ من قيمة الدخل ، إلى جانب ٥ ٪ أخرى من أصل الضريبة تؤخذ حصيلتها للانفاق على التعليم .

ضريبة الدخل — وكانت تجبى من التجار وأصحاب الحرف والصناعات بمعدل ٥ ٪ على صافي الدخل .

ضريبة الجمارك — وكانت تؤخذ على كافة البضائع المستوردة بمعدل ٨ ٪ ، وعلى البضائع المصدرة بواقع ١ ٪ .

وكانت هنالك ، غير هذه الضرائب أنواع أخرى ولكنها أقل أهمية منها ، كضريبة الموانىء (لغير الأجانب) وبدل الخدمة العسكرية (لغير المسلمين) ، وضريبة الدخان ، وضريبة تسجيل بيع العقارات والأموال غير المنقولة ، وغيرها .

وقد أنشىء في طرابلس عام ١٩١٠ بنك للتسليف الزراعي ، بأموال تركية ، كما أنشيء صندوق يدعى « صندوق الإحتياج » لمساعدة التجار و إصدار القروض العامة والشخصية .

قانون الملكية :

صدر أول قانون عثماني ينظم ملكية الأراضي والعقار بتاريخ ٢١ ابريل عام ١٨٥٨ م ، وتشكلت على أثر ذلك دائرة لتسجيل الأراضي في ولاية طرابلس ، فكانت تصدر «كواشين طابو» لأصحاب الأملاك ، تبين اسم صاحب العقار وحدوده وأوصافه . وقد أنشئت إلى جانب هذه الدائرة محكمة خاصة للفصل في المنازعات بين

الأهالى حول الملكية ، كما حصرت الأراضى والأملاك الحكومية ، ورصدت فى سجلات خاصة .

الصناعة والتجارة والزراعة :

شجع الأتراك صناعة النسيج فى طرابلس وكان عدد الأنوال المستعملة عام ١٩١١م كما يلى :

١٧٠٠ نولا لنسج القطن

٣٥٠ نولا لنسج الصوف

١٥٠ نولا لنسج الحرير

وذلك إلى جانب عدد آخر من الأنوال فى بعض المدن الطرابلسية الأخرى ، مثل مصراتة وغيرها .

وأشهر أسواق المدينة فى ذلك العصر هى : سوق الترك ، وسوق الرباع ، وهى أسواق مسقوفة من النوع (الجيـدى) وقد اشتهرت بتجارة المنسوجات والملابس « والحوالى » بنوع خاص .

ومن الصناعات التى ازدهرت فى ذلك العهـد أيضاً : صناعة السجاد والبسط والحصر ، وصناعة الخزف ، وصناعة صيد الأسفنج ، وغيرها .

وقد اشتهرت طرابلس فى العهد العثمانى بتجارة نبات الحلفا الذى كان يصـدر إلى بريطانيا لاستخدامه فى صناعة الورق . وكان يباع القنطار منه بسبعة عشر قرشاً تركيا [1] . وقد بلغ معدل ما كان يصدر منه فى العام حوالى ثلاثون ألف طن .

(١) تشترى انجلترا طن الحلفا اليوم بخمسة وثلاثين جنيها . والحلفا نبات برى لاينبت إلا فى طرابلس الغرب وبعض جهات تونس .

سوق المشير — طرابلس

[تصوير جناح]

أما التجارة ، فقد عُرفت طرابلس منذ القدم بأهميتها التجارية لموقعها الهام على البحر المتوسط، فى مواجهة الموانئ التجارية الهامة فى ذلك العصر ، وعلى رأس طريق القوافل المؤدى إلى البحر من الدواخل الأفريقية . وكانت نيجيريا أهم البلاد التى ارتادها الطرابلسيون وأنشأوا معها علاقات تجارية ، ويلى ذلك السودان . فكانت القوافل تذهب محملة بالبضائع القطنية والصوفية ومناديل الحرير والشاى والسكر والبن والورق والزجاج والمرايا ، وتعود محملة بالعاج وريش النعام والجلود والبخور والسنامكى وبعض المنسوجات السودانية . فتباع هذه البضائع فى الأسواق الطرابلسية ، أو تشحن إلى الخارج وخصوصا إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية . وقد أثرى كثير من الطرابلسيين من تجارة القوافل هذه ، فانتعشت حالة البلاد ، وكثر استجلاب العبيد من أواسط أفريقيا حتى أصبح لكل عائلة متوسطة عبد أو عبدة أو أكثر . وظلت الحالة كذلك إلى أن احتلت فرنسا وانجلترا المناطق الأفريقية المذكورة ، فتحولت التجارة عن طرابلس ، وأصبحت البضائع الأفريقية تشحن بالبواخر رأساً إلى الموانئ الأوربية (١) .

ومن الناحية الزراعية ، فقد نشّط الأتراك زراعة الأراضى وغرس البساتين وقدموا القروض الزراعية لهذا الغرض ، وأقاموا حدائق للتجارب الزراعية فى سيدى المصرى ، عرفت باسم « سوانى راسم باشا » (٢) . وهم أول من أدخل زراعة شجر التوت إلى طرابلس لتربية دودة الحرير .

التعليم والصحافة والطباعة :

أنشأ العثمانيون عام ١٨٩٩ م مدرسة الصنائع ، وكانت تعرف باسم « مكتب الفنون والصنائع » ، ويديرها ضابط برتبة يوز باشى ، لتعليم أبناء الأيتام وبناتهم

(١) أنظر الملحق رقم ٨ فى آخر الكتاب .
(٢) سوانى جمع سانية ، وهو البستان الصغير .

الحرف والصناعات اليدوية ، وجعلوا لها أوقافاً كثيرة . وكان يعطى الطالب عند تخرجه كمية من النقود و بعض الأدوات ليبدأ حياة مستقلة جديدة . وفى بعض الأحيان ، كان يعطى الطالب أيضاً حانوتاً كامل العدة ، ويزوج من إحدى بنات الأيتام اللواتى تضمهن المدرسة .

وقد أنشأ العثمانيون أيضاً مكتب « الرشيدية » فى طرابلس لتخريج الضباط العسكريين . و بعد تخرجهم كانوا يرسلون إلى استانبول لإتمام تحصيلهم فى الكلية العسكرية هناك . كما أنشأوا المكتب السلطانى للتعليم العالى ، ومدرسة الزراعة بسيدى المصرى ومدرسة المعلمين العليا بطرابلس .

وكان فى ولاية طرابلس قبيل الاحتلال الإيطالى ١٦٦ مدرسة ابتدائية لتثقيف النشء ، وكانت تعرف باسم « رشدية مكتبى » ، و بعض هذه المدارس كانت تنفق عليها إدارة الأوقاف .

وقد شجع الأتراك الصحافة ، فكانت تصدر فى مدينة طرابلس ثمانية جرائد أسبوعية ، منها واحدة فقط كانت تصدر باللغة التركية ، إلى جانب مجلة علمية أدبية شهرية كان يحررها ويصدرها باللغة العربية محمد داود بك ، أحد كبار موظفى مكتب الوالى .

وكانت فى البلاد مطبعتان كبيرتان ، الأولى مطبعة مدرسة الصنائع ، والثانية مطبعة الحكومة ، وقد أنشئت عام ١٢٧٧ هـ ، وفيها كانت تطبع مجلة الفنون المذكورة .

الإنشاء والعمران :

شيد العثمانيون كثيراً من المساجد والقصور والمبانى الحديثة والقلاع ، وأنشأو الطرق والأسواق ، و بعضها لا يزال يحمل أسماء ولاتهم حتى اليوم (مثل سوق

المشير وغيره) . ولا يزال برج الساعة المشهور قائماً فى البلدة القديمة ، ينطق بعناية العثمانيين بالإنشاء والتعمير . ويعود إنشاء أحيـاء ميزران وأبى الخير وشارع الزاوية والعزيزية فى طرابلس إلى ذلك العهد .

وقد مدّ الأتراك لأول مرة فى طرابلس الغرب خطوط البرق ، فوصلت بين أجزاء البـلاد حتى مرزق فى أقصى الجنوب ، كما أنشأوا المواصلات البريدية بين المدن والقرى الريفية[1] .

الجاليـات الأجنبية :

فى مطلع القرن العشرين ، كانت توجد فى طرابلس الغرب الجاليات الأجنبية التاليـة :

(١) الجالية المالطية — وكان عدد أفرادها حوالى ثلاثة آلاف شخص ، يتعاطون أعمالا تجارية مختلفة .

(٢) الجالية الإيطالية — وكان عدد أفرادها حوالى الألف ، أكثرهم يقيم فى مدينة طرابلس ذاتها ، ويشتغلون بالتجارة والتصدير والاستيراد .

(٣) الجالية الإفرنسية — وكان عدد أفرادها حوالى الثمـانمائة ، وبعضهم من أصل يهودى أو تونسى ، وكان أكثرهم يشتغل بتجارة المنسوجات .

وكان غير هؤلاء ، عدد من الأسـبان (حوالى ١٠٠ شخص) ، واليونانيين (حوالى ١٢٠ شخصاً) ، وهذا بخلاف اليهود الذين كان عددهم حوالى السبعة آلاف ، أكثرهم يقيم فى مدينة طرابلس .

(١) تم مد خط البرق بين سرت ومرزق عمر بك المنتصر (جد رئيس الوزراء الحالى) أثناء وجوده قائمقاماً بمدينة سرت ، وقد كافأته الحكومة العثمانية على ذلك برتبة الباشوية .

الفصل السادس

الاستعمار الإيطالى

في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ، زحف بنيتو موسوليني ورجال حزبه الفاشيستى [١] على روما بقصد احتلالها و إسقاط الحكومة القائمة بالقوة ، فتم له ولرجاله ما أرادوا ، وكلفه الملك فكتور عمانويل الثالث بتشكيل الوزارة ، فشكلها وظل فى هذا المنصب يحكم البلاد حكماً دكتاتوريا طول حياته .

و بعد عامين من هذا التاريخ ، أى فى سنة ١٩٢٤ ، بدأ الفاشيست يوجهون اهتمامهم نحو احتلال ليبيا واستعمارها بصورة جدية شاملة . وقد استمر القتال بينهم و بين المجاهدين العرب حتى عام ١٩٣٠ ، حين احتلوا مُرزق فى الجنوب ، وتمكن الجنرال « جرازيانى » من إخضاع برقة بعد إعدام الشهيد الخالد الذكر عمر المختار ، الذى رثاه أمير الشعراء أحمد شوقى بقصيدة خالدة مطلعها هذا البيت :

نصبوا رفاتك فى الرمال لواء   يستنهض الوادى صباح مساء

فلما تم للايطاليين إخضاع هذه البلاد لحكمهم ، وانطفأت فيها آخر شعلة من من الحروب الوطنية ، أخذوا يرتبون استثمارها واستعمارها لفائدتهم . فصادروا أراضى العرب أو أجبروهم على التنازل عنها مقابل قيم اسمية ، وأعطوها لشركات إيطالية شُكلت لغرض تقسيمها و إدارتها وتوزيعها على الفلاحين الإيطاليين . وفى زمن

---

(١) « فاشيست » كلمة إيطالية مشتقة من كلمة « Fascio » ومعناها الحزمة أو الربطة دلالة على الوحدة والقوة .

« بالبو » عام ١٩٣٤ ، أُنشيء نظام (الأنتى)[١] وهدف هذه المؤسسة استثمار (الشاطئ الرابع) كما كان الفاشيست يسمون هذه البلاد ، وجلبوا عدداً كبيراً من الفلاحين الإيطاليين المعروفين بإخلاصهم للنظام الفاشيستى ، كما فتحت أبواب الهجرة إلى هذه البلاد أمام الإيطاليين من جميع الطبقات ، فوفدت إليها طوائف التجار وأصحاب الحرف والعمال — حتى الحالون ومساحو الأحذية ! وحتى عام ١٩٣٦ ، كان الإيطاليون قد أنشأوا عدة مستعمرات زراعية أهمها : أوليفيتى ، والعزيزية ، وكريسبى (قرب مصراته) . وفى هذه الأثناء أتم الفاشيست وضع مشروع الخمس سنوات لاستعمار ليبيا ، فجاءت وفود جديدة من الفلاحين الإيطاليين[٢] ، وأنشأوا مستعمرات جودا وغاريبالدى ونعيمة وغيرها .

وكان الفلاح الإيطالى عند قدومه إلى هذه البلاد ، يجد فى انتظاره أرضاً ممهدة معدة للزراعة ، وبيتاً كامل الأثاث والفرش ، واسطبلا بحيواناته وخيله ، ومؤونه من الطعام تكفيه لمدة شهرين . وقد أنشأت « الأنتى » فى كل مستعمرة مدرسة لأولاد المهاجرين ، وكنيسة ، وعيادة طبية كاملة الأدوات ، ومكتباً للبريد والتلغراف ، وبيتاً للضيافة ، ونقطة بوليس ، بالإضافة إلى المكاتب الحكومية الأخرى . كما حفرت الآبار لتغذية هذه المستعمرات بالمياه ، ووصلت بين المستعمرات والمدن الرئيسية ، خصوصاً طرابلس ، بالطرق المعبدة بالأسفلت .

وفى مستعمرة الأنتى ، كانت تدفع للمزارعين أجور تكفل لهم معيشتهم خلال العامين الأولين ، على أن يسلموا كل منتجاتهم الزراعية إلى الشركة . وفى السنوات التالية ، تتحمل « الأنتى » نفقات التنمية والصيانة ، وتقتسم المنتجات الزراعية مناصفة مع الفلاح ، فتقيد قيمة المحصول المسلم لحساب المزارع . وابتداء من العام السادس ، يصبح المزارع صاحب التصرف فى الأرض وتصبح له حرية بيع المحصول

---

(١) Ente Per La Colonizzatione Della Libya ومعناها بالعربية : المؤسسة الاستعمارية الليبية .

(٢) قدم إلى طرابلس فى سنة ١٩٣٨ وحدها عشرون ألف إيطالى !

فى السوق الحرة ، بينما تقيد عليه أثمان البذور والأدوات والمصاريف الأخرى . وفى السنوات الثلاث الأولى من هذه المرحلة ـ أى السادسة والسابعة والثامنة ـ لا تقيد على المزارع سوى فوائد قيمة الأرض والحيوانات بواقع ٢ بالمائة . وابتداء من العام التاسع ، يبدأ المزارع بسداد ديونه ، على أن يتم ذلك خلال ٢٧ عاما . و بمجرد أن يسدد المزارع ثلث قيمة الأرض تصبح ملكاً خالصاً له .

أما فى أراضى الأنبس Instuto Nazionale Della Previdenza Sociale أى المؤسسة الوطنية للتأمين الاجتماعى ، وهى صنو الأنتى ، فكان المزارعون يمتلكون الأرض بمجرد استلامها ، ولكن لا يسمح لهم ببيع محاصيلهم الزراعية إلا بواسطة المؤسسة ، التى تقوم بإصلاح أراضيهم ، وتقيد قيمة المحاصيل المسلّمة لحسابهم .

وإلى جانب هاتين المؤسستين ، كانت هنالك مؤسسة ثالثة تعرف باسم « الآتى » — أى شركة التبغ الإيطالية — وهذه كانت تقرض المزارعين رؤوس الأموال لاستثمارها فى زراعة الطباق . ومع أنهم كانوا ملزمين بزراعة التبغ كمحصول رئيسى ، غير أنه كان بإمكانهم أن يزرعوا بعض الخضروات والحبوب اللازمة لتغذيتهم فى بعض أجزاء الأرض (١) .

وقد بلغت تكاليف الإنشاءات الزراعية فى ليبيا كلها فى العهد الإيطالى ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٢٨ ليرة إيطالية ، أى حوالى ٢٣ مليون جنيه إسترلينى .

وفيمايلى بيان أسماء المستعمرات المختلفة ، ومساحة كل منها كما كانت سنة ١٩٤٨ :

(١) وضعت إدارة هذه المؤسسات بعد الاحتلال البريطانى عام ١٩٤٣ تحت إشراف مجلس أعضاؤه من البريطانيين والإيطاليين . وفى عام ١٩٤٥ أصبحت المستعمرات جزءاً من مصلحة الزراعة ، وخاضعة لاشراف مدير الزراعة لولاية طرابلس .

أسماء المستعمرات (القرى)	مجموع المساحة المقدمة من الحكومة (هكتار)	المساحة المستثمرة		المساحة المزروعة غابات (هكتار)
		هكتار	عدد القطع	
الآنتى :				
جودا	٢٢٨٨	١٣٠٠	١٠٠	٢٠
كريسبى	٩١٤٠	٣٧٠٠	٣٧٠	٥٠
غاريبالدى	١٩٨٦٩	٩٤٢٠	٣١٤	١٠
ريفليبيرى	١٤٠٨٥	٨٤٠٠	١٦٨	٥٠
فندق بن غشير	١٢٣٥	٨١٠	٢٧	١٥٠
أوليفتى	١٦٧٥	١٤٧٠	٤٩	٥٠
العزيزية	٥٥٦٩	١٢٠٠	٣٠	٢٠
المعمورة	٧١٥	٥٠٠	١٢٥	٥
نعيمة	٥٠٠	—	—	—
المجموع	٥١٫٠٥٨	٢٦٫٧٠٠	١٫١٨٣	٣٥٥
الإينس :				
أوليفتى	١٣٩٥	١٢٨٢	٧٢	—
حشّان	٣٥٤	٣٣٩	١٩	٥
بيانكى	٦١٢١	٤١٦٥	١٦٧	٤١٢
جوردانى	٥٢٠٧	٤٧٢٥	١٨٩	١٠٥
ميكا	٤٨٤٣	٣٧٥٨	١٤٨	٤١
كاستل فردى	٢٢٠٠	١٦٢٥	٦٥	٤٠٠
كورادينى	٢٩٧٣	٢٥٦٠	٦٦	—
ماركونى	٨٢٨٢	٦٦٨٤	١٥٠	—
ترهونة	١٤٧٥٥	١٠٩٥٧	١٨٠	—
المجموع	٤٦٫٢٢٨	٣٦٫٠٩٥	١٫٠٥٦	٩٦٣

(١) مجموع مساحة المستعمرات المقدمة بامتياز من الحكومة الايطالية : ١٢٧٫٠٠٠ هكتار
(٢) مجموع المساحة المزروعة غابات : ٣٫٠٥٠ هكتار

الإدارة والحالة العامة :

استهدف الفاشيست تحويل هذه البلاد إلى أرض إيطالية صميمة ، وطرد سكانها العرب إلى داخل الصحراء . وقد ظهرت هذه السياسة بوضوح بعد احتلال الحبشة عام ١٩٣٥ وإعلان الإمبراطوريه الإيطالية . وفى سنة ١٩٣٧ ، جاء موسولينى لزيارة طرابلس ، وفى هذه الأثناء أهدت له الحكومة باسم العرب ، سيفاً ثميناً محلى بالجواهر النادرة ، وجعلوا اسمه « سيف الإسلام » !

وفى سنة ١٩٣٨ ، أجبرت الحكومة الإيطالية العرب على التجنس بالجنسية الايطالية ، فلقيت هذه الحركة مقاومة من رجال الدين ورجال الفكر ، ولم يقبل على التجنس سوى الموظفين وأقلية من الناس عن اضطرار . غير أن منح الجنسية الايطالية للعرب لم يفدهم فى شيء ، إذ ظلت السلطات الفاشيستية على اضطهادها لهم وملاحقتهم . واضطرت الحكومة بعد ذلك — إزاء تيار المعارضة الشديد — إلى التراخى فى تنفيذ قانون الجنسية الجائر .

إلاّ أن السلطات الإيطالية أخذت تشدد النكير على العرب فى نواح أخرى ، وتعمدت إذلالهم وقهر كبريائهم . فحرمت عليهم الجلوس فى المقاهى الإيطالية ، أو أى مكان آخر يرتاده إيطاليون ، وأمرتهم بأن يحيّوا كل إيطالى يمرون به بالتحية الفاشيستية (رفع اليد)(١) ، ومنعتهم — بقدر الإمكان — من إرسال أولادهم إلى المدارس الثانوية ، واضطهدت اللغة العربية ، وجعلت أسماء الشوارع والميادين كلها أسماء إيطالية ، بل إنهم حرموا على العرب الركوب فى تاكسى أو عربة حنطور إذا كان السائق إيطالياً !

---

(١) كان هذا الأمر ساريا بصفة خاصة فى القرى والدواخل ، ثم ألغى بعد ذلك لما تبين للادارة الايطالية سخفه .

هكذا كانت إيطاليا تحكم هذه البلاد ! وهذه هي السياسة التي كان الفاشيست يريدون أن يكسبوا بها العرب والمسلمين !

* * *

كانت القوانين التي تنفذها إيطاليا في هذه البلاد هي القوانين الإيطالية ، واللغة الوحيدة التي كانوا يعترفون بها سواء في المعاملات الرسمية أو في المخاطبات الفردية هي اللغة الإيطالية . وكأن الإيطاليين لم يكفهم ذلك ، فتدخلوا في عقائد الناس وشعائرهم ، ومنعوهم من مزاولة طقوسهم الدينية ، بل أنهم تدخلوا في تصرفاتهم الشخصية فمنعوهم من شرب الشاي في المحلات العامة إلا في ساعات القيلولة ، بحجة أن شرب الشاي يورث الكسل !

أما الوظائف العامة ، فكانت كلها في أيدي الإيطاليين ، ولم يكن منها في يد العرب إلا النذر القليل — وأكثره من الوظائف التافهة — فيما عدا أقلية نادرة تمتعت ببعض الامتيازات في ذلك العهد . وكانت نتيجة هذه السياسة الخرقاء التي سارت عليها إيطاليا أن خلفت البلاد عند خروجها منها عام ١٩٤٣ في (حالة فراغ) ، مما استلزم استعانة الإدارة البريطانية بعدد من الموظفين العرب المستقدمين من بلدان الشرق الأوسط(١) . ولكي يقتلوا كل نشاط سياسي أو فكري أو أية محاولة للتكتل

---

(١) وصف حضرة السيد المحترم محمد الساقزلي وزير المعارف بالحكومة الليبية هذه الحالة في كلمة ألقاها أمام ميكروفون محطة الاذاعة لمنظمة اليونيسكو بمقرها في باريس يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، رداً على أسئلة وجهها له مدير قسم الاذاعة العربية ، بالعبارات الرائعة التالية :

« هلا مررت بساحل بحر جزر بعد مد ، وجف بعد دفع ، وانحسرت المياه فتركت على بساطه الرملي غثاء ، وطحالب ، وحثالات مما تقذفه الأمواج الهوجاء من أحشاء البحر . أو هل ساوقت وادياً تبخرت مياهه بعد أن اندفع فيه سيل عرم ، فاض على عطفاته ، فخلف على طول امتداده في كل التواء أثرا ، وفي كل منعرج هناة ، وعند كل منعطف جلمود صخر ، أو جذع شجرة ، أو أغصانا ، أو جثة حيوانات هامدة ؟ وهل تصورت هذا المنظر الرهيب المحزن أمام عينيك ؟! هكذا خلفت الحرب الأخيرة معظم أقاليم المملكة الليبية بعد انقشاع محنة الحرب الأخيرة عنها عام ١٩٤٢ : ركاما فوق ركام ، وحطاما يعلوه حطام ، من السيارات ، والمصفحات ، والجرارات ، =

حرّم الإيطاليون على العرب تأسيس النوادى ، أو إقامة الاجتماعات ، وحرموا عليهم إنشاء المطابع وتأسيس الصحف والتأليف إلا بما فيه مصلحتهم . وقطعوا الاتصال بين ليبيا وسائر البلاد العربية خصوصاً مصر ، فمنعوا وصول الجرائد والمجلات المصرية ، حتى عاشت البلاد فى شبه عزلة عن العالم ، فيما عدا إيطاليا . وبالإضافة إلى ماتقدم ، بثت السلطات الإيطالية الجواسيس فى كل مكان ، وبالغت فى الاعتقال وتشريد الأبرياء ، حتى انهم كانوا يحيلون فى بعض الأحيان قرى بأكملها إلى معتقلات ويضعون حولها الأسلاك الشائكة ، مما اضطر كثير من العرب إلى الفرار والالتجاء إلى البلاد العربية المجاورة .

ولأول مرة فى تاريخ هذه البلاد ، سمحت السلطات الإيطالية للبغايا بمزاولة عملهن ، وحددت لإقامتهن أحياء خاصة . وكلهن كن من جنسيات أوروبية مختلفة.(١)

التعليم :

لعل أبلغ دليل على اضطهاد الإيطاليين للعرب وحرمانهم من التعليم ، إنه كانت فى عام ١٩٣٦ ثلاث مدارس لليهود ، و ٥٦ للعرب (ليس بينها مدرسة ثانوية واحدة) ،

= والدبابات ، والطائرات ، والمدافع ، ومختلف أنواع العتاد الحربى متناثرة ، مبعثرة هنا وهناك ، فى الصحراوات ، والسفوح ، والروابى ، والهضـاب ، والأودية ، والجبال ، بل فى المزارع والقرى . وحتى شوارع المدن نفسها حطمتها الحرب ، ودكتها الغارات الجوية المتلاحقة ، فلم تبق منها إلا خراباً يندبه المز ويباباً تبكيه النعمة ، وأطلالا لمبانى ومنشآت أنهار بعضها فوق بعض

على أن هذه المشاهد الحزينة التى تركت طابعها القاتل على كل مرفق من مرافق الحياة . لم تثن من عزم الشعب الليبى أو تفت فى عضده . خصوصاً وقد دخلت البلاد أثناء محنة الحرب ، باسم الحلفاء الذين انضمت لجانبهم وحارب شـبابها وشيبها جنباً لجنب فى صفوفهم ، تحت قيادة عاهل البلاد إدريس الأول المحبوب ، على وعد أكيد بالتخلص من النير الأجنبى » ا . هـ

(١) قيل لى إن بعض البغايا كن يزاولن هذه الحرفة البغيضة فى أواخر العهد العثمانى بصفة سرية . وان عمل الايطاليين اقتصر على « تنظيم » هذا العمل وإخضاع البغايا للكشف الطبى الدورى محافظة على الصحة العامة .

و٤٤ للايطاليين ، و بلغ مجموع عدد طلبتها ٥٣٦٩ من العرب، و٨٨٥٠ من الإيطاليين!! وفى عام ١٩٣٩ ، بلغ مجموع عدد الطلبة الايطاليين ١٣٫٠٠٠ طالباً أى بزيادة ٣١٩١ طالباً ، بينما بلغ مجموع عدد الطلبة العرب ٦٠٠٠ ، أى بزيادة ٦٣١ طالباً فقط !

و بينما كانت المدارس الإيطالية مجهزة بأحسن الأثاث ، وفى كل مدرسة جهاز للراديو و بيانو وآلة سينما ، كانت المدارس العربية خالية من هذه الأشياء. أما الكتب فكانت كلها مصبوغة بالصبغة الفاشيستية ، حتى علوم الحساب والصرف والنحو كانت تدرس بهذه الروح . أما علوم التاريخ والجغرافيا ، فقد كانت مقصورة على ما يخص إيطاليا ومستعمراتها فقط !

ولم يكن فى العهد الإيطالى مدير مدرسة عربى واحد ، وحتى الأساتذة كانوا خاضعين لأشراف ومراقبة زملائهم الإيطاليين . أما لغة التدريس فكانت الإيطالية ، إذ كان استعمال اللغة العربية كلغة تدريس[1] محظوراً فى كافة المدارس الليبية !

و بالاضافة الى كل ذلك ، فقد كان على جميع الطالبات والطلبة الايطاليين بين سن ٦ و٢١ أن يكونوا أعضاء فى إحدى منظمات الشباب الفاشيستى ، حسب النظام التالى :

من سن ٦ الى ٨ سنوات — فى منظمة أبناء أو بنات الذئبة .

من سن ٨ الى ١٣ سنة — الأولاد : فى منظمة باليلا (نسبة الى أحد الأولاد الايطاليين الذى تحدى النمسويين عام ١٧٤٦) .

من سن ٨ الى ١٤ سنة — البنات : فى منظمة بيكولى إيتاليانى (أى الفتيات الايطاليات الصغيرات) .

---

(١) فيما عدا المدرسة الإسلامية العليا التى كانت تدرس فيها العلوم باللغة العربية . وقد أنشئت هذه المدرسة سنة ١٩٣٥ ، وأقفلت أبوابها عام ١٩٤٢ . وكان يرأس مجلس إدارتها السيد محمود المنتصر رئيس الوزراء الحالى . ويتولى عمادتها سماحة محمد أبو الإسعاد العالم ، مفتى الديار الليبية . وقد أسست هذه المدرسة إدارة الأوقاف الإسلامية ، وكانت تسير فى مناهجها ، فيما عدا اللغة العربية والدين ، على غرار المدارس الايطالية .

من سن ١٣ إلى ١٨ سنة — الأولاد : فى منظمة الأفانجارديستى (الطلائع) .

من سن ١٤ إلى ١٨ سنة — البنات : فى منظمة جوفانى إيتاليانى (أى الشابات الإيطاليات) .

من سن ١٨ إلى ٢١ سنة — للجنسين : فى منظمة جوفانى فاشيستى (أى شباب الفاشيست) .

وقد ألغيت جميع مؤسسات الكشافة ، وحل محلها نظام الـ (G.I.L)(١) وكانت هذه المؤسسة تشرف على تدريب الأولاد والفتيات تدريباً عسكريا ، وأقامت المخيمات الصيفية ، والرحلات .

ولكى لا تجمع السلطات الفاشيستية بين العرب والايطاليين فى منظمة واحدة أنشأت عام ١٩٣٥ مؤسسة الـ (G.A.L) على غرار الـ (G.I.L) (٢) خاصة بالطلبة العرب ، وحتمت على جميع الطلاب أن يكونوا أعضاء فيها . وكانت تقدم لهم الملابس الرسمية للفاشيست مجانا كنوع من الاغراء . وفى سنة ١٩٣٦ ، أرسلت السلطات الايطالية ١٥٠٠ طالب عربى لقضاء ستة أسابيع فى ايطاليا ضيوفا على الحكومة الايطالية ، كمحاولة لتشريبهم الروح الفاشيستية ، و إطلاعهم على « عظمة » إيطاليا . .

وقد امتدت يد الفاشيست كذلك إلى مدرسة الفنون والصنائع ، فقصروا التعليم فيها على مبادىء القراءة والكتابة باللغة الايطالية ، وألغوا تعليم بعض الحرف والصناعات المفيدة ، كما بيعت بعض الآلات والمطبعة ، بقيم زهيدة إلى أفراد إيطاليين !

الزراعة :

لقد أتى الايطاليون بأساليب جديدة فنية فى الزراعة ، إلا أن النظام الذى

(١) Gioventu' Italiana del Littorio

(٢) Gioventu' Araba del Littorio

أدخلوه من حيث إنشاء المستعمرات الزراعية « لم يستطع حتى الآن البقاء بدون مساعدة خارجية ، وعلى ذلك فهو قابل للانحلال . وثمة حاجة لعدد من الدراسات الفنية والاقتصادية حتى يمكن تقديم التوصيات المحددة بشأن مستقبله »(١).

وقد أكثر الايطاليون من زراعة الخضروات والزيتون ، واللوز ، والكروم ، وشجر الخروع ، كما أدخلوا زراعة الفول السودانى (الكاكاوية) ونجحت زراعته فى بعض المناطق .

وقد بذل الايطاليون جهوداً كبيرة لوقف خطر تحركات الكثبان الرملية على الأراضى الزراعية ، فأنشأوا فيها الغابات ، وحتى عام ١٩٤٠ كانوا قد أعدوا تحريش ٢٠٠ هكتار من هذه الكثبان الرملية .

العمران والانشاءات العامة :

يقتضينا الانصاف أن نسجل للعهد الايطالى هذه النهضة العظيمة فى البناء والتعمير . فقد أقاموا آلافا من المنازل الحديثة ، وشقوا الطرق ، وعبدوا الشوارع ، وأنشأوا الميادين الفسيحة ، والحدائق العامة الجميلة ، وأقاموا التماثيل الكثيرة ، حتى أضحت مدينة طرابلس و بعض المدن الليبية الأخرى تفاخر مدن العالم بجمالها وحسن تنسيقها ونظامها . إلا أن الإيطاليين — بطبيعة الحال — لم يقصدوا بهذه الإصلاحات الجبارة خير العرب وفائدتهم ، بل أرادوا تحويل هذه البلاد إلى بلاد إيطالية بحتة ، وجعلها لائقة بسكناهم .

ولعل أهم ما قام به الايطاليون فى هذه البلاد ، هو إنشاء الطريق البرى المعبد بين طرابلس و بنغازى . و يبلغ طول هذا الطريق ١٠٢٩ كيلو متراً ، وقد بدىء

---

(١) تقرير المستر جون لندبرج ، كبير اقتصاديى بعثة الأمم المتحدة للمساعدة الفنية فى ليبيا (١٩٥١) .

بإنشائه سنة ١٩٣٦ ، وانتهوا منه بعد عام واحد . و بلغت نفقاته ٧٨,٠٠٠,٠٠٠ ليرة إيطالية ، أى ما يعادل ١,١٨٢,٠٠٠ جنيهاً. و يعتبر إنشاء هذا الطريق نصراً هندسياً كبيراً ، نظراً للصعوبات الكثيرة التى اكتنفت تنفيذ هذا المشروع .

ومن المنشئات التى أقامها الإيطاليون فى مدينة طرابلس أيضاً ، فندق الودّان ، وهو يضارع أحسن الفنادق العالمية ، وفندق المهارى ، وفندق الجراند هوتيل ، ودار البلدية ، والكاتدرائية الكبرى ، والمستشفى الحكومى ، وعدد من دور السينما والمقاهى والمبانى العامة ، وشارع الكورنيش الجميل على البحر ، كما أضافوا إلى المدينة أحياء جديدة منها مدينة الحدائق ، وضاحية الهضبة الخضراء ، وغيرها .

وفى عهد الإيطاليين أيضاً أُنشئت شركة لتزويد المدينة بالتيار الكهربائى ، والغاز ، ومدّت أنابيب المياه إلى البيوت . كما أُنشئت شبكة المجارى العامة ، وأضيئت الشوارع والطرقات والميادين بالثريات الكهربائية ، حتى أصبحت طرابلس مدينة عصرية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

الصناعة والتجارة والمال :

انحصرت الصناعة العربية فى هذا العهد بصناعة بعض أنواع المنسوجات والأردية الوطنية ، و بعض الصناعات الخفيفة الأخرى . وقد وفد على البلاد بعض أصحاب الحرف من الإيطاليين ، فأدخلوا إلى طرابلس صناعات جديدة كخراطة المعادن وصبها وصيانة السيارات والآلات ، وأُنشئ عدد من المصانع الصغيرة أو (الورش) لصناعة الأحذية ودبغ الجلود وصناعة المكرونة وتقطير الكحول وصناعة البيرة والخمور والصابون . وقد أنشأ الإيطاليون مصنعاً كبيراً فى مدينة طرابلس لصنع لفائف التبغ (السجائر) من الطباق المزروع محلياً . ولا يزال هذا المصنع قائماً بعمله ، و يزود البلاد بأكثر من ٩٠٪ من استهلاكها من الدخان . كما أُنشئ مصنع لحفظ سمك التونة فى العلب ، وكان ولا يزال يصدر إنتاجه إلى إيطاليا .

طرابلس — منظر فى المدينة القديمة

[تصوير جلاح]

أما المعاملات التجارية ، فكانت أكثرها مع إيطاليا ، وكانت طرابلس تصدر إليها بعض المنتجات الزراعية والحيوانية ، والسجاير ، وعلب التونة ، وتستورد منها الفاكهة ، والأغذية المحفوظة ، والسيارات والآلات ، والمنسوجات والملبوسات ، وقطع الأثاث ، ومختلف أنواع المصنوعات الإيطالية .

وكانت المعاملات المالية — كالمعاملات التجارية — كلها بأيدى بنوك ومؤسسات إيطالية . فقد أُنشئ إلى جانب بنكودى روما — الذى تأسس زمن العثمانيين — عدد آخر من البنوك و بيوت المال الإيطالية . ولم تسمح السلطات الأيطالية لأى بنك أجنبي بمباشرة العمل فى هذه البلاد . وكانت خطوط الملاحة البحرية والجوية المنتظمة تصل ما بين طرابلس و إيطاليا .

أما النقود ، فكانت هى نفس النقود الإيطالية المستعملة فى إيطاليا . ولم يسك الإيطاليون عملة خاصة بهذه البلاد .

الحرب العالمية الثانية

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ ، كان بضعة آلاف من الليبيين يقيمون كلاجئين فى مصر والأقطار العربية المجاورة . وفى شهر أكتوبر من نفس العام ، عقد المقيمون فى مصر اجتماعاً فى مدينة الإسكندرية ، وأرسلوا البرقيات إلى رئيس الوزارة المصرية والسفير البريطانى فى القاهرة ، متضمنة ثلاث قرارات وهى :

(١) تأكيد اعتراف البرقاويين بأمارة السيد إدريس المهدى السنوسى (الملك إدريس الأول الآن) عليهم .

(٢) مناداة الطرابلسيين بالسيد إدريس المهدى السنوسى أميراً على طرابلس الغرب .

(٣) تفويض السيد إدريس المهدى السنوسى ، باعتباره أميراً على ليبيا : بالتحدث باسم الليبيين كافة وتمثيلهم فى جميع شئونهم .

وعلى أثر هذه القرارات ، اتصل السيد إدريس السنوسى بالسلطات الحربية البريطانية ، وعرض عليها مساعدة الليبيين فى حالة دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا . و بعد أسبوع ، عقد الليبيون فى مصر اجتماعاً آخر ، واتخذوا فيه قراراً بأن تصبح ليبيا دولة مستقلة تحت حكم السيد إدريس السنوسى ، فى حالة تحريرها من النير الإيطالى .

و بعد إعلان إيطاليا الحرب على إنجلترا وفرنسا بتاريخ ١٠ يناير ١٩٤٠ ، عقد الزعماء الليبيون اجتماعاً آخر فى القاهرة ، تقرر فيه إنشاء جيش ليبى للاشتراك مع الإنجليز فى تحرير ليبيا . وعلى الأثر بدأت حركة التطوع فى الجيش الليبى الجديد ، الذى سمى (بالجيش العربي الليبى)[١] ، وقام الإنجليز بتدريبه و إعداده للقتال . وفى عام ١٩٤٢ ، كانت قوة هذا الجيش قد بلغت خمس فرق ، كاملة التدريب والعتاد .

وفى هذه الأثناء ، أخذ الايطاليون يستعدون لغزو مصر ، وكان يقودهم المارشال « جرازيانى » بعد مقتل « بالبو » فى حادثة طائرة ، فاستولوا على سيدى برانى بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٠ ، ولكنهم توقفوا هناك لايتقدمون خطوة مدة ثلاثة أشهر ، رغم تفوقهم على الأنجليز فى العدد والعتاد الحربى . فاغتنم الانجليز هذه الفرصة وأخذت أساطيلهم وطائراتهم فى مهاجمة القوات والسفن الإيطالية . و بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٤٠ ، بدأ المارشال و يفل هجومه الساحق ، فبدد فى وقت قصير شمل الجيوش الايطالية ، وأخذ منهم أكثر من ثمانية آلاف أسير . واستمر تقدم الأنجليز بعد هذه المعركة حتى استولوا على السلوم والبردية وطبرق ، و بلغوا العقيلة يوم ٣٠ إبريل ١٩٤١ . فتقهقرت جيوش الإيطاليين إلى طرابلس ، والأنجليز يجدّون

(١) وكان يعرف أيضا باسم الجيش السنوسى .

فى أثرهم مما اضطر المانيا إلى التدخل خشية انهيار حليفتها إيطاليـا . فأرسلت قوات المانية مدربة تدريبا خاصا على حرب الصحراء، ومجهزة تجهيزاً كاملا بالأسلحة الفتاكة والدبابات الثقيلة والمدافع ، بقيـادة القائد الألمانى المشهور « روميل » الملقب بثعلب الصحراء . فاستطاع هذا القائد العظيم بعبقريته الحربية ــ التى شهد له بها أعداؤه ــ أن يسترد برقة كلها من الانجليز فى مايو سنة ١٩٤١ ، فيما عدا مدينة طبرق . إلا أن الانجليز ، بقيادة الجنرال كاننجهام ، كروا على روميل فى نوفمبر من نفس العـام ، واضطروه للتقهقر حتى العقيلة .

وهناك استطاع الثبات حتى العشرين من مايو عام ١٩٤٢ . فلما وصلته امدادات جديدة عاود الهجوم على الانجليز ، واستطاع فى وقت قصير أن يكتسح برقة ، وسقطت طبرق بيده هذه المرة ، واستمر فى زحفه نحو الحدود المصرية ، فاجتازها ، واحتل مرسى مطروح يوم ٢٨ يونيه ١٩٤٢ ، ثم تقدم حتى بلغ منطقة العلمين المشهورة ، على بعد ٧٥ كيلو متراً من الاسكندرية ، فمُنح روميل رتبة المارشاليـة ، واستعد موسولينى لدخول مصر على حصانه الأبيض ، ورسم خطة الاحتفال بدخوله القاهرة فاتحا ، بل إنه حدد مقر قيادته فى فندق شبرد بالذات ، إلا أن روميل توقف عن الزحف ، وأخذ يعيد تنظيم قواته ، ثم طار إلى برلين حيث قابل هتلر وشرح له الحالة فى العلمين . طالباً إمداده بقوات وأسلحة جديدة .

وفى هذه الأثناء ، تولى قيـادة الجيش الانجليزى الثامن الجنرال مونتجمرى ، فلما أتم تحضير قواته ، فاجأ الألمان بهجوم عنيف يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٤٢ ، ونشبت معركة العلمين الفاصلة التى حددت مستقبل هذه البـلاد ــ وربما الحرب كلها ــ وظلت المعركة دائرة بقسوة وعنف شديدين ، حتى جاء يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٢ ، فانهزم جيش روميل ، ووقع فى الأسر آلاف الجنود ، وعدد من الضباط العظام منهم الجنرال فون توما ــ يد روميل اليمنى ــ وقدرت خسائر قوات المحور فى هذه المعركة بسبعين ألف رجل ، وأكثر من ٥٠٠ دبابة و١٠٠٠ مدفع و٢٠٠ طائرة .

وقد ظل تقهقر الألمان والإيطاليين مستمراً بعد هذه المعركة ، حتى دخل الانجليز مدينة طرابلس ظافرين يوم السبت الثالث والعشرين من يناير سنة ١٩٤٣ . وبذلك طويت صفحة إيطاليا نهائيا فى هذه البلاد ، بعد أن حكموها إثنين وثلاثين عاما ، وبزغت شمس عهد جديد .

الاحتفال بالمولد النبوى الشريف (زليطن)

الفصل السابع

الإدارة البريطانية

لقد أبلى الليبيون الذين اشتركوا فى هذه المعارك بلاء حسناً ، وأبدوا من ضروب الشجاعة وقوة الاحتمال ماسجله لهم وزير الخارجية البريطانية فى تصريحه بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٤٢ الذى شكر فيه السيد ادريس السنوسى (الملك إدريس الأول) وأتباعه لمساهمتهم فى المجهودات الحربية ، وختمه بقوله « ان حكومة جلالة الملك مصممة على أن لا تعود برقة إلى حكم الإيطاليين بعد انتهاء هذه الحرب » . فكان هذا التصريح من الأسباب التى دعت الحكومة الإيطالية إلى سحب جميع موظفيها وأفراد الجالية الإيطالية فى برقة عند انسحاب الجيش الايطالى من هناك ، حتى لم يبق منهم أحد (١) .

أما فى طرابلس ، فقد كانت الحالة تختلف بعض الشىء . إذ بالرغم من أن أكثر موظفى وزارة المستعمرات الإيطالية كانوا قد انسحبوا مع الجيش الإيطالى ، كما أن آخرين قد عزلوا بعد الاحتلال البريطانى نظراً لميولهم الفاشيستية المتطرفة ، غير أن عدداً كبيراً من الموظفين الإيطاليين بقوا فى طرابلس ، كما بقى فيها أكثر من ثلثى عدد الجالية الإيطالية .

أما فزّان ، فقد احتلها الفرنسيون نظراً لمجاورتها لمستعمراتهم الإفريقية ، ولم يبق فيها أحد من الإيطاليين .

(١) وقد تمسك البريطانيون كذلك بوجوب خروج الإيطاليين من بلادهم ، لما نالوه على أيديهم زمن الاحتلال الايطالى .

وعلى أثر زوال الحكم الإيطالى ، أنشأ الإنجليز إدارات مدنية منفصلة فى كل من ولايتى برقة وطرابلس ، كما تولى الفرنسيون الإشراف على الإدارة فى فزان ، وعين لرئاسة المصالح والدوائر المختلفة ضباط من الإنجليز ، كما عين عدد منهم فى الوظائف القضائية والإدارية الأخرى . وكان أولئك الموظفون يستمدون سلطاتهم التشريعية والقضائيـة والإدارية من القائد العـام للقوات البريطانيـة فى الشرق الأوسط ، ويرأسهم البريجادير بلاكلى الذى كان يلقب «برئيس الإدارة العسكرية فى طرابلس الغرب» ، وهو بدوره مسئول ،عن طريق قسم الشئون الإدارية بالقيادة العـامة ، أمام القائد العام للقوات البريطانية . وقد ظل البريجادير بلاكلى فى وظيفته تلك حتى عام ١٩٥١ ، عندما سلمت الإدارة نهائيا إلى الحـكومة الوطنيـة المعينة من الملك إدريس بعد إعلان الإستقلال ، وكان يعاونه فى هـذه المهمة مستشارون فى الشئون القضائية والمالية والزراعية وغيرهم من الإخصائيين البريطانيين .

وقد قسم البريطانيون طرابلس الغرب ، من الناحيـة الإدارية ، إلى ثلاثة مقاطعات ، وهى : طرابلس والمقاطعة الغربية ، والمقاطعةالشرقية ، والمقاطعةالوسطى ، ومركز كل منهـا فى مدن طرابلس ومصراتة وغريان على التولى . وكان يرأس كلاً من هذه المقاطعات ضابط برتبة لفتنانت كولونيل ، ويساعده سكرتيرون من العرب وأحيانا من الإيطـاليين عند وجود أقليات إيطاليـة كبيرة . وكان يتبع اولئك السكرتيرين موظفون إداريون ، يسمون مديرون .

وكانت هـذه المقاطعات مقسمة ، بالتالى ، إلى ٢١ قضاء أو متصرفية ، حسب النظام الإيطالى السابق وبحدودها السابقة ، وعلى رأس كل متصرفية ضابط برتبـة ماجور أو كابتن ، يعـاونه جهاز إدارى مكون من أمين صندوق وكاتب ومترجم وموظف صحة . وكان يرأس قوة البوليس فى المتصرفيات ضابط بريطانى برتبة مفتش وهو بدوره مسئول أمام مدير بوليس المقاطعـة ، كما وضعت البلديات تحت إشراف ضباط بريطانيين ، ووكل اليها الإشراف على الشئون الصحيـة والنظافة والأسواق المحلية والمساكن والمنافع العامة وموارد المياه وتسجيل والمواليد والوفيات ، وغير ذلك.

فيما يلي التقسيمات الإدارية والبلدية لولاية طرابلس الغرب :

المقـاطعة	مقر الرئاسة	مقر المتصرفية	البـلديات
طرابلس والمقاطعة الغربية	طرابلس	طرابلس	طرابلس
		سوق الجمعة	سوق الجمعة
			تاجوراء
			العزيزية
		الزاويه	الزاوية
			بيـانكى
		صبراته	صـبراته
		زوارة	زوارة
الشرقية	مصراته	مصراته	كريسبى
			مصراته
			غاريبالدى
		ترهونة	ترهونه
		بنى وليد	بنى وليـد
		الخمس	الخمس
			القصبات
		زليطن	زليطن
		سرت	سرت
الوسطى	غريان	غريان	غريان
		مزدا	مزدا
		نالوت	نالوت
		يفرن	يفرن

وكان موظفو الإدارة البريطانية من القوميات التالية :

(١) رجال الجيش . (٢) الموظفين المدنيين الإيطاليين .

(٣) موظفين معينين محليا (عرب وإيطاليين) . (٤) موظفين مستوردين من الخارج .

وقد بلغ عدد أولئك الموظفين بحسب الجنسيات المذكورة خلال السنوات ١٩٤٣ إلى ١٩٤٧ كما يلى :

الفئة		يناير ١٩٤٣	يناير ١٩٤٤	يناير ١٩٤٥	يناير ١٩٤٦	يناير ١٩٤٧
رجال الجيش	ضباط	١٢٩	١٦٤	١٢٩	١٣١	١١٢
	رتب أخرى	١٨١	١٩٩	١٢٢	١١٥	٩٤
موظفون مدنيون	عرب	٧٨٥	٦٨٨	٧٨٣	٧٥٨	٥١١
من الإدارة الإيطالية	إيطاليين	١٤٠٢	٨٧٣	٩٩٤	٩٧٠	٦٦٥
موظفون مستوردون	—	—	٩٣	١١٣	١٢٥	١٤٧
موظفون معينون محليا	—	—	—	٧٨٨	٩٣٧	١١٢٠

وقد استقدم الإنجليز عدداً من المترجمين إلى اللغة الإنجليزية من بلاد الشرق الأوسط ، نظراً لعدم توفرهم فى هذه البلاد .

الشئون المالية والاقتصادية :

كانت الحالة المالية والاقتصادية ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، شبيهة بما كانت عليه فى أكثر البلدان الأخرى ، فقد حدث تضخم مالى كبير نتيجة لنفقات الجيوش الأجنبية ، وحاجة هذه القوات للأيدى العاملة الكثيرة .

غير أن الحرب لم تشوه جمال المدينة ولم تترك فيها أضراراً بالغة ، فقد جرت أكثر المعارك فى برقة والصحراء ، وفيما عدا بعض الغارات الجوية أو البحرية من أساطيل الحلفاء ، فإن المدينة لم تتعرض لهجوم مدمر كما تعرضت بنغازى و بعض المدن الليبية الأخرى . وبذا لم تواجه الإدارة الإنجليزية بعد الإحتلال مشكلة إعادة

تعمير طرابلس ، كما إن العدد الأكبر من المزارعين الإيطاليين بقوا فى مزارعهم ، كما بقى فى المدن عدد كبير من أصحاب الحرف والعمال والتجار .

وقدوضع الأنجليز البنوك و بيوت المال الايطالية تحت الحراسة ،وأوقفوا نشاطها ، فتأسس على الأثر بنك بركليز ، كما افتتحت بعض الشركات الأنجليزية فروعا لها فى طرابلس وأخذت تزاول نشاطها المالى والتجارى .

كانت ايطاليا تسمى هذه البلاد « الشاطىء الرابع » ، فجاءها كما تقدم عدد كبير من الإيطاليين ، وجلبوا رؤوس الأموال التى استثمروها فى هذه البلاد . وكان فيها أيضاً عدد كبير من الجنـود والموظفين والسواح ، مما ساعد على انتعاش الحالة الأقتصادية ورفاهية بعض السكان . وقد استمر هذا الحال أثناء الحرب وبعدها ، إلى أن انكمشت النفقات الحربية الضخمة عام ١٩٤٤ ، فازداد العوز ، وكثر عدد العاطلين . و بالأضافة إلى ذلك ، فقد توقفت التجارة الخارجيـة ، لأن ايطاليا كانت تحتكر الاستيراد من هذه البلاد ، فاضطر البريطانيون لإيجاد أسـواق جديدة للمنتجات المحلية ، منها مالطة وتونس ومصر والمملـكة المتحدة .

أما النقود ، فقد أعلنت الأدارة البريطانية ،عقب الأحتلال ، أن الجنيه الحربى الانجليزى والليرة الإيطالية كلاهما عملة رسمية معترف بها بسعر ٤٨٠ لـيرة إيطالية للجنيه . ثم ألغى البريطانيون الليرة الإيطالية . وأنشأوا عوضاً عنها الليرة العسكرية أو « المال » Military Authority Lira بمعدل ٤٨٠ « مال » للجنيه الأسترلينى . و بلغ مجموع المبالغ المحولة عندئذ من الليرة الإيطالية إلى المال ما قيمته ٤٫٣١٨٫٠٠٠ جنيه استرلينى .[1]

---

(١) ظل « المال » عملة التداول فى طرابلس حتى يوم ٣٠ مارس ١٩٥٢ ، عند ما حل مكانه الجنيه الليبى بسعر ٤٨٠ مال للجنيه الواحد .

وقد احتفظ الإنجليز بنظام الضرائب والإيرادات الذى كان معمولاً به أيام الإيطاليين . وكانت أهم مصادر الإيرادات الضرائب المباشرة ، وأرباح احتكارات التبغ والملح التى تشرف عليها الحكومة . وتشتمل الضرائب المباشرة على ضريبة الدخل ، وضريبة العشر على المحصول الزراعى ، والضرائب الزراعية الأخرى . وكانت ضريبة الدخل كما هى اليوم ، تجبى بواقع ١٥ ٪ من أرباح التاجر ، و٨ ٪ من راتب الموظف ، و ٤ ٪ من رواتب العمال اليدويين . وقد بلغ إيراد هذه الضريبة لعام ١٩٤٦ / ١٩٤٧ ١٢٥,٠٠٠ جنيه استرلينى ، و بلغت إيرادات الجمارك فى المدة ذاتها ٧٥٠,٠٠٠ جنيه استرلينى .

وفيما يلى بيان عن حركة ميناء طرابلس فى زمن الإدارة البريطانية (يونيو سنة ١٩٤٤ إلى ديسمبر سنة ١٩٤٩) :

السنة	عدد البواخر	الحمولة الصافى بالطن	عدد المراكب الشراعية	الحمولة بالطن صافى	الحمولة الواردة بالطن	الحمولة الصادرة بالطن	المجموع بالطن
١٩٤٤ ستة أشهر	١٢٠	١٩٤,١٠٩	٩	٦٠٩	٨٤,٤٥٠	٦١,٧٨٧	١٤٦,٢٣٧
١٩٤٥	١٤٨	٢١٤,٢٢١	١٤	١,٢٤٨	١٨٣,٤٢٩	٣٨,٩٤٠	٢٢٢,٣٦٩
١٩٤٦	١٢٩	٢١٨,٣٠١	٢٥	١,٣٠٦	١٠١,٨٦٩	٤٨,٤٣٨	١٥٠,٣٠٧
١٩٤٧	١٥١	٢٢٨,٥١٧	٢٨	١,٥٠٨	٢٥٣,٨٩٧	٤٧,٩٨١	٣٠٠,٨٧٨
١٩٤٨	١٦٨	٢٣٠,٠٠٨	٢٦	١,٣٩٨	٢٢٨,١١٩	٥١,١١٨	٢٧٩,٢٣٧
١٩٤٩	١٥٩	٢١٩,٩٨٠	٣٥	١,٦٠٥	٢٥٠,١٩٢	٤٩,١٨٩	٢٩٩,٣٨١

وبالرغم من الصعوبات الاقتصادية المختلفة ، فقد استطاعت ولاية طرابلس الغرب أن توازن ميزانيتها نظراً لجودة المحصول الزراعى فى سنوات ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و١٩٤٦ . ولم تقدم الحكومة البريطانية سوى مساعدة مالية ضئيلة .

وفيما يلي بيان بالنفقات والإيرادات خلال الفترة من سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٤٦ بالجنيهات الإسترلينية :

النفقات العامة الفعلية	١٩٤٣/٤٤	١٩٤٤/٤٥	١٩٤٥/٤٦	١٩٤٦/٤٧
الأبواب العادية	٩١٤ر٣٣٣	١ر١٣٥ر٢٩٠	١ر٣٥٤ر٨٤٤	١ر٥٧٣ر٩١٠
فوق العادة (المشروعات الزراعية والتجارية والمنافع العامة)	١ر٧٩١ر١١٥	٣ر٤١٤ر٥٢١	١ر٧٠٣ر٨٨٥	٢ر٠٩٠ر٠٠٠
	٢ر٧٠٥ر٤٤٨	٣ر٥٤٩ر٨١١	٣ر٠٥٨ر٧٢٩	٣ر٦٦٣ر٩١٠
الإيرادات العامة				
الأبواب العادية	٥٨٥ر٦٩٥	١ر٠١٧ر٦٩١	٩٦٠ر٢٩٥	١ر٠٥٨ر٦٥٠
الضرائب غير العادية	١ر٧٤٣ر٢٧٥	٢ر٥٣٩ر٧٦٨	٢ر٠٧٦ر٨٠٥	٢ر٧٢٣ر٩٧٠
	٢ر٣٢٨ر٩٧٠	٣ر٥٥٧ر٤٥٩	٣ر٠٣٧ر١٠٠	٣ر٧٨٢ر٦٢٠
العجز المدفوع من الخزينة البريطانية	٣٧٦ر٤٧٨	—	٢١ر٦٢٩	—
الفائض	—	٧ر٦٤٨	—	١١٨ر٧١٠

الأسعار :

لتكوين فكرة عن أسعار الجملة في إقليم طرابلس أثناء سنوات الإدارة البريطانية ، نورد فيما يلي بياناً قياسياً بأسعار بعض السلع الرئيسية من سنة ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٥٠، على أساس أنها كانت في سنة ١٩٤٦ تساوى مئة : —

السلع	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠
زيت الزيتون	١٠٠	١١٠	١٢٦	١٠٠	٦٣
الشعير	١٠٠	٢٣٧	١٩٧	١٤٦	٧٨
القمح	١٠٠	١٠٠	١٦٩	٩٠	٨٢
اللحم الطازج	١٠٠	٩٨	١٠١	١٠٥	١٠٩
البيض	١٠٠	١٥٠	١٩٥	١٨٠	١١٠
الصوف المحلى الخام	١٠٠	١٠٧	١١٤	١٧١	٢٢٨
جلود الغنم	١٠٠	١١٦	١٣٩	١٥٠	١٨٣
التمر الطازج	١٠٠	٩٥	٩٤	٩٢	٩٢

التعليم :

أصاب المدارس تلف كبير من جراء الحرب ، إذ جُعل أكثرها معسكرات لإقامة الجنود ، فأتلفوا محتوياتها ، ونهب بعض أثاثها ، وهكذا واجهت الادارة البريطانية مشكلة إصلاح هذه المدارس واعدادها لاستئناف الدراسة واستقبال الطلاب .

وقد تمكنت الادارة البريطانية فى أواخر سنة ١٩٤٣ من افتتاح ١٠٣ مدارس ، بلغ مجموع عدد طلبتها ١٠٫٣٢٧ ، كما أنشئت مدرسة سان جورج البريطانية فى هذا العام أيضاً ، وكان عدد طلبتها حوالى الأربعمائة . وقد زاد عدد المدارس بالتدريج حتى أصبح ١٧٣ مدرسة فى سنة ١٩٤٧ ، و بلغ مجموع عدد طلبتها ٢١٫٣٩١ ، منهم ١٠٫٢٢٤ من العرب ، والباقون من الإيطاليين والقوميات الأخرى . وبالاضافة إلى عدد الطلبة العرب المسجلين فى مدارس الحكومة ، كان يوجد فى ذلك العام أيضاً ١٦٫١٨٠ طالباً عربياً يتلقون بعض الدروس الابتدائية فى المدارس القرآنية (الكتاتيب) .

ومن بين الصعوبات التى صادفتها إدارة المعارف فى ذلك العهد ، هى مشكلة

الحصول على أساتذة مدربين من العرب . فاضطرت الحكومة لاستعارة إثنين من مفتشي المعارف بحكومة فلسطين لوضع برنامج سريع فى علم التربية ، و إعداد المواضيع التى تدرس فى ذلك البرنامج .

وفى سنة ١٩٤٤ ، أنشئت « دورة » لتخريج عدد من الأساتذة العرب فى طرابلس بلغ عدد الملتحقين بها ٧٦ طالبا ، وقد تكررت هذه الدورات بعد ذلك ، فالتحق فى دورة العام التالى ٤٥ طالبا ، وزاد هذا العدد فى سنة ١٩٤٦ حتى أصبح ١٢٩ طالبا . وقد استقدمت دائرة المعارف ، غير هؤلاء ، ١٦ مدرساً من مصر في سنة ١٩٤٥ ، و بعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، استقدمت الادارة البريطانيـة عدداً من المدرسين الفلسطينيين العرب .

وقد أنشأت الادارة البريطانية كذلك ، عدداً من المدارس لتعليم البنات ، بلغ مجموعها فى سنة ١٩٤٨ أربعة عشر مدرسة ، و بلغ عدد طالباتها ١٤٥٩ فتاة .

وفى سنة ١٩٤٧ ، شكلت الإدارة البريطانية لجنة عربيـة من كبار رجالات المدينة ، لاستشارتها فى شئون التعليم .

ومنذ أقفلت المدرسة الاسلامية أبوابها عام ١٩٤٠ ، لم تكن فى البلاد مدرسة ثانوية عربية واحدة . وقد افتتحت أول مدرسة ثانوية فى عهد الإدارة البريطانيـة فى شهر اكتوبر سنة ١٩٤٦ ، واستحضروا مديراً لها من السودان . وكان عدد الطلبة فى السنة الأولى ٨١ طالبا ، وفى اكتوبر سـنة ١٩٤٧ زاد عددهم إلى ١٧٠ طالبا . وفى ذلك العام ، افتتح أيضاً عدد من هذه الفصول الثـانوية فى أنحاء متفرقة من الولاية ، و بلغ عدد الطلاب المسجلين فى هذه الفصول ٥٦ طالبا . وفى العام التالى أنشئت كلية المعلمين فى سيدى المصرى لتخريج الأسـاتذة ، وكان أكثر المدرسين فيها من الفلسطينيين الذين لهم خبرة سابقة فى التعليم[1] .

---

(١) ولا يزالون .

وفى سنة ١٩٥١ ، افتتحت الكلية الفنية بمساعدة وكالة الأمم المتحدة ، لتعليم الطلبة شتى المهن ، بالاضافة إلى الثقافة العامة .

أما مدرسة الفنون والصنايع ، فقد احتلهـا البريطانيون وحولوها إلى معسكر لجنودهم ، وكان قد استلم إدارتهـا من الايطاليين عند انسحابهم من طرابلس الحاج مصطفى ميزران ، فأبقاه الانجليز مديراً لهذه المدرسـة ، وسمحوا لسبعة وسبعين طالباً بالبقاء فيها والاستمرار فى الدراسة . وبالتدريج ، أخذت المدرسـة تعود إلى حالتهـا الطبيعية الأولى ، فأعيدت إليها بعض الصناعات ، كطلى الأوانى الخزفية ، وصناعة البلاط ، والألومنيوم ، و بعض الصـناعات الجلدية ، والنقش والخيـاطة . ثم استلم إدارتها الأستاذ عمر محمد البـارونى ، فبذل مجهودات كبيرة ، وتقدمت المدرسة فى عهده تقدما ملموساً ، حتى عادت سيرتها الأولى فى أوائل العهد الايطالى .

الخدمات الطبية :

كان فى ولاية طرابلس الغرب عند الاحتـلال البريطانى مستشفيان كبيران ، الأول فى مدينة طرابلس ، و يحتوى على ١٢٠٠ سرير ، والآخر فى مصراته و يحتوى على ١٥٠ سريراً . وكان هنالك أيضا مستشفى كبير للسل ، يحتوى على ٥٠٠ سرير ، أقامه الايطاليون فى ضاحية « الهضبة الخضراء » للعنـاية بمرضى هذا الداء الوبيل . وبالإضافة إلى هذه ، كانت هنـاك مستشفيات صغيرة متفرقة ، ومستشفى للأمراض العقلية . وكان أكثر نزلاء هذا المستشفى من الإيطاليين الذين كانوا يأتون بهم من إيطاليا للعلاج .

وكان فى الولاية أيضاً ٢٥ عيادة من الدرجة الأولى ، و٣٥ عيـادة من الدرجة الثانية . كما كان لبلدية طرابلس عيادة خارجية خاصة ، وصيدلية .

وقد أبقى الانجليز على هذه المؤسسات ، فيما عدا مستشفى السل الذى حولوه إلى مستشفى عسكرى بريطانى . ولا يزال كذلك حتى الآن .

وفى سنة ١٩٤٥ ، افتتح مستشفى عربى إسلامى فى الزاوية ، بنى من تبرعات السكان ، ويحتوى على مائة سرير ، وقد استطاع هذا المستشفى أن يوازن بين دخله ونفقاته . وتتولى الحكومة الاشراف على إدارته الآن .

وعند دخول الانجليز هذه البلاد ، لم يكن فيها طبيب أسنان واحد ، إذ كانت الحكومة الايطالية قد استدعتهم جميعا إلى إيطاليا أثناء الحرب . وفى سنة ١٩٤٦ ، افتتح قسم لطب الأسنان فى المستشفى الحكومى بمدينة طرابلس .

وكانت ميزانية الخدمات الصحية والطبية فى عهد الادارة البريطانية تتراوح بين ١١٥٫٠٠٠ ج . استرلينى ، و١٢٥٫٠٠٠ ج . استرلينى فى العام ، أو مايعادل ٨ ٪ من مجموع النفقات العادية فى الميزانية .

ونظراً لعدم وجود أطباء أو ممرضين من العرب فى البلاد ، فقد استجلبت الادارة البريطانية عدداً من الأطباء الانجليز والايطاليين من الخارج .

الحركات الوطنية والاستقلالية

ارتبطت بريطانيا بتصريح وزير خارجيتها عام ١٩٤٢ بعدم السماح بأعادة برقة إلى إيطاليا . وقد استبشر السكان بهذا التصريح وعدوه وعداً من بريطانيا بالاستقلال حالما يتم تحرير ليبيا من يد الايطاليين . غير أنه مضت عدة سنوات ولم يظهر أى اتجاه يدل على عزم بريطانيا تنفيذ وعدها ومنح البلاد الليبية استقلالها ، فنشطت الحركات الوطنية ، وأخذت تتشكل النوادى التى كانت نواة الأحزاب السياسية الوطنية فيما بعد . وكان أول ناد افتتح فى طرابلس هو « النادى الأدبى » ورئيسه السيد احمد الفقيه حسن ، ثم أنشىء « نادى العمال » ورئيسه السيد الصادق بن زراع ، ونادى « النهضة » ورئيسه السيد محمود الخوجة ، ونادى « الشباب » ورئيسه السيد محمد السكريو . ثم شكل « الحزب الوطنى » ، وسكرتيره السيد الصادق بن زراع ، ثم « الجبهة الوطنية المتحدة » ، ورئيسها السيد سالم المنتصر ، ثم « الكتلة الوطنية الحرة » ورئيسها السيد على الفقيه حسن ، ثم « حزب الأحرار » ، ورئيسه السيد الصادق بن زراع ، ثم « حزب العمال » ورئيسه السيد بشير بن حمزة ، ثم « حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى » ورئيسه السيد على رجب ، ثم « حزب الأستقلال » ورئيسه السيد سالم المنتصر . وكانت هذه الأحزاب كلها متفقة على أهداف ثلاثة ، هى : الوحدة والاستقلال والانضمام إلى الجامعة العربية ، وقد زاد « حزب الأحرار » على هذه الأهداف بنداً رابعاً ، وهو المناداة بالأمير ادريس السنوسى ملكاً على جميع ليبيا .

وفى هذه الأثناء ، عاد إلى طرابلس عدد من كبار المهاجرين الطرابلسيين فى الخارج ، وشكل حزب «المؤتمر الوطنى » من بعض الأحزاب القائمة . وعلى الأثر ، قدم الزعماء مذكرة إلى الدول الأربعة الكبار (أمريكا ، وروسيا وبريطانيا وفرنسا) باسم الأمة الليبية ، يطالبونها بتنفيذ وعدها بأعطاء ليبيا حريتها واستقلالها .

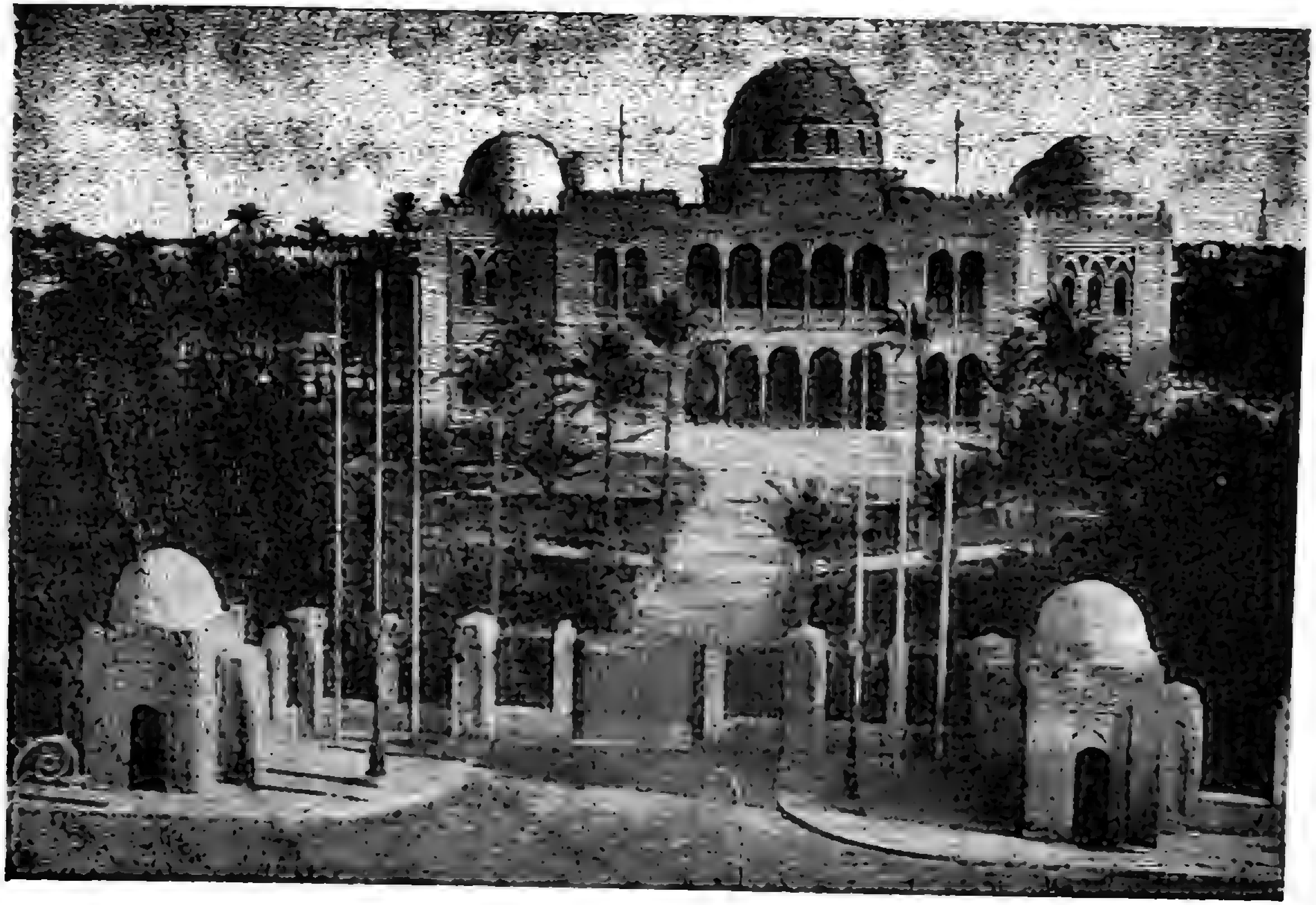

قصر الخلد العامر — طرابلس

[تصوير جناح]

وكان من نتائج هذا الوعى القومى والتيار الوطنى الجارف أن نشأت فى طرابلس عدة جرائد وطنية ، نذكر من بينها جريدة « الشعلة » لصاحبها السيد احمد زارم ، وجريدة « المرصاد » لصاحبها السيد محمد قنابة ، وجريدة « الليبى » لصاحبها السيد على الديب ، و « لواء الحرية » لصاحبها السيد على رجب . وقد احتجبت كل هذه الصحف ، ثم عادت « الليبى » إلى الظهور بعد الاستقلال واحتجبت مرة أخرى ، وقد عادت إلى الظهور حديثاً جريدة « اللواء » الأسبوعية .

ولما وجدت الأمة أن مطالبها لاتلقى آذاناً صاغية من الحلفاء ، قامت فى طرابلس وبرقة عدة مظاهرات صاخبة ، بلغت ذروتها يوم ٤ فبراير . ففى ذلك اليوم خرجت مظاهرة كبرى ، وقد تصادف نزول عدد من الجنود الاسرائيليين التابعين للجيش البريطانى إلى المدينة ، وأخذوا ينشدون الأناشيد اليهودية ، فثار الناس لهذا التحدى ووقعت على الأثر حوادث مؤسفة نتج عنها قتل عدد من اليهود واحراق بعض مخازنهم . فقبض البوليس على عدد من المتظاهرين وسجن من سجن وبرىء من برىء .

وفى سنة ١٩٤٧ ، اجتمع وكلاء وزراء خارجية الدول الأربع فى باريس لبحث مصير المستعمرات الإيطالية السابقة ومن بينها ليبيا ، وقرروا إرسال لجنة تحقيق إلى هذه البلاد . وفى يوم ٨ مارس سنة ١٩٤٨ ، وصلت هذه اللجنة إلى مدينة طرابلس وقامت بزيارة برقة ، وفزان ، وطرابلس الغرب ، واتصلت بالسكان وممثلى الأحزاب والقادة . وفى شهر يوليو من نفس العام ، قدمت اللجنة تقريرها إلى مجلس وكلاء وزراء الخارجية للدول الأربع ، ولكن هؤلاء فشلوا فى الوصول إلى إتفاق بينهم فى هذا الشأن ، فقرروا إحالة الموضوع إلى الجمعية العمومية للامم المتحدة (١) لتفصل فيه ، وتحددت جلسة ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨ للنظر فى الاقتراحات المقدمة من الدول المختلفة .

وفى هذه الأثناء ، كانت تدور مفاوضات سرية بين المستر بيفن وزير الخارجية

---

(١) بموجب أحكام الفقرة ٣ من الملحق رقم ١١ لمعاهدة الصلح المعقودة مع إيطاليا سنة ١٩٤٧ .

البريطانية ، والكونت سفورزا وزير الخارجية الإيطالية ، صدر على أثرها مشروع بيفن — سفورزا ، وهو يقضى بإعطاء حق الوصاية على طرابلس الغرب إلى إيطاليا بينما تظل برقة إمارة مستقلة تحت الوصـــاية البريطانية ، وتبقى فزان تحت الوصاية الفرنسية . وقد لاقى هذا المشروع معارضة شديدة من جميع طبقات السكان ،وقامت مظاهرات كبيرة فى جميع المدن الليبية (ويقال أن مظاهرة مدينة طرابلس وحدها سار فيها أكثر من أربعين ألف شخص أو حوالى نصف سكانها العرب) . غير أن هذه المظاهرات كانت منظمة تنظيما دقيقاً بحيث لم ينتج عنها أى اضطراب أو إخلال بالأمن — ولكنها عبرت فى نفس الوقت ، بما لا يقبل الشك ، عن تصميم الليبيين على رفض هذا المشروع ، واستعدادهم للتضحية فى سبيل منع تنفيذه .

وعندما اقترب موعد اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، أرسل الشعب الليبى وفداً لحضور هذه الإجتماعات والدفاع عن وجهة النظر الليبية أمام الجمعية العمومية . فلما رفضت الجمعية فى اجتماعها يوم ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ مشروع بيفن سفورزا بعد مجهودات كبيرة من الوفد الليبى ووفود الدول العربية والإسلامية — عمت البلاد موجة من الفرح الشديد ، وخرج الناس فى مظاهرات كبيرة للتعبير عن ابتهاجهم بهذا القرار . وقد تحول الفرح إلى شعور طاغ بالسعادة عندما اتخذت الجمعية العمومية للأمم المتحدة يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٨ بتأييد الولايات المتحدة ، قراراً تاريخياً بأن « تصبح ليبيا المكونة من ولايات طرابلس الغرب و برقة وفزان دولة مستقلة ذات سيادة ، على أن يصبح هذا الاستقلال نافذاً فى أقرب وقت بحيث لا يتأخر ذلك بحال من الأحوال عن أول يناير سنة ١٩٥٢ » .

وعلى أثر صدور هذا القرار التاريخى الحكيم ، خرج الناس فى مظاهرات سلمية للتعبير عن ابتهاجهم وامتنانهم ؛ واستمرت المظاهرات عدة أيام . وفى هذه الأثناء ، كانت برقيات التهانى تنهال على سمو الأمير وقادة البلد من كل ناحية وصوب وأخذ الناس يتطلعون بشغف إلى ذلك اليوم الذى يتسلمون فيه مقاليد أمورهم من دولتى الحكم : بريطانيا وفرنسا ، وتصبح فيه بلادهم دولة عربية مستقلة ذات سيادة.

الفصل الثامن

ميلاد دولة

تضمن قرار الجمعية للأمم المتحدة بأن تصبح ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة فى ميعاد أقصاه أول يناير سنة ١٩٥٢ ، التوصية بتعيين مندوب للأمم المتحدة فى ليبيا ، يساعده مجلس مكون من عشرة أعضاء . تسميهم حكوماتهم وهى : مصر ، والباكستان ، وإيطاليا ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، ومندوب عن كل من الولايات الثلاث ، ومندوب عن الأقليات يعينه مندوب الأمم المتحدة بعد استشارة السلطات الإدارية ، والمجلس الليبى ، والزعماء البارزين ، وممثلى الأحزاب ، والهيئات السياسية فى البلاد . وقد وكلت إلى هذا المجلس مهمة تحضير ليبيا للاستقلال ، وتشكيل اللجنة التأسيسية لوضع الدستور ، وتقرير نوع الحكم ، وأخيراً تسليم السلطات للحكومة الوطنية عند إعلان الاستقلال . وقد عينت الجمعية العمومية مندوباً لها المستر أدريان بلت[1] (Adrian Pelt) ، الذى استلم مهام منصبه رسمياً يوم ١ يناير سنة ١٩٥٠ ، ووصل مقر وظيفته الجديدة فى مدينة طرابلس يوم ١٨ يناير من السنة ذاتها .

وقد بدأ المستر بلت استشاراته ومباحثاته مع المختصين حال وصوله إلى طرابلس كما قابل سمو الأمير محمد إدريس السنوسى (الملك إدريس الأول) وعدداً كبيراً من الزعماء والقادة ورجال الفكر في مختلف أقاليم البلاد الليبية . وبعد أن انتهى من هذه الاتصالات التمهيدية ، غادر المستر بلت ليبيا لمباحثة الحكومات التي يعنيها الأمر، وكان قد كون فكرة واضحة عما يريده السكان ، ووصل فى أبحاثه إلى النتيجتين الأساسيتين التاليتين :

(١) الهولاندى .

الأولى — أن جميع الليبيين على اختلاف طبقاتهم يريدون أن يصبح السيد محمد إدريس المهدى السنوسى (أمير برقة حينئذ) ملكا على ليبيا كلها .

الثانية — ضرورة إنشاء نظام حكم اتحادى يشمل الولايات الثلاث ، لكونه النظام الوحيد الذى يلائم الأحوال السائدة فى البلاد .

وحالما بدأ المندوب والمجلس أعمالهم ، وجدوا أنفسهم أمام مشكلة هامة ، وهى طريقة تشكيل الجمعية الوطنية المنصوص عليها فى الفقرة الثالثة من قرار هيئة الأمم المتحدة . ولهذا الغرض ، قام المندوب بمشاورات استغرقت الشهور الثلاثة الأولى التالية لوصوله إلى طرابلس . وعندما فرغ منها قدم تقريره إلى المجلس بتاريخ ٤ مايو سنة ١٩٥٠ وقد ضمن المستر بلت هذا التقرير رأيه بأن تشكل لجنة تحضيرية تتألف من خمسة مندوبين عن كل ولاية ، على أن يترك اختيار ممثلى ولايتى طرابلس و برقة إلى الجمعيات المحلية المنتخبة ، وتختار مندوبى ولاية فزان الجمعية التى انتخبت رئيس الإقليم وعينت الممثلين الفزانيين فى مجلس الأمم المتحدة لليبيا . وكان على هذه اللجنة التحضيرية أن توصى بالطريقة التى تراها ملائمة لانتخاب الجمعية الوطنية وتكوينها ، وأن تضع مسودة لمشروع الدستور لعرضه على الجمعية الوطنية عند تشكيلها فى خريف سنة ١٩٥٠ ، لبحثه والموافقة عليه .

وكان أكثر أعضاء المجلس فى جانب الانتخابات ، غير أن مندوب الباكستان رأى أنه لا يمكن إجراء انتخابات حرة فى طرابلس الغرب ، مادامت الهيئة التشريعية والمجلس الإدارى واقعين تحت رقابة رئيس الإدارة البريطانى ، وأضاف بأن طرابلس الغرب لها تاريخ طويل قديم ، وفيها عدد من الأحزاب السياسية ، ولذا فقد اقترح اختيار المندوبين بين الطرابلسيين بعد استشارة زعماء هذه الأحزاب .

وقد رأى المجلس بعد ذلك أن يؤجل إصدار قراره بهذا الخصوص إلى ما بعد انتهاء زيارة الأعضاء للأقاليم الليبية والتعرف على وجهات النظر المختلفة بأنفسهم .

وبعد عودة أعضاء المجلس من رحلتهم إلى برقة وفزان ، استأنفوا بتاريخ ١٢ يونية سنة ١٩٥٠ بحث توصيات المندوب . وقد عارض منـدوب طرابلس فى إجراء الانتخابات لأنها قد تؤدى فى تلك الظروف إلى حدوث اضطرابات فى البـلاد ، خصوصاً وأن قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة لم يحدد الطريقة التى يجب أن تتشكل بموجبها الجمعية الوطنية الليبية .

وقد أيد مندوبو مصر والباكستان رأى مندوب طرابلس ، وانتقدوا خطة المستر بلمت للأسباب المذكورة وغيرها . وفى أثناء المناقشة ، أعلن المندوب بخضوعه لوجهة نظر الزعماء الليبيين وأعضاء المجلس الذين شاركوهم رأيهم فى معارضة إجراء الانتخابات ، محملا إياهم مسئولية نتائج هذا القرار .

وفى اجتماعه بتاريخ ١٤ يونية سنة ١٩٥٠ ، رفض مجلس الأمم المتحدة لليبيا مشروع المندوب والمشروع المعدل له المقدم من مندوب الولايات المتحدة الأمريكية ، وأقر الاقتراح المقدم من مندوب الباكستان ، بتوصية مندوب الأمم المتحدة باتخاذ الإجراءات التالية :

(١) أن يطلب من سمو الأمير محمد إدريس المهدى السنوسى تقديم أسماء سبعة ممثلين عن برقة .

(٢) أن يستشار الزعماء السياسيون فى طرابلس الغرب فى اقتراح أسماء سبعة من الرجال البارزين فى الأقليم للانضمام إلى زملائهم ممثلى برقة .

(٣) أن يطلب من رئيس الإدارة فى فزان تسمية ممثلين عن فزان ، على أن يتم ذلك فى وقت كاف بحيث يمكن لمندوبى الأقاليم الثلاثة أن يعقدوا أول اجتماع لهم كجمعية تأسيسية فى مدينة طرابلس فى تاريخ أقصاه أول يوليو سنة ١٩٥٠ ، للأغراض المذكورة فى الفقرة الثالثة من قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

وتنفيذاً لنصيحة المجلس ، بدأ مندوب الأمم المتحدة اتصالاته فى نفس اليوم .

وبعد أن تم اختيار مندوبى برقة وفزان ، أعلن المندوب أنه قد اختار فى النهاية سبعة مندوبين عن طرابلس الغرب بعد الرجوع إلى القائمة التى قدمتها الأحزاب السياسية ، وأخذه فى الاعتبار كفاءة المرشحين الشخصية .

وفى النهاية ، قرر المجلس بأكثرية ستة أصوات ضد صوت واحد وامتناع أربعة عن التصويت ، الموافقة على قائمة مندوبى طرابلس كما عدلت أثناء المناقشة .

لجنة الواحد والعشرين :

وفى يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٠ ، تشكلت لجنة الواحد والعشرين من سبعة أعضاء عن كل إقليم من الأقاليم الثلاثة . وعقدت هذه اللجنة أول اجتماعاتها فى يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٠ ، وآخرها فى يوم ٣٠ أكتوبر من نفس السنة . وفى هذه الفترة ، عقدت اللجنة ٢٢ اجتماعاً ، ووافقت على القرارات التالية :

(١) تتألف الجمعية الوطنية التأسيسية من ستين عضواً .

(٢) تمثل الأقاليم الثلاثة فى الجمعية الوطنية على قدم المساواة ، بعشرين ممثلا عن كل إقليم .

(٣) يكون التمثيل فى الجمعية الوطنية بطريق الاختيار ، على أن يراعى فيه بخصوص إقليم طرابلس وجود ممثلين عن الأحزاب العربية الوطنية ، ومن المحايدين ، ومن رجال الفكر والوطنية ، بطريقة عادلة .

(٤) يناط أمر اختيار ممثلى برقة بسمو أميرها المعظم السيد محمد إدريس السنوسى ، وأمر اختيار ممثلى فزان بسعادة احمد (بك) سيف النصر . وأما فيما يختص بممثلى إقليم طرابلس ، فيناط بسماحة السيد أبو الأسعاد العالم مفتى الديار الليبية ، على أن يقوم بعد الاتصالات والاستشارات اللازمة ، بأعداد قائمة المرشحين وعرضها

على لجنة الواحد والعشرين ، فى مدة لاتتجاوز السادس والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٩٥٠ .

(٥) لايجوز للأقليات غير الوطنية أن تشترك أو تمثل فى الجمعية الوطنية ، وهذا مع وجود النية الصادقة والشعور العام بوجوب تأمين كافة الحقوق المدنية والدينية والاجتماعية لجميع الأقليات والأجانب فى دستور ليبيا المقبل .

(٦) تعقد الجمعية الوطنية أول اجتماع لها فى مدينة طرابلس يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، ولها أن تعقد جلسات أيضا فى أى مكان آخر .

* * *

ويتبين مما سبق ذكره ، أن لجنة الواحد والعشرين ، المشكلة بموجب اقتراح مندوب الباكستان الذى وافق عليه مجلس الأمم المتحدة لليبيا ، قد نجحت فى أداء الغرض الذى شكلت من أجله ، وأصبحت حجر الزاوية الذى بنى عليه تطور ليبيا الدستورى فيما بعد .

وبتاريخ ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٥٠ ، قدم المستر بلت أثناء حضوره الجلسة السادسة للجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ليك سكسس ، للنظر فى تقريره السنوى الأول عن المسألة الليبية ، تقريراً إضافياً يشتمل على نص القرارات التى اتخذتها لجنة الواحد والعشرين بتاريخ ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

وبعد مناقشة هذين التقريرين ، وأخذها فى الاعتبار تشكيل لجنة الواحد والعشرين وقراراتها ، أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارها التاريخى الثانى ، وذلك يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، وبموجبه تنصح الجمعية العمومية بما يلى : —

(١) قيام جمعية وطنية تأسيسية تمثل الشعب الليبى فى أقرب وقت ممكن ، على أن لا يتأخر ذلك فى أى حال من الأحوال عن أول يناير سنة ١٩٥١ .

(٢) أن تنشئ هذه الجمعية حكومة مؤقتة لليبيا فى أقرب فرصة ممكنة، على أن لا يتأخر ذلك عن أول أبريل سنة ١٩٥١ .

(٣) أن تقوم دولتا الادارة بنقل السلطات تدريجيا إلى الحكومة المؤقتة، بحيث يتم تسليم هذه السلطات نهائيا إلى الحكومة الليبية المنتخبة انتخابا صحيحاً فى موعد أقصاه أول يناير سنة ١٩٥٢ .

وقد قدمت مصر أثناء بحث مشروع هذا القرار، وقبل موافقة الجمعية عليه، اقتراحا بتعديل الفقرة الأولى بحيث تقرأ : « قيام جمعية وطنية تأسيسية منتخبة الخ » بدلا من « قيام جمعية وطنية تأسيسية تمثل الشعب الليبى » . وكان القصد من هذا التعديل معارضة مبدأ المساواة بين الأقاليم فى عدد أعضاء الجمعية الوطنية، وأيضا معارضة طريقة الاختيار التى قررتها لجنة الواحد والعشرين . إلا أن هذا التعديل المصرى رفض بأكثرية الأصوات . و بذلك تشكلت الجمعية الوطنية التأسيسية بناء على قرار الجمعية العمومية المذكور، والخطة التى رسمتها لجنة الواحد والعشرين .

أعمال الجمعية الوطنية الليبية :

وعلى أثر تشكيل الجمعية الوطنية المؤلفة من ستين عضواً، منهم عشرون عضواً من أقاليم ليبيا الثلاث، اجتمعت لأول مرة فى مدينة طرابلس بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠، برئاسة أكبر أعضائها سناً، سماحة مفتى الديار الليبيه .

وفى جلستها الثانية المنعقدة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠، قررت الجمعية الوطنية تأليف لجنة فرعية من اثنى عشر عضوا لوضع لائحتها الداخلية . وكانت الأقاليم الليبية الثلاث ممثلة فى هذه اللجنة الفرعية بالتساوى . وفى الثانى من ديسمبر سنة ١٩٥٠، وافقت الجمعية الوطنية على مشروع اللائحة الداخلية الذى أعدته اللجنة الفرعية المذكورة، وانتخبت الجمعية أعضاء مكتبها . وقد نصت اللائحة الداخلية، من بين ما نصت عليه، على أن تكون قرارات الجمعية الوطنية، بأغلبية ثلثى الأعضاء

الحاضرين فى الجلسة والمشتركين فى التصويت . وقد أوصى مستشار المندوب القانونى الذى حضر جلسات اللجنة الفرعية بأن تتخذ القرارات بأغلبية مجردة ، غير أن هذه التوصية تغلبت عليها اعتبارات سياسية فى اللجنة الفرعية ، وفى الجمعية الوطنية . وقد تقرر أيضاً أن يتكون العدد القانونى من ثلثى أعضاء الجمعية الوطنية .

وقد انتخب سماحة مفتى الديار الليبية رئيساً للجمعية الوطنية التأسيسية ، وجرى أيضاً انتخاب نائبين للرئيس ، أحدهما يمثل برقة ، والثانى يمثل فزان[1] .

و بعد الانتهاء من عمليات الانتخاب ، قررت الجمعية ، فى الثانى من ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، أن تنظر أولاً فى مسألة شكل الدولة الليبية المقبلة . واقترح أحد ممثلى فزان ، (السيد محمد عثمان وزير الصحة الحالى) أن يكون شكل الدولة اتحاديا . وقد أيد ذلك الاقتراح أعضاء آخرون ، وقال بعضهم أنه إذا كان من العسير فى الظروف الحالية انشاء دولة موحدة ، فإن النظام الاتحادى انما هو بمثابة « الخطوة الأولى » نحو ذلك الهدف فى المستقبل القريب . واعترض أحد الأعضاء الطرابلسيين على ذلك الاقتراح ، مؤكداً أن انشاء دولة موحدة يتفق مع مصالح ليبيا ، وأن وجود تلك الولايات المستقلة اقتصاديا سيضعف الاقتصاد الليبى بوجه عام . وأيده فى ذلك أحد زملائه الطرابلسيين ، ولكنهما لم يصرا على هذه النقطة عندما عارضها معظم أعضاء الجمعية الوطنية .

وعندئذ وافقت الجمعية الوطنية الليبية بالإجماع وسط هتاف أعضائها على اختيار الشكل الاتحادى للدولة الليبية .

ثم انتقلت الجمعية الوطنية بعد ذلك إلى مناقشة شكل الحكومة المقبلة ، وقررت ، بناء على اقتراح أحد الأعضاء الطرابلسيين ، أن تكون ليبيا دولة ملكية ، وأن يكون

---

(١) هما حضرتى السيدين عمر فائق شنيب (برقة) رئيس الديوان الملكى العامر حاليا ، والشيخ المحترم أبو بكر بن احمد ابوبكر (فزان) .

ملكها سمو الأمير محمد إدريس السنوسى وقد اتخذ هذا القرار بالإجماع وسط هتاف أعضاء الجمعية وتصفيقهم ، وقررت الجمعية أن تنقل هذا القرار إلى سموه ، وأن تخبره بأنها تعتبره ملكا ابتداء من ذلك التاريخ .

وفيما يلى نص هذا القرار التاريخى :

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم . فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما » .

نحن ممثلى شعب ليبيا من برقة وطرابلس وفزان ، المجتمعين فى طرابلس الغرب فى جمعية وطنية تأسيسية بإرادة الله .

والمزودين بالصلاحيات الكاملة المعترف بصحتها واستيفائها الشكل القانونى ، والعازمين على تأليف إتحاد بيننا وتكوين دولة اتحادية ديمقراطية مستقلة وذات سيادة ، نظام الحكم فيها ملكى دستورى .

نستهل عملنا بحمد الله وشكره على ما قد منّ علينا من نعمة فى تحرير بلادنا واستقلالها .

واننا ، اعترافاً بإخلاص صاحب السمو محمد إدريس المهدى السنوسى أمير برقة المعظم وجهاده الطويل المثمر لخير ليبيا وشعبها ، وتحقيقاً لرغبة الشعب العامة ، و إقراراً للبيعات الشرعية السابقة التى صدرت من ممثلى الشعب الشرعيين لسموه ، وحرصاً على سعادة بلادنا واتحادها تحت تاج ملك تجد فيه المثل الأعلى للصفات التى يتطلبها هذا المنصب السامى ،

فأننا

ننادى بسمو الأمير السيد محمد أدريس المهدى السنوسى أمير برقة المعظم ، ونبايعه ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة ، ونرجو من جلالته أن يتفضل و يقبل ذلك .

وأنشا

قررنا انتقال الجمعية الوطنية التأسيسية بكامل هيئتها إلى بنغازى لرفع هذا القرار التار يخى لجلالة الملك المعظم ، وتلقى قبول جلالته لهذه البيعة .

طرابلس الغرب ، فى يوم السبت ٢٢ صفر الخير سنة ١٣٧٠ هجرية ، الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ .

* * *

ثم ناقشت الجمعية الوطنية بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٠ مسألة العلم الليبى ، ووافقت على أن يكون مؤلفاً من اللون الأحمر والأسود والأخضر ، يتوسطه نجم أبيض وهلال من اللون نفسه . وفى نفس اليوم شكلت « لجنة الدستور » من ستة أعضاء عن كل إقليم .

و بتاريخ ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، قرأ رئيس الجمعية رسالة من سمو الأمير رداً على الدعوة التى وجهت إليه بقبول عرش المملكة الليبية المتحدة . وقد قبل الأمير الدعوة ، ولكنه فضل تأجيل أعلان قبولها إلى أن تنتهى الأجراءات السياسية والدستورية والأدارية التى تمكنه فعلاً من ممارسة سلطاته الملكية . فأصبح يعرف بالملك العتيد .

و بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٥١ ، اتخذت الجمعية الوطنية قراراً التمست فيه من الملك العتيد أن يختار أعضاء الحكومتين المحليتين المؤقتتين فى طرابلس وفزان ، وأن يطلب إلى الدولتين القائمتين بالادارة أن تمكناهم من تسلم سلطاتهم وممارستها كاجراء مبدئى لتأسيس الدولة الليبية الاتحادية فى التاريخ المحدد ، وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة . فأعرب الملك العتيد عن موافقته على هذا الاجراء .

وكان أمر إنشاء حكومة وطنية فى طرابلس على غرار الحكومة البرقاوية قد بحث فى محادثات غير رسمية دارت بين المندوب والحكومة البريطانية فى شهرى ديسمبر سنة ١٩٥٠ و يناير سنة ١٩٥١ . وبتاريخ ٥ مارس قُدم إلى المجلس الإدارى

لولاية طرابلس الاعلان الخاص بنقل السلطات بعد موافقة الحكومة البريطانية على محتوياته ، وأصبح رئيس الإدارة البريطانية يعرف منذ اليـــوم التالى باسم (المقيم البريطانى) . وفى يوم ٨ مارس ، أبلغ المقيم البريطانى مندوب الأمم المتحدة بأنه قد عين فى ذلك اليوم (مجلس وصاية) لطرابلس الغرب مؤلفا من خمسة أعضاء ، وقد زيد هذا العدد بعد ذلك إلى ست . وقد سلمت إلى هذا المجلس بعض ســـلطات الإدارة البريطانية السابقة ، ولـكنها كانت أقل مما طالب بهمندوبالأمم المتحدة ، فبعث بخطابين فى ١٠ و١٨ أبريل على التوالى لـكل من المقيم البريطانى فىطرابلس والمعتمد الفرنسى فى فزان ، أكد فيهما الآراء التى سـبق أن أبداها ، وطلب أن تتاح فى المستقبل فرصة لمراعاة تنفيذ آرائه مراعاة عملية دقيقة .

وفى الرابع والعشرين من مارس سـنة ١٩٥١ ، قررت الجمعية الوطنية تأليف لجنة مكونة من ثلاثة أعضاء ، واحد عن كل إقليم ، برئاسة رئيس الجمعية ، الذهاب إلى بنغازى ومباحثة الملك العتيد بشأن تأليف حكومة مؤقتة قبل أول أبريل (وهو آخر تاريخ حددته الجمعية العامة فى القرار السابق ذكره) .

وبتاريخ ٢٩ مارس اجتمعت الجمعية مرة أخرى ، وبحثت تقرير اللجنةالثلاثية ثم اتخذت بالاجماع قراراً بتأليف حكومة اتحادية مؤقتة . وفيما يلى نص هذا القرار بعد الديباجة :—

تقرر الجمعية الوطنية ما هو آت :

(١) تأليف الحكومة الاتحادية المؤقتة اعتباراً من هذا اليوم ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٧٠ هـ ، الموافق ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ ، على أن يـكون من صلاحياتها الأولى : —

(أ) الاتصال بمندوب الأمم المتحدة بشأن إعداد البرنامج المنصوص عليه فى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، بخصوص نقل السلطات اليها من الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة فى ليبيا .

(ب) تستلم السلطات من الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة فى ليبيا تدريجياً بطريقة تضمن نقل جميع السلطات من أيدى الادارتين الحاليتين قبل أول يناير سنة ١٩٥٢ ، طبقا لقرار الجمعية العامه لهيئة الأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، على أن تكون ممارسة تلك السلطات وفقا لنصوص الدستور ، و بصورة خاصة فيما يتعلق بتوزيع السلطات بين الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية ، عند تقرير ذلك من قبل الجمعية الوطنية .

(٢) تعيين السادة المدرجة أسماؤهم أدناه ، بعد أن أخذت موافقتهم ، فى مناصب الدولة على الصورة الآتية : —

السيد محمود المنتصر	— رئيساً للوزارة ووزيراً للعدل والمعارف
السيد على الجربى	— وزيراً للخارجية والصحة
السيد عمر شنيب	— وزيراً للدفاع
السيد منصور قداره	— وزيراً للمالية
السيد إبراهيم بن شعبان	— وزيراً للمواصلات
السيد محمد عثمان	— وزير دولة

(٣) على سماحة رئيس الجمعية الوطنية تبليغ هذا القرار للجهات المختصة .

وقد عادت الجمعية الوطنية فاتخذت قراراً آخر بتاريخ ١٧ أبريل سنة ١٩٥١ ، عدلت بموجبه توزيع الوزارات ، بحيث أصبح وزير الخارجية مسئولا عن وزارة العدل ، ووزير الدولة السابق مسئولا عن وزارة الصحة . ولم تدخل تعديلات أخرى على مناصب الحكومة بعد ذلك .

وقد تقاطرت رسائل التهنئة بعد تأليف الحكومة الاتحادية المؤقتة من الملك العتيد ومن حكومات المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا ، ومن رئيس الجمعية العامة وسكرتير عام الأمم المتحدة ، ورئيس وزراء برقة . وقد عبر مندوب الأمم

المتحدة فى ليبيا عن ارتياحه الخاص ، كما اقترح على رئيس الوزارة أن تشترك الحكومة المؤقتة فى أعمال لجنة التنسيق الخاصة برسم خطة نقل السلطات ، من النواحى الإدارية والمالية .

إصدار الدستور الليبى :

أتمت لجنة الدستور عملها ، وأرسلت مشروع الدستور الجديد للمملكة الليبية إلى الجمعية الوطنية التأسيسية . وفى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، بدأت الجمعية الوطنية بدراسة مواد الدستور تمهيداً لإصداره . و بتاريخ ١٧ سبتمبر ، أبلغ رئيس الجمعية الوطنية الجمعية بأنه تلقى رسالة من الملك العتيد يدعو فيها أعضاء الجمعية الوطنية إلى الاجتماع فى بنغازى لمناقشة الدستور و إقراره . فقررت الجمعية الوطنية بالإجماع إرسال وفد إلى بنغازى لرفع نص مشروع الدستور إلى الملك العتيد ، وكلفت ذلك الوفد إبلاغ الملك العتيد أن الجمعية الوطنية قررت بالإجماع أن تعقد جلساتها المقبلة فى بنغازى لكى تبحث مشروع الدستور المعروض عليها و إقراره ، إذا وجدته ملائماً .

ووفقاً لهذا القرار ، انتقلت الجمعية الوطنية إلى بنغازى حيث عقدت جلسة علنية يوم السبت الموافق ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، وعقدت الجمعية آخر جلساتها يوم ٧ أكتوبر سنه ١٩٥١ . وفى هذه الجلسة ، صدر الدستور موقعاً عليه من رئيس الجمعية التأسيسية ونائبيه[1] .

---

(١) تنص المادة (٥) من الدستور الليبى على أن الإسلام دين الدولة . ونصت المادة ٤٠ على أن السيادة للأمة والأمة مصدر السلطات . ونصت المادة (٦٠) على أن الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه وهم المسئولون . ونصت المواد (١٤٣ــ ١٥٨) على تشكيل محكمة اتحادية عليا للفصل فى المنازعات الدستورية التى تنشأ بين الحكومة الاتحادية وولاية أو أكثر ، أو بين ولايتين أو أكثر. ونصت المادة (١٨٦) على أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة . ونصت المادة (١٨٨) على أن للمملكة الليبية المتحدة عاصمتان هما طرابلس وبنغازى . ونصت المادة (٢٠٧) على أن يعين الملك جميع أعضاء مجلس الشيوخ الأول ، وتكون مدته أربع سنوات اعتبارا من تاريخ انعقاد مجلس الأمة الأول ، وذلك بالرغم من أحكام المادتين ٩٠و٩٨ من الدستور .

إنشاء لجنة التنسيق وأعمالها :

أُنشئت « لجنة التنسيق » بموجب الفقرة (٣) من القرار رقم ٣٨٧ (٥) الذى يتضمن قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى أن يشرع مندوب الأمم المتحدة حالا، مستعيناً ومسترشداً بمشورة أعضاء مجلس الأمم المتحدة لليبيا ، فى وضع برنامج بالتعاون مع الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة ، لنقل السلطات بطريقة تضمن نقل جميع السلطات التى تمارسها هاتان الدولتان الآن إلى الحكومة الليبية المؤلفة تأليفاً صحيحاً ، قبل أول يناير سنة ١٩٥٢ .

وقد اجتمعت لجنة التنسيق لأول مرة فى مدينة طرابلس يوم ٨ فبراير سنة ١٩٥١ ، وكانت مؤلفة من ثمانية أعضاء وهم : المندوب ، وممثلى الدولتين القائمتين بالإدارة فى أقاليم ليبيا الثلاث ، والمستشار القانونى للادارتين البريطانيتين فى ليبيا ، وممثلين من الإدارات الأقليمية الثلاث . و بعد أن تألفت الحكومة الليبية المؤقتة يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ ، مثلت هى الأخرى فى لجنة التنسيق بواسطة رئيس الوزراء أو وزير المالية ، ثم استعانت هذه اللجنة بثلاثة من أعضاء الجمعية الوطنية ، كمستشارين .

وقد كان على هذه اللجنة أن تعالج مشاكل معقدة ، ناتجة عن توزيع السلطات بين الحكومات المحلية ودواتى الإدارة . ففى أول سبتمبر سنة ١٩٥١ ، كانت وظائف الحكم فى أقاليم ليبيا الثلاث ، التى ظلت حتى ذلك التاريخ منفصلة ، تمارسها سلطات مختلفة ، لايقل عددها عن ست . ففى برقة ، ومنذ أن صدر فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٩ الإعلان رقم ١٨٧ الخاص بنقل السلطات فى برقة ، خولت السلطات الإدارية والتنفيذية والتشريعية ، فيما يختص بالمسائل الداخلية ، للحكومة البرقاوية التى أُنشئت بمقتضى الدستور الذى أصدره سمو الأمير فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٩ . وقد احتفظت

المملكة المتحدة بالسلطات الأخرى بوصفها الدولة القائمة بأعمال الإدارة ، وكان يمارسها المعتمد البريطاني .

وفي إقليم طرابلس ، نقلت السلطات التنفيذية والتشريعية فيما يختص بالمسائل الداخلية إلى « مجلس الوصاية » بمقتضى الإعلان رقم ٢١٩ الصادر في ٥ مارس سنة ١٩٥١ بشأن نقل السلطات في إقليم طرابلس ، وهو الإعلان الذي أنشيء بمقتضاه ذلك المجلس . وقد احتفظت المملكة المتحدة بالسلطات الأخرى بوصفها الدولة القائمة بأعمال الإدارة ، وكان يمارسها المعتمد البريطاني .

وفي فزان ، جعل نظام الحكم الأنتقالي الذي أنشيء بموجب القرار رقم (٣) الصادر في ١٢ فبراير سنة ١٩٥٠ (الذي حل محله القرار رقم ٥ الصادر في ٢٩ مارس سنة ١٩٥١) عدة موضوعات متعلقة بالسياسة الداخلية والإدارة الداخلية من إختصاص حكومة فزان المؤلفة برئاسة رئيس الأقليم . وقد احتفظت فرنسا بالسلطات الأخرى بوصفها الدولة القائمة بأعمال الأدارة ، وكان يمارسها المعتمد الفرنسي .

ولذا ، كانت الأختصاصات الواجب نقلها إلى الحكومة الأتحادية موزعة في بادىء الأمر على جميع هذه السلطات . ولهذا السبب ، كان يتعين ، فضلاً عن نقل السلطات من الدولتين القائمتين بأعمال الأدارة إلى الحكومة المؤقتة وفقا للقرار رقم ٣٨٧ المذكور ، أن تنقل سلطات معينة من الحكومات الأقليمية الى الحكومة الليبيه المؤقتة . وكان يجب أن يتم ذلك قبل يوم ٣١ ديسمبر سنه ١٩٥١ ، أو في أى تاريخ سابق قد يقرر لإعلان استقلال ليبيا .

وقد بدىء في مباشرة نقل السلطات إلى الحكومة الليبية المؤقتة يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، بعد أن تمت الموافقة على البرنامج المعد لذلك من قبل أعضاء لجنة التنسيق ، وفقاً للأحكام الدستورية المتعلقة باختصاص الحكومة الاتحادية ، وحكومات الولايات ، التي قررتها الجمعية الوطنية .

وفى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، أصدر المعتمد البريطانى فى طرابلس الغرب المنشور رقم (٢٢٠) الخاص بنقل السلطات (رقم ١) ، كما صدرت منشورات مماثلة فى بنغازى وسبها ، بعد إجراء التعديلات اللازمة فيها .

أما المنشور رقم ٢٢٠ ، فقد خول حكومة ليبيا المؤقتة حق إصدار قانون وتنفيذه ، بشأن إيجاد عملة ليبية . ونص المنشور رقم ٢٢١ على أن الحكومة الليبية المؤقتة قد نقلت إليها سلطة عقد اتفاقات مالية مع الدولتين القائمتين بالإدارة ، حتى يتسنى نقل سلطات أخرى ، واتخاذ أى إجراء تنفيذى أو تشريعى يكون لازماً لتنفيذ مثل هذه الاتفاقات .

وفى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٥١ ، أصدرت الحكومة المؤقتة قانون العملة . وفى هذه الأثناء ، قدمت لجنة التنسيق « توصيات » إلى الحكومة المؤقتة ، بشأن التنظيم الأولى للحكومة الليبية الاتحادية وميزانيتها العادية الأولى. وقد اشتملت هذه التوصيات على الأبواب التالية :—

الجزء الأول — التنظيم الإدارى والميزانية العادية للحكومة الليبية لعام ١٩٥٢ .

التوصية رقم ١ — الاقتصاد فى المصروفات .

التوصية رقم ٢ — عدد الوزارات والوزراء (أوصت اللجنة بأن يكون عدد الوزارات ثمانى ، وأن يتولى ستة وزراء هذه الوزارات الثمانى) .

التوصية رقم ٣ — توزيع الوزارات على الوزراء .

التوصية رقم ٤ — عدم عمل الوزراء الاتحاديين فى خدمة الولايات .

التوصية رقم ٥ — مرتبات الوزراء (أوصت اللجنة بأن يكون مرتب رئيس الوزراء ٢٠٠٠ ج استرلينى فى السنة ، وأن يكون مرتب الوزير ١٦٠٠ جنيهاً فى السنة ، بغض النظر عن عدد الوزارات التى يتولاها) .

التوصية رقم ٦ — السكرتيرون الخصوصيون للوزراء .

« « ٧ — بدل التمثيل للوزراء والاعتماد الحكومى للضيافة .

« « ٨ — بدل السفر للوزراء .

« « ٩ — سيارات رسمية للوزراء .

« « ١٠— نفقات مكاتب الوزراء .

« « ١١— استخدام أخصائيين للعمل فى الحكومة .

« « ١٢— مرتبات الموظفين المدنيين .

« « ١٣— مكتب رئيس الوزراء (أوصت اللجنة بأن يتكون المكتب من مستشار للرئيس ، ومديراً للمكتب ، وسكرتارية لمجلس الوزراء ، وأربعة مصالح هى : مكتب الشئون البرلمانية ، ومكتب الموظفين ، ومكتب لشئون الإدارة الاتحادية ، ومكتب للصحافة والأنباء) .

التوصية رقم ١٤— وزارة المواصلات .

« « ١٥— وزارة الدفاع .

« « ١٦ — وزارة المالية والاقتصاد (أوصت اللجنة بأن يكون هنالك مستشار مالى واقتصادى للوزير ، كما أوصت بأن تكون لهذه الوزارة ثلاث مصالح هى : مصلحة الخزينة الاتحادية ، ومصلحة العملة وشئون المصارف ، ومصلحة العمل والأحوال الاجتماعية) .

التوصية رقم ١٧— وزارة الخارجية (أوصت اللجنة بأن يكون للوزارة أربعة أقسام وهى : القسم الدبلوماسى ، وقسم جوازات السفر والمهاجرة ، وقسم المراسيم (البروتوكول) ، وقسم المحفوظات . كما أوصت بعدم تعيين ممثلين دبلوماسيين فى الخارج فى الوقت الحاضر) .

التوصية رقم ١٨ — وزارة الصحة والمعارف .

« « ١٩ — وزارة العدل .

« « ٢٠ — المخصصات الملكية . (اقترحت اللجنة أن تبلغ المخصصات الملكية ٧٥,٠٠٠ جنيه استرليني سنويا) .

التوصية رقم ٢١ — تكاليف الحكومة الاتحادية ، والمبالغ التى ستساهم بها الحكومة الاتحادية فى ميزانيات الأقاليم .

(أوصت اللجنة بأن تتحمل الحكومات الإقليمية ، أى الولايات ، تكاليف الحكومة الاتحادية بنسبة ٦٠ ٪ لطرابلس ،و٣٠ ٪ لبرقة ، و١٠ ٪ لفزان) .

التوصية رقم ٢٢ — تقديرات ميزانية عام ١٩٥٢ .

الجزء الثانى — التنظيم الإدارى ، والميزانية العادية للحكومة الليبية المؤقتة عن المدة الواقعة بين سبتمبر وديسمبر سنة ١٩٥١ .

التوصية رقم ٢٣ — تعيين مدير المستخدمين .

« « ٢٤ — إبتداء عمل مجلس الوزراء الإتحادى فى أول سبتمبر سنة ١٩٥١ .

« « ٢٥ — إنشاء الوزارات .

(أوصت اللجنة بأن يتم إنشاء كل من مكتب رئيس الوزراء ووزارات المالية والمواصلات والصحة والمعارف والعدل فى أقرب وقت خلال شهر سبتمبر ، وتنظيم الخارجية ابتداء من شهر أكتوبر ، حتى تستطيع أن تباشر وظائفها فى شهر ديسمبر . وأن لايحل اليوم الأول من شهر ديسمبر إلا ويكون قد تم تنظيم وزارة الدفاع) .

التوصية رقم ٢٦ — استخدام الموظفين لمكتب رئيس الوزراء .

التوصيات من رقم ٢٧ إلى ٣٢ — توصيات استخدام الوزارات المختلفة .

التوصية رقم ٣٣ — ميزانية المدة المتبقية من عام ١٩٥١ .

« « ٣٤ — وضع التقديرات .

« « ٣٥ — تقدير المصروفات (قدرت اللجنة مجموع المصروفات عن شهر سبتمبر إلى ديسمبر بمبلغ ٦٣٫٦٠٠ جنيهاً) .

التوصية رقم ٣٦ — النفقات التي يجب أن تتحملها إدارة الولايات .

وقد حضّرت لجنة التنسيق كذلك ، مشاريع القوانين التالية :

١ — مشروع قانون الخدمة المدنية (وملحق به جدول درجات الموظفين ورواتبهم) .

٢ — مشروع قانون صندوق الإدخار .

٣ — مشروع صيغة عقد استخدام الأخصائيين في الحكومة الليبية .

نقل السلطات الأخيرة :

بدأت المفاوضات الخاصة بالاتفاقات المالية في شهر سبتمبر ، وانتهت في شهر ديسمبر . فعقد اتفاق مؤقت مع المملكة المتحدة في طرابلس الغرب في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وعقد اتفاق مؤقت آخر مع فرنسا بتاريخ ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وبموجب الإتفاق الأول تعهدت الحكومة البريطانية بتقديم تغطية مقدارها مئة بالمئة من الأسترليني الإصدار الأولى من العملة الليبية ، وفقاً لترتيبات مقبولة لدى الحكومتين ، كما تعهدت بريطانيا بأن تقدم مساعدة مالية لحكومة ليبيا بمبلغ يعادل في مقداره أي عجز في ميزانيات الحكومة الليبية و إدارات الولايات مجتمعة ، بشرط أن تطلب الحكومة الليبية مثل هذه المساعدة ، وأن تكون الميزانية قد وضعت بحكمة واقتصاد .

وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، أصدر المعتمد البريطانى فى إقليم طرابلس الإعلان رقم ٢٢٢ ، (نقل السلطات رقم ٣) لنقل مجموعة السلطات التالية للحكومة الليبية المؤقتة : ــ

١ ــ الأرصاد الجوية .

٢ ــ البريد والتلغراف والإتصال اللاسلكى والإذاعة الاتحادية وغير ذلك من وسائل الإتصال .

٣ ــ الطرق الاتحادية .

٤ ــ إنشاء السكك الحديدية ومرافقها .

٥ ــ فرض الضرائب اللازمة لسد مصروفات الحكومة الاتحادية المؤقتة ، بعد التشاور مع الولايات .

٦ ــ البنك الاتحادى .

٧ ــ مالية الاتحاد والدين العام .

٨ ــ الكامبيو والبورصات .

٩ ــ العمل بعد التشاور مع الولايات على تشجيع الإنتاج الزراعى والصناعى والنشاط التجارى ، وضمان الحصول على المواد الغذائية اللازمة للبلاد .

١٠ ــ نقل السلطات التشريعية التالية للحكومة الاتحادية، مع إعطاء السلطة التنفيذية المتعلقة بتنفيذ تلك المشروعات إلى إدارة الولاية فى طرابلس الغرب .

(ا) نظام الشركات .

(ب) ضريبة الدخل .

(ج) الإحتكارات والإمتيازات .

(ى) الثروات الموجودة فى باطن الأرض والتعدين .

(هـ) نزع الملكية .

(و) شئون العمال والضمان الاجتماعى.

(ز) البنوك .

(ح) تنظيم الاستيراد والتصدير .

وقد صدر إعلان مماثل بنفس التاريخ فى بنغازى بخصوص ولاية برقة ، وآخر فى سبها بخصوص فزان .

وبهذه الأعلانات وما سبقها ، نقلت جميع السلطات تقريبا إلى الحكومة الليبية المؤقتة ، أو إدارات الأقاليم ، فيما عدا السلطات الخاصة بالشئون الخارجية والدفاع .

وبتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، صدر أمر ملكى، عن قصر بكنجهام ، بأنهاء الأدارة البريطانية فى اقليمي طرابلس الغرب و برقة ، هذا نصه :

أمر ملكى لسنة ١٩٥١ لأنهاء الادارة البريطانية فى اقليمى طرابلس الغرب و برقة

صدر فى قصر بكنجهام فى ٤ ديسمبر ١٩٥١
بحضور جلالة الملك وأعضاء المجلس الخاص

حيث أنه بناء على أمر المجلس المؤرخ ٤ مارس سنة ١٩٤٩ بعنوان أمر المجلس الخاص بصاحب الجلالة البريطانية الخاص ببرقة وطرابلس سنة ١٩٤٩ (انهاء الأدارة) (وسيشار اليه فيما يلى « بالأمر الرئيسى ») قد نص على ممارسة سلطة جلالته فى كل من اقليمى برقة وطرابلس بواسطة « والى » يعينة لذلك الغرض وزير خارجية جلالة الملك و يكون الوالى مسئولا لديه .

وحيث أن الأمر الرئيسى قد صـار تعديله فى تطبيقه على برقة بأمر من المجلس تاريخه ٢٨ أكتوبر سنـــة ١٩٤٩ بعنوان أمر المجلس الخاص بصاحب الجلالة البريطانية الخاص ببرقة وطرابلس سنة ١٩٤٩ (تعديل) (ادارة) .

وحيث أن الأمر الرئيسى قدصار تعديله فى تطبيقة على طرابلس بأمر من المجلس تاريخه ٢٧ فبراير سنة ١٩٥١ بعنوان أمر المجلس الخاص بصاحب الجلالة ، الخاص ببرقة وطرابلس سنة ١٩٥١ (تعديل) (ادارة) ، وحيث أنه قد نص ضمن أشياء أخرى فى التعديلين الصادرين بأمر المجلس المذكورين آنفا بتغيير لقب الواليين فى برقة وطرابلس على التوالى بلقب المعتمد البريطانى .

وحيث أن القرارين الصادرين من الجمعيـة العمومية للامم المتحدة بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ و ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ على التوالى قد نص فيهما بأن ليبيا المؤلفة من برقة وطرابلس وفزان ستصير دولة مستقلة ذات سيادة عند اتمام الاجراءات المعينة بالقرارين المذكورين لـكى يصير استقلال ليبيا نافذا .

وحيث أن كافة تلك الاجراءات ستتم قريباً ، لذلك فإن جلالة الملك بممارسته لـكافة السلطات فى هذا الشأن ، يسره أن يأمر بمقتضى هـذا ، بعد مشورة مجلسه الخاص ، بما يأتي :

(١) يسمى هذا الأمر « أمر المجلس الخاص لصاحب الجلالة البريطانية الخاص ببرقة وطرابلس لسنة ١٩٥١ — إنهاء الإدارة » .

(٣) أن القرار التفسيرى لسنة ١٨٨٩ ينطبق على تفسير هذا الأمر ، كما ينطبق على تفسير قرار للبرلمان .

إمضاء : ف . ج . فرناو

* * *

وفى الساعات المبـكرة من صباح يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، نقل المعتمدان

البريطانيان والمقيم الفرنسى إلى الحكومة الليبية المؤقته مجموعة السلطات الباقية ، حسب قرار لجنة التنسيق ، و بذلك تم نقل جميع السلطات إلى الحكومه الأتحادية .

إعلان الاستقلال :

بعد اتمام عملية نقل السلطات ، وصدور الأمر الملكى البريطانى بأنهاء سلطة جلالة ملك بريطانيا العظمى فى إقليمى طرابلس و برقة ، والأعلان الصادر فى فزان بألغاء جميع السلطات التى كانت لحكومة فرنسا فى ذلك الأقليم ، أصبح السبيل ممهداً لأعلان إستقلال ليبيا بصفة رسمية . فقد خولت للحكومه الليبية المؤقتة السلطة التامة لممارسة جميع وظائف الحكم فى ليبيا كلها ، بدون تحفظات من الدولتين القائمتين بالأدارة سابقاً .وقد أقرت الجمعية الوطنية الدستور الذى أصبح سارى المفعول يوم أعلان الأستقلال نفسه . و بذلك أتمت الجمعية الوطنية مهمتها يوم الاستقلال ، وانفضت وفقاً لقراراتها . وبدأت الأستعدادات لأجراء الأنتخابات العامه الأولى لمجلس النواب . وكان قد انقضى على الحكومة المؤقته تسعة أشهر منذ تأليفها ، وأمكن تدبير المال اللازم لمواجهة نفقات الحكومة الليبيه .

وفى الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين من صباح يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، أعلن الملك إدريس الأول بصفة رسمية فى قصر المنار العامر ، بحضور رئيس وزراء الحكومة المؤقتة ووزرائها ، ومندوب الأمم المتحدة فى ليبيا ، وممثلين دبلوماسيين لدول أجنبية ، وأعيان من الأقاليم الثلاثة ، أن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة . وأعلن الملك فى الوقت نفسه ، أن الدستور الذى أصدرته الجمعية الوطنية فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، قد أصبح سارى المفعول من ذلك اليوم ، وأنه سيحكم البلاد بطريقة دستورية حقة ، وفقاً لأحكام الدستور . وفيما يلى نص إعلان الاستقلال الذى أصدره الملك إدريس الأول فى ذلك اليوم التاريخى المشهود :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شعبنا الكريم :

يسرنا أن نعلن للأمة الليبية الكريمة أنه نتيجة لجهادنا ، وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة الصادر فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ ، قد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة ، وإنا لنبتهل إلى المولى عز وجل ، بأخلص الشكر وأجمل الحمد على نعمائه ، ونوجه إلى الأمة الليبية أخلص التهانى بمناسبة هذا الحادث التاريخى السعيد . ونعلن رسمياً بأن ليبيا منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، ونتخذ لنفسنا من الآن فصاعداً ، نزولاً على قرار الجمعية الوطنية الليبية الصادر فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، لقب جلالة ملك المملكة الليبية المتحدة .

ونشعر أيضاً بأعظم الاغتباط لبداية العمل منذ الآن بدستور البلاد كما وضعته وأصدرته الجمعية الوطنية فى ٦ من محرم سنة ١٣٧١ هجرية ، الموافق ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥١ ميلادية . وأنه لمن أعز أمانينا كما تعرفون ، أن تحيا البلاد حياة دستورية صحيحة ، وسنمارس من اليوم سلطاتنا وفقاً لأحكام هذا الدستور .

ونحن نعاهد الله والوطن فى هذه الفترة الخطيرة التى تجتازها البلاد أن نبذل كل جهدنا بما يعود بالمصلحة والرفاهية لشعبنا الكريم ، حتى تتحقق أهدافنا السامية ، وتتبوأ بلادنا العزيزة المكان اللائق بها بين الأمم الحرة . وعلينا جميعاً أن نحتفظ بما قد اكتسبناه بثمن غال ، وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة ، وأننا فى هذه الساعة المباركة ، نذكر أبطالنا ، ونستمطر شآبيب الرحمة والرضوان على أرواح شهدائنا الأبرار ، ونحيي العلم المقدس رمز الجهاد والاتحاد وتراث الأجداد ، راجين أن يكون العهد الجديد الذى يبدأ اليوم ، عهد خير وسلام للبلاد ، ونطلب من الله أن يعيننا على ذلك ، ويمنحنا التوفيق والسداد ، إنه خير معين .

صدر بقصر المنار العامر فى { ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٧١ هجرية .
٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ }

ادريس

وعلى أثر الإعلان الملكى للاستقلال ، تفضل الملك المعظم باستقبال رئيس وزراء الحكومة الليبية المؤقتة ، السيد محمود المنتصر ، الذى قدم اليه استقالته من منصبه . فقبلها ، وكلفه بتأليف وزارة جديدة. و بعد ذلك ، قدم رئيس الوزراء إلى الملك قائمة بأسماء الوزراء الجدد ، والوزارات التى يتولونها . فصدرت مراسيم تأليف الوزارة الأولى فى عهد الاستقلال على الوجه التالى : (١)

السيد محمود المنتصر	:	رئيس الوزراء ووزير الخارجية
السيد فتحى الكيخيا	:	نائب الرئيس ووزير العدل والمعارف
السيد منصور بن قداره	:	وزير المالية والاقتصاد
السيد على أسعد الجربى	:	وزير الدفاع
السيد ابراهيم بن شعبان	:	وزير المواصلات
السيد محمد بن عثمان	:	وزير الصحة

وفى اليوم نفسه ، أصدر الملك إدريس الأول مراسيم ملكية بتعيين ولاة الأقاليم الليبية الثلاثة ، على النحو التالى :

السيد محمد الساقزلى	:	لولاية برقة
السيد فاضل بن زكرى	:	لولاية طرابلس الغرب
السيد احمد سيف النصر	:	لولاية فزان

وفى اليوم نفسه أيضاً ، حولت حكومات الأقاليم الثلاثة إلى «ولايات»، وأصبح يرأس المصالح المختلفة فيها موظفون كبار يعرفون « بالنظار » بدلا من « الوزراء » ، إذ أصبحت هذه التسمية الأخيرة مقصورة على أعضاء الوزارة الاتحادية . ولكل ولاية ، بمقتضى الدستور ، أن تضع قانونها الأساسى الخاص ، وتصدره فى خلال سنة

(١) عدلت الوزارة فيما بعد بتعيين السيد محمد الساقزلى وزيرا للمعارف ، وإلغاء لقب نائب رئيس الوزراء ، كما عين السيد حسين مازق واليا لبرقة .

واحدة من تاريخ صدور الدستور الليبي . كما جعلت لكل من الحكومة الاتحادية والولايات اختصاصات محددة ، فصلها الدستور في المواد ٣٦ و٣٧ و٣٨و٣٩

وفي مساء يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، استقبل رئيس الوزراء ووزير الخارجية على أثر عودته إلى مدينة طرابلس، مندوب الأمم المتحدة في ليبيا . والممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة ، ورجال السلكين الدبلوماسي والقنصلي ، وسلم رئيس الوزراء إلى المندوب رسالة تتضمن إشعارا رسمياً بأن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، وطلب فيها إلى المندوب أن يبلغ رئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة إعلان استقلال ليبيا . وسلم الرئيس أيضاً إلى الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة ، طلبات ليبيا الخاصة بالاشتراك في عضوية كل من هيئة الأمم المتحدة ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، ومنظة التربية والعلوم والثقافة ، ومنظمة الصحة العالمية ، كما وقع رئيس الوزراء ، بصفته وزيراً للخارجية ، والممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة ، اتفاقاً أساسياً وأربع اتفاقات إضافية ، خاصة بتقديم المساعدة الفنية لليبيا .

وقد احتفلت البلاد الليبية في ذلك اليوم احتفالاً يليق بهذه المناسبة التاريخية السعيدة ، وأعلن يوم ٢٤ ديسمبر عطلة رسمية .

الانتخابات النيابية :

وبعد صدور قانون الانتخابات ، الذى سبق أن أقرته الجمعية الوطنية التأسيسية وتحدد بموجبه يوم ١٩ فبراير للاقتراع العام ، أخذت الأحزاب والهيئات تستعد لخوض أول معركة نيابية في البلاد الليبية ، وقد جرت الانتخابات في جو صاخب ، وأسفرت في النهاية عن فوز جبهة الحكومة بأغلبية كبيرة . (١)

(١) يتألف مجلس النواب من ٥٥ عضوا (على أساس نائب واحد عن كل عشرين ألفا) . ويتألف مجلس الشيوخ من ٢٤ عضوا ، بالتساوى بين الولايات الثلاث ، ويعين الملك نصف الأعضاء ، وتقوم مجالس الولايات التشريعية بانتخاب الباقين .

وفى يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٢ ، افتتح أول برلمان ليبى بحضور الملك إدريس الأول فى مدينة بنغازى ، والقى السيد محمود المنتصر ، رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، أول خطاب عرش فى عهد الاستقلال .

وهكذا ولدت الدولة الجديدة ، التى أصبحت تعرف بالدولة العربيـة الثامنة ، وتكللت جهود الشعب الليبى بذلك الختام السعيد .

القسم الثاني

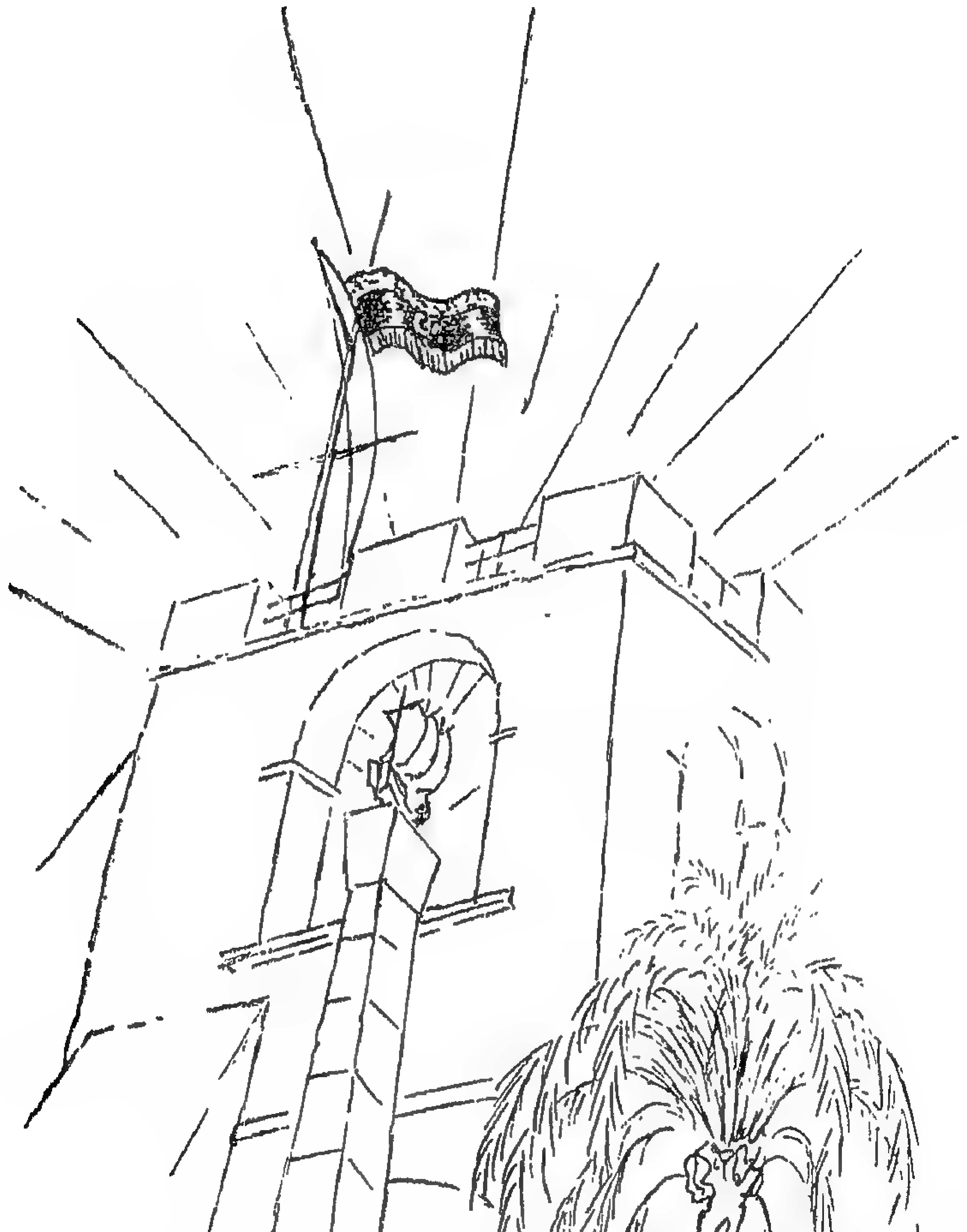

الحاضر

منظر فى إحدى الواحات

[تصوير جناح]

الفصل الأول

الوصف الجغرافى ، السكان ، الأقليات الأجنبية

طرابلس الغرب هى كبرى الولايات الثلاث التى تتألف منها المملكة الليبية المتحدة من حيث عدد السكان ، وأصغرهن من حيث الاتساع . إذ لا تزيد مساحتها على ٢٥٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، بينما تبلغ مساحة فزان ٨٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ومساحة برقة ٧٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع . وهى واقعة بين إقليم برقة شرقاً ، وتونس وصحراء الجزائر غرباً ، والبحر الأبيض المتوسط شمالا ، وفزان جنوباً . وأكثر مساحتها صحارى رملية مجدبة ، ولا تزيد مساحة الأراضى الزراعية فيها على ٢ بالمئة من مساحتها الإجمالية .

ولو تجولنا بالطائرة فوق أراضى طرابلس الغرب ، لاستطعنا أن نرى سلسلة من الواحات المتقطعة على طول الساحل بين زوارة فى الغرب ، ومصراتة الواقعة عند الرأس الشمالى الغربى من خليج سرت . ويمتد وراء هذه السلسلة سهل مثلث الشكل تقريبا ، مساحته حوالى ١٨٫٠٠٠ كيلو متراً مربعاً ، ويعرف بسهل الجفارة . وتحيط بهذا السهل سلسلة من الجبال الصخرية يطلق على مجموعها اسم « الجبل » [١] ، وتشمل جبال نفوسة ، وغريان ، وترهونة ، ومصراته . وخلف هذه السلسلة الجبلية تبدأ منطقة الصحارى الواسعة المعروفة بالصحراء الحمراء .

أما منطقة الواحات ، فيبلغ طولها حوالى ٣٢٥ كيلو متراً ، ويقل عرضها فى أغلب المواقع عن عشرة كيلو مترات . وهذه المنطقة هى أخصب مناطق الأقليم ،

---

(١) تمتد هذه السلسلة من نالوت على الحدود التونسية حتى القصبات ، على بعد ٣٢ كيلومترا جنوب غربى مدينة الخمس . ويتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ قدم .

ولذا كانت أغزرها سكاناً ، وفيها تقوم المدن الرئيسية ، التى أشهرها بحسب الترتيب من الشرق إلى الغرب : سرت ،مصراته ، زليطن ، الخمس ، تاجوراء، سوق الجمعة ، طرابلس ، الزاوية ، صرمان ، صبراتة وزوارة .

ويبلغ طول الساحل الطرابلسى حوالى ٨٢٠ كيلو متراً ، وشواطئه فى الغالب صخرية ومياهه ضحلة ، ولذا كان لايصلح ، باستثناء ميناء طرابلس ، إلاّ لرسو المراكب الساحلية الصغيرة .

ومما تجدر ملاحظته هنا ، موقع إقليم طرابلس بالنسبة إلى باقى الأقاليم الأخرى . فالطرف الشرقى من طرابلس الغرب منفصل عن الطرف الغربى للمنطقة البرقاوية بمساحة من الصحراء وشبه الصحراء طولها ٦٥٠ كيلو متراً ، وتعرف بصحراء سرت . وتبعد زوارة (آخر مدينة فى طرابلس باتجاه الغرب) عن الحدود التونسية مسافة ٢٠٠ كيلو متر تقريباً . وتقع أقرب واحات فزان على مسافة ٤٥٠ كيلومترا جنوبى مدينة طرابلس ، عبر نجد جاف متقطع .

من ذلك يتبين للقارىء أن قصة الحياة فى طرابلس الغرب هى قصة الكفاح بين الإنسان والطبيعة ، فحيثما وجد الماء وجدت الحياة ، وحيثما شح الماء أو فقد ، فهنالك الرمال المحرقة التى لاتترك للحياة فوقها إلا الأثر الضئيل .

التربة والأمطار :

تغطى مناطق الزراعة فى طرابلس الغرب طبقة من التربة الرملية الحمراء ، أو التربة الرملية الممزوجة بالصلصال . وتختفى هذه الطبقة فى الجزء الغربى القاحل . وتتألف الأرض ، تحت هذه الطبقة ، من صخور طباشيرية عليها طبقة من الحجر الجيرى الأبيض . وتنتشر كثبان الرمال الحمراء على مساحات كبيرة . وتسبب هذه الكثبان بعض المشاكل بسبب ميلها إلى الزحف بفعل الرياح والعوامل الطبيعية .

فتطغى أحياناً على منطقة السهول وتعوق أعمال الزراعة والإنشاء . وللتغلب على هذه المشاكل ، عمدت الحكومة الإيطالية أثناء الاحتلال إلى غرس أشجار الغابات فى بعض المناطق المهددة ، وما زالت أعمال الغرس هذه مستمرة الآن .

ومع أن سقوط الأمطار قليل عادة فى منطقة الجبل ، إلا أن الأودية والسواحل تنال فى السنوات العادية قسطاً مناسباً منها . وقد فشلت حتى الآن جميع المحاولات لجمع مياه الأمطار فى سدود أو خزانات ، وما زالت تجـــرى المحاولات لضبط المياه والأستفادة منها زراعياً بقدر الإمكان .

ويتوقف توزيع سقوط الأمطار على وصول الرياح الشمالية الغربيـة الحاملة للأمطار إلى السواحل البحرية ومنطقة الجبال . وقد بلغ أعلى متوسط لسقوط المطر فى العام ١٦ بوصة فى مدينة طرابلس وضواحيها ، بينما يتراوح هـذا المعدل بين ١٢ بوصة فى غريان ، و ٧ بوصات فى بعض الواحات الساحلية . وهـذه الأمطار تسقط عادة فى شهور الشتاء من أكتوبر إلى مارس ، ويندر سقوطها فيما وراء منطقة الجبل حتى ينعدم بالكلية كلما توغلنا جنوبا .

أما الجليد ، فغير معروف فى المناطق الساحلية برمتهـا . إلا أن المعدل الأدنى للحرارة بلغ فى غريان خلال شهرى ديسمبر ويناير ٧ ° وار٥ ° سنتغراد بالتتالى .

أن أهم خصائص المناخ فى طرابلس الغرب هو عدم الإستقرار وسرعة التقلب ، ويبدو هذا الأثر واضحاً فى إضطراب سقوط الأمطار وسوء توزيعها . إذ بينما تدل الأحصائيات على أن معدل سقوط المطر فى مكان ما هو ١٥ بوصة فى العـام ، فأن هذه الأرقام تدل كذلك على أن هذه الكمية كلها ، أو الجـزء الأكبر منها ، قد سقط فى أيام معدودة أو فى شهر واحد، بينما تحتاج الزراعة ، كما هو معلوم ، إلى الأمطار فى شهور متفاوتة . فهى لازمة فى الخريف لطرح البذور ، كما أنها ضرورية فى الربيع لنضج الثمار . وقد حدث أن تعاقبت سنـوات من الجدب على طرابلس مما يجعل

الأعتماد على المطر وحده فى الزراعة من أشق الأمور . ولذا كان من حسن الحظ أن موارد المياه الجوفية وافرة نوعاً ما فى إقليم طرابلس . ففى المناطق الساحلية يمكن الوصول إلى الماء على عمق يتراوح بين ١٥ و ٥٠ قدما من سطح الأرض ، وكلما توغل الأنسان فى داخلية البلاد إرتفع سطح الأرض بمتوسط انحدار مقداره ١٥٠/١ ، وانخفضت طبقة المياه تبعا لذلك بنفس النسبة .

و يوجد فى الجبل عدد لا بأس به من الينابيع الصغيرة ، كما أن المياه الجوفية موجودة فى بضعة أماكن ، ولكن على أعماق تتراوح ما بين ١٥٠ و ٢٥٠ قدما .

المناخ :

يشبه مناخ القسم الشمالى من إقليم طرابلس الغرب مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهو جميل فى العادة ، ولكنه كثير التقلب بسبب هبوب الرياح المفاجىء . فقد يحدث أن يكون الجو أدفأ أحياناً فى الليل منه فى الظهر ، كما أن درجة الحرارة قد تتذبذب عدة مرات بين الصعود والهبوط فى اليوم الواحد . وتتراوح درجة الحرارة فى السنوات العادية بين ٣٠° و١١٥° فهرنهايت ، إلا أن حالات استثنائية قد سجلت منذ عهد قريب . فقد بلغت درجة الحرارة فى الظل مرة ١٣٦٫٤° فهرنهايت ، وهى أعلى درجة للحرارة فى الظل سجلت فى العالم . ومن جهة أخرى ، فقد سقطت فى بعض المواقع ثلوج بلغ ارتفاعها عشرون قدما ، أدت إلى خسائر كبيرة فى الأرواح .

ونظراً لقربها من الصحراء ، فان رياحا حارة لافحة تهب صيفاً على المناطق الشمالية من طرابلس ، حاملة الرمال أحيانا ، وتدعى بالرياح القبلية أو « القبلى » . فاذا استمر هبوب هذه الرياح بضعة أيام — كما يحدث فى بعض السنين — سببت خسائر فادحة فى المحصول الزراعى ، ومضايقات شديدة للأهلين .

وتختلف نسب الرطوبة باختلاف المناطق والفصول . وتبلغ نسبة الرطوبة

ذروتها فى فصل الشتاء ، إذ تصل إلى ٧٥ بالمائة فى مدينة طرابلس خلال شهر فبراير ، و٥٦ بالمائة فى غريان خلال شهر ديسمبر . أما فى أشهر الصيف ، فمعدل نسبة الرطوبة فى مدينة طرابلس ٥٧ بالمائة ، ويرتفع هذا المعدل إلى ٦٨ بالمائة فى شهر سبتمبر .

وقد سجلت حديثاً حالات استثنائية فى نسب الرطوبة ، إذ بلغت فى بعض أشهر الصيف من السنوات الأخيرة ٩٤ بالمائة .(١)

الموارد المعدنية :

لم يثبت بعد وجود معادن من أى نوع فى إقليم طرابلس الغرب . والمعروف أن معدن البوتاس موجود فى « سيدا » الواقعة فى القسم الغربى من الأقليم ، ولكن لم تبذل حتى الآن أية محاولة لاستخراجه . ويعتقد بعض الخبراء بوجود الحديد الخام فى هذا الأقليم أيضاً ، ولكن هذا الرأى لم تثبت صحته بعد .

وقد طلبت بعض شركات البترول العالمية السماح لها بالبحث عن البترول فى أراضى طرابلس وبرقة ، وإلى أن تباشر الشركات أعمال التنقيب لا يمكن التكهن بالنتائج .

السكان

تدل أحدث الأرقام الرسمية على أن عدد سكان طرابلس الغرب يبلغ حوالى ٧٧٠٫٠٠٠ نسمة ، وهذا الرقم مأخوذ من سجلات التموين والسجلات الانتخابية ، أما آخر إحصاء رسمى عام فقد جرى سنة ١٩٣٦ ، زمن الاحتلال الإيطالى .

وسكان طرابلس الغرب الحاليون هم مزيج من سلالات مختلفة ، أهمها السكان الأصليون الوارد ذكرهم فى فصل سابق من هذا الكتاب ، وهم المعروفون فى

(١) راجع الجداول فى آخر الكتاب .

التاريخ باسم « الليبيين » أو « البربر » ؛ والعرب ، وهم الذين دخلوا البلاد بموجتين متعاقبتين فى القرنين السابع والحادى عشر للميلاد . وتأثير العرب على أشده فى المناطق الساحلية والشرقية ، ويقل فى الجنوب والغرب ، حيث توجد إلى اليوم جماعة من البربر فى العقيلة وسرادة ومنطقة « الجبل » كغريان وزوارة ويفرن ونالوت ، وقد احتفظوا بلغتهم الأصلية وعاداتهم القديمة [١] ، كما أنهم ينتمون إلى مذهب إسلامى قائم بذاته ، هو مذهب الأباضية [٢] ، بينما ينتمى معظم العرب إلى مذهب المالكية .

وهنالك ، بخلاف العرب والبربر ، سلالات أخرى استقرت فى هذه البلاد واعتنقت الدين الاسلامى ، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من السكان . وإلى القارىء موجزاً عن كل منها :

---

(١) يقول ابن خلدون إن البربر من عرب اليمن نزحوا إلى المغرب قبل الفتح الاسلامى .

ويقول الفيلسوف أمين الريحانى فى كتابه « المغرب الأقصى » أن أصل لفظة البربر افريقى ، إذ أخذت من لفظة برباري المعربة عن فرفاروس (Vervaros) ومعناها « اللفظ المشترك بين اللفظ وبين نطق الألثغ » ثم صار اليونان يطلقونها على كل من تكلم بلغة غير لغتهم . وقد أطلقها الرومان على كل من لم يخضع لسلطانهم من الأمم .

« والذى يبدو لنا أن الافريق ، وقد وصلوا إلى هذه السواحل قبل تأسيس قرطجنة ، أطلقوها على أهل البلاد لأنهم كانوا « يفرفرون » أى « يبربرون » أو كما نقول نحن اليوم يتراطنون بالأعجمية ، وأطلقها عليهم الرومان لأنهم حاربوهم ، وتمردوا على سلطتهم ، وحاولوا غير مرة التخلص منها ، فقالوا إنهم برابرة ، من البربر » . ا هـ

غير إنى لا أرى هذا الرأى — ولعل الأمر قد التبس على فيلسوف الفريكة ، فاختلطت عليه الكلمتان «Berber» وهى التى تطلق على سكان شمال افريقيا القدماء والبربر «Barbarian» التى اطلقها الرومان على قبائل الجرمان والفاندال وغيرهم ، وكانوا يقصدون منها تحقير هذه الشعوب وازدرائها .

وأول من شهر كلمة البربر من المؤرخين ابن خلدون . وكانوا يعرفون قبل ذلك باسم الليبيين أو المغاربة . ويبدو أن الذى أطلق عليهم هذا اللفظ هم العرب ، لا الافرنج ، لأن لغتهم ، فى نظر العرب ، كانت أشبه « بالبربرة » أو الرطانة الأعجمية الغير مفهومة .

(٢) نسبة إلى مؤسسه عبد الله بن إباض .

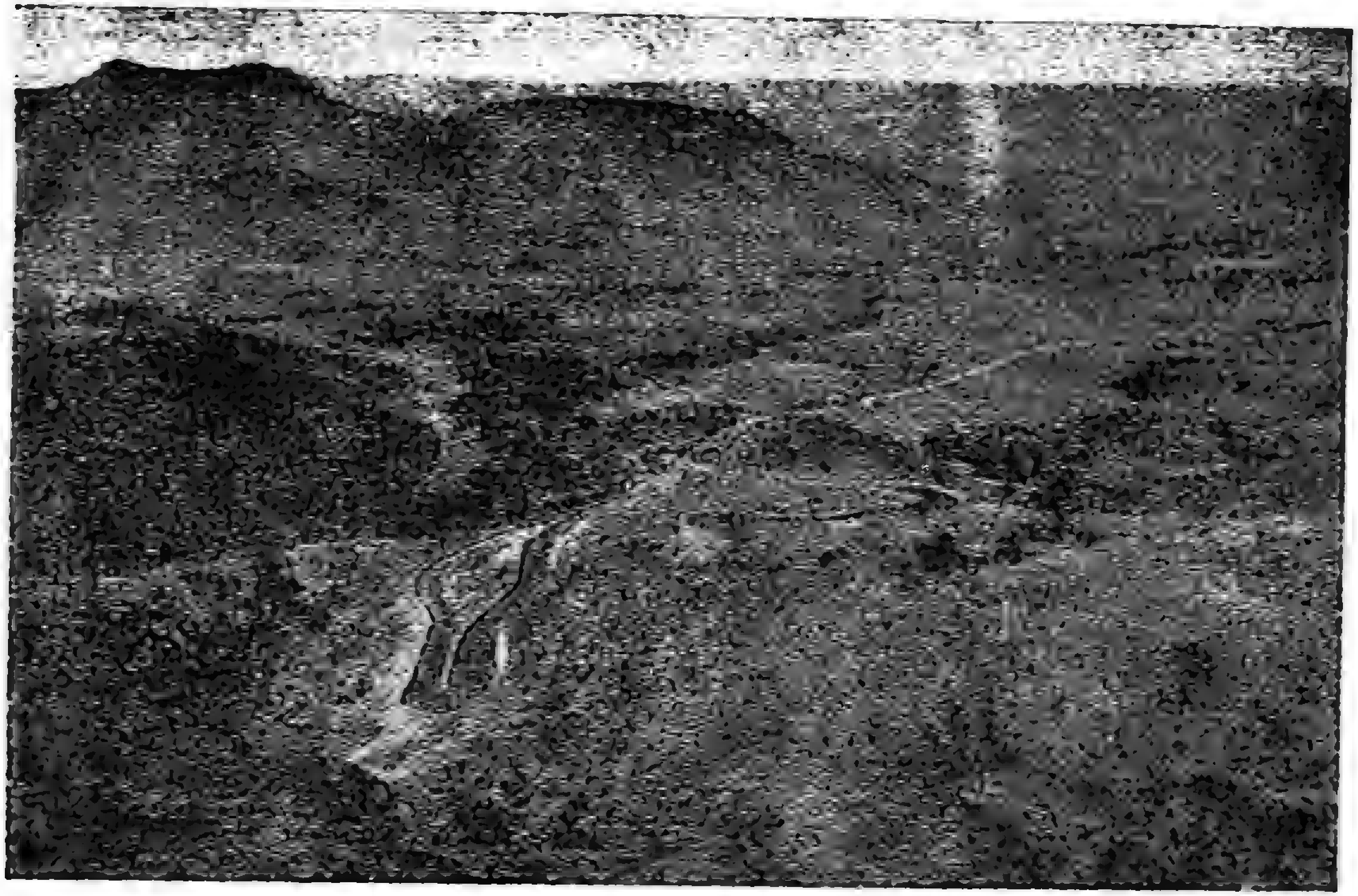

الطريق إلى غريان

الكوارغلية : وهم من نسل جنود الإنكشارية الأتراك، وأنسابهم مختلطة بدماء عربية أو بربرية عن طريق التزاوج . وقد احتفظ هؤلاء بصفاتهم المميزة وطابعهم الخاص أثناء الحكم التركى للبلاد ، وكان أبناؤهم يشكلون الجزء الأكبر من رجال الأمن والجيش .

وتعيش اليوم جماعات منهم فى مدن طرابلس ، والزاوية ، وجنزور ، ومصراته وغريان ، إلا أنه يصعب أن تميز اليوم بينهم و بين العرب ، فقد اقتبسوا العادات والطبائع العربية بكاملها ، كما أن دينهم هو الإسلام .

الشراكسة : يربو عددهم على الألفى نسمة ، وهم يعيشون فى مصراته وضواحيها، وينقسمون إلى قبيلتين : شرقية وغربية . ولا تعرف صلتهم بالشعب الشركسى القوقازى ، كما إن تاريخ دخولهم هذه البلاد غير معروف أيضاً . وقد سمعت من يقول أنهم من بقايا مماليك مصر ، فروا إلى هذه البلاد عبر الصحراء الغربية عقب مذبحة القلعة المشهورة ، ولكننى لا أميل إلى تصديق هذه الرواية .

ولا يختلف الشراكسة اليوم عن سائر السكان فى شىء ، فعاداتهم عربية محلية ، وكذلك لغتهم ، كما أن دينهم هو الإسلام .

المرابطون : يزعم بعض المؤرخين أن إسمهم يشتق من كلمة « الرباط » ومعناها الحصن ، دلالة على أن المرابطين كانوا يقيمون فى الحصون التى أنشأها العرب على طول السواحل الإفريقية [١] . ويقول أصحاب هذا الرأى أن المرابطين من نسل عربى ، جاءوا إلى البلاد مع الفتح الإسلامى ثم امتزجوا بالبربر، السكان الأصليين، وكانت توكل إليهم مسئولية الحراسة والدفاع عن الحصون الأمامية . وبالتدريج ، حولوا حصونهم إلى زوايا للعبادة ، وانصرفوا بكليتهم نحو الروحانيات وعبادة الله .

---

(١) وقد وجدت بقايا حصون المرابطين أيضا فى إسبانيا وجنوب فرنسا والسواحل الغربية الايطالية ، وقد تكون دولة المرابطين التى قامت فى إسبانيا فى أواخر العصر الاسلامى فى الأندلس من هؤلاء .

ويقول آخرون ، أنهم من سلالة عربية — بربرية ، جاءوا فى الأصل من « الساقية الحمراء » فى جنوبى مراكش[1] ، واستقروا فى أنحاء متفرقة من الساحل الأفريقى الشمالى ، وكل جماعة منهم تزعم أنها تنتسب إلى أحد الأولياء الصالحين . ويزعم آخرون أنهم من مزيج من السلالات العربية والإغريقية والبربرية ، لا يعرف تاريخ تكوينهم بالضبط ، ولكن الذى لا شك فيه أن «المرابطين» يتمتعون باحترام خاص عند العامة ، كما إن لهم نفوذاً كبيراً على الجماهير . وقد لعبوا دوراً هاماً فى تاريخ البلاد ، وما زلت تجد قبورهم ومن فوقها القباب البيضاء تلمع فى أشعة الشمس في كل بقعة من طرابلس الغرب ، سواء وسط حدائق الفاكهة والنخيل ، أو خلف زقاق فى مدينة أو قرية ، أو منفردة فى وحدة الصحراء .

وقد أصبحت لفظة « مرابط » فى طرابلس مرادفة لكلمة « ولى » فى سائر البلاد العربية .

الزنوج : يعيش الجزء الأكبر منهم فى « تاورغة » التى تبعد بضعة أميال إلى الجنوب من مصراته ، وأكثر هؤلاء من نسل العبيد الذين كان التجار الطرابلسيون يجلبونهم فى العصور الماضية من نيجيريا[2] . ويطلق عليهم الطرابلسيون لفظة « شوشان » . وقد امتزج بعض هؤلاء بالسكان ، وتكونت من هذا المزيج طبقة من المولدين . وتجد بعضهم فى المدن كطرابلس وغيرها .

الأقليات :

يشكل الإيطاليون أكبر الأقليات الأجنبية فى طرابلس الغرب إذ يبلغ عددهم

(١) اتفقت أكثر الآراء على أن هذا السكان لا وجود له فى مراكش ، وأن المرابطين ، عندما كانوا يشيرون إلى « الساقية الحمراء » ، ربما عنوا « سواقى الدماء » التى كانت تسيل من أجسادهم أثناء الجهاد .

(٢) وليس السودان كما هو الشائع على لسان السكان .

مدينة غريان

[تصوير جناح]

حوالى ٤٧ ألفاً . أما الإيطاليون المستوطنون فى برقة فقد رحلوا عنهـا عام ١٩٤٢ بناء على أوامر الجيش الايطالى ، ولم يبق منهم سـوى بعض الأفراد من أعضـاء الجمعيات الدينيـة الذين يقومون بأعمال التمريض والتعليم . وكان عدد الإيطاليين فى طرابلس زمن الحـكم الإيطالى سبعون ألفاً ، تناقصـوا حتى أصبح عددهم اليوم ثلثى عددهم السابق . ويحتفظ الايطاليون بلغتهم ودينهم وثقافتهم ومدارسهم الخاصة، وأكثر من ٥٠ بالمائة منهم يسكنون المدن حيث يؤلفون أكثرية طبقة أصحاب المهن والعمال الفنيين وأصحاب الحرف وجزءاً كبيراً من طبقـة التجار . ويعيش الباقون فى المؤسسات (المستعمرات) الزراعيـة التى أنشأتها لهم الحكومة الايطالية إبان الاحتلال .[1]

ويلى الإيطاليون عدداً اليهود ، والأقلية اليهودية قديمة العهد فى طرابلس الغرب، وأكثرهم من نسل المهاجرين اليهود الذين غادروا إسبانيا أثر حوادث الإضطهـاد العنصرى عام ١٤٨٠ م. غير إن الهجرة إلى إسرائيل قد أنقصت عددهم من ٣٠٫٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ خلال أربعة أعوام (١٩٤٨ ــ ١٩٥٢) . ويحتفظ اليهود بطابعهم الدينى والثقافى ، ولهم عاداتهم وأنديتهم ، وهم يتكلمون العربيـة والإيطاليـة ولايستعملون العبرية إلا كلغة دينية . أما معيشتهم فجلها على التجـارة ، وبعضهم من أصحاب الحرف الصناعية .

وفى طرابلس عدد قليل جداً من المالطيين واليونانيين والأرمن ، وهم يقطنون فى الغالب مدينة طرابلس ويعيشون على التجارة وأعمال السفن .

وفى مدينة طرابلس اليوم ، وبعض المدن الأخرى ،عدد من الأمريكان والانجليز وعائلاتهم ، وقد أقام الأمريكان مطاراً هائلا فى ضاحيـة الملاحة ، على بعد سبعة كيلو مترات من مدينة طرابلس ، وجعلوه أشبه بمدينة أمريكية صغيرة ، ويعرف هذا

---

(١) راجع الفصل السادس من هذا الكتاب .

المطار باسم « ويلص فيلد » نسبة إلى أحد طياريهم المشهورين . ولعله من المفيد ، قبل أن نختتم هذا الفصل ، أن نورد وصفاً لهذا المطار لما له من أثر فعال فى حياة سكان مدينة طرابلس ، بل فى حياة الولاية بأسرها .

مطار الملاحة (ويلص فيلد) :

يقوم المطار وتوابعه على أرض مساحتها ٨٠٠ فدان بمحاذاة شاطىء البحر . وقد وقع أول اتفاق بشأنه بين السلطات البريطانية وبين القيادة الأمريكية عام ١٩٤٣ . ويقول المسئولون الأمريكيون أنه يعتبر المطار الثالث فى العالم . والمطار مجهز لاستقبال أى عدد من الطائرات ، وبالتالى يمكن أن يقوم منه أى عدد منها بدون أن يسبب ذلك أدنى ارتباك .

والمطار ليس هو كل شىء ، فإن ثكنات الضباط والجنود الأمريكيين تشغل مكاناً كبيراً من مساحة القاعدة ، كما تقوم داخله مدينة أمريكية مستقلة بذاتها ، محتوية على عدد من المبانى والفيلات العصرية ، وقد فرشت بأحدث ماتفرش به أفخر البيوت . وفيه مستشفى كبير لعلاج الجنود والمرضى مع ما يتطلبه من معامل التحليل المنوعة التى يشرف عليها كبار الأخصائيين الأمريكيين ، وحتى الممرضات جىء بهن من أمريكا ليسهرن على راحة المرضى من أبناء جنسهن .

وتقوم داخل أرض المطار مدرسة للاطفال الامريكيين ، تسير فى نظامها وفق أساليب التربية الأمريكية ، وجىء بالأساتذة من أمريكا ليلقنوا النشء الجديد الثقافة والعلوم الأمريكية . كما أنشأوا لهم ملاعبهم الخاصة ، وأنشأوا لأمهاتهم ملاعبهن ليقضين فيها ساعات فراغهن .

وفى المطار ناد لتسلية القوات المقيمة فيه أو المارة به ، وقاعة للسينما تسع لـ ٥٠٠٠ شخص ويعرض فيها كل يومين فلم جديد مما تخرجه استديوهات أمريكا . كما أن به مكتبة ضخمة فيها ٢١١١ مجلد .

سوق الصنائع — طرابلس

[تصوير أولا]

وفى المطار أيضاً محطة إذاعة قوية ، تذيع برنامجاً يومياً مدة ١٧ ساعة بلا توقف . وتعتبر هذه المحطة أكبر محطة فى الشرق ، وثانى محطات العالم التى تزود بها القواعد العسكرية الأمريكية .

ولم ينس الأمريكيون أن ينشئوا حديقة حيوان فى المطار أيضاً ، وضعوا فيها كثيراً من أنواع الحيوانات المختلفة التى جاءوا بها من أنحاء العالم .

وفى المطار ، فضلا عن كل ذلك ، عدد من المصانع ، والورش ، ولا تزال تضاف إليه أقسام جديدة . ويبلغ عدد الذين يعملون فى الأقسام المختلفة حوالى ٦٤٠٠ عامل منهم ٧٠ بالمئة ليبيون .

ولعل أهم ما يمتاز به المطار الفرق الخاصة من الطائرات التى أطلق عليها اسم « فرق الانقاذ » ، وهى تضم أسرع الطائرات التى عرفت حتى اليوم . وعلى استعداد لنجدة أية طائرة أو باخرة أو قافلة ، فى مدى دقائق من إستلام إشارة الاستغاثة .

ورش الجيش البريطانى :

للجيش البريطانى بعض الورش الفنية ، التى تقوم باصلاح الدبابات والسيارات وبعض أنواع الأسلحة الأخرى ، وهى قائمة عند أبواب المدينة ويعمل فيها حوالى ٤٥٠٠ عامل ، ٥٥ بالمئة منهم من الليبيين .

وتدير القيادة البريطانية كذلك محطة إذاعة قوية ، تذيع برامجها مدة ١٦ ساعة فى اليوم .

وللانجليز أيضاً مدرسة خاصة بأبناء الضباط والجنود ، قائمة داخل ثكنات العزيزية ، وهى تسير فى نظامها وفق الأساليب والنظم المعمول بها فى بريطانيا ، ويشرف عليها اخصائيون فى أساليب التربية الحديثة .

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية والثقافية

الكيان الاجتماعي :

لا يزال النظام القبلي قائما فى ولاية طرابلس الغرب ، بين عرب صحراء سرت والقسم الجنوبى من الأقليم . وقد تلاشى هذا النظام وانحل فى مدينة طرابلس وعلى طول الساحل الشمالى ، بسبب وفرة المياه ، مما سمح بقيام زراعة ثابتة مستقرة ، ولنمو التجارة حول الموانىء الساحلية .

وفيما يلى بيان توزيع السكان المسلمين فى ولاية طرابلس الغرب حسب طرق معيشتهم :

سكان المدن	سكان الأرياف المستقرون	أشباه الرحل	الرحل	المجموع
١٠٥٫٠٠٠	٣٢٠٫٨٦٠	٢٣٦٫٧٠٠	٤٩٫٤٠٠	٧١١٫٩٦٠

الطباع :

يتسم السكان بهدوء الطباع والوقار فى تصرفهم . فلا تسمع ضجة فى شوارع المدينة ، وحتى فى الأسواق يجرى العمل دون صياح أوجلبة . ولا يميل الطرابلسيون إلى المزاح — إلا فى حدود — ولا تجرى على ألسنتهم كلمة بذيئة سواء فى الأماكن العامة أو المجتمعات الخاصة .

وقد اشتهر الطرابلسيون ، مع ذلك ، بإحساسهم المرهف ، وهم شديدو التمسك بالكرامة وعزة النفس . ويروى بهذه المناسبة . أن مصريا قابل طرابلسيا وقال له :

« إنكم شعب كامل الصفات لولا . . . . » وقبل أن يتم المصرى كلامه ، قاطعه الطرابلسى محتداً : « لولا ماذا ؟ » . . .

فأجاب المصرى : « لولا هذا ! » (مشيراً إلى سرعة الغضب) .

والشعب الطرابلسى نظيف ، وعادة البصق فى الطرقات والأماكن العامة ليست منتشرة بينهم كما هى فى بعض البلاد الأخرى ، وقلما تجد بينهم حافياً مهما كان فقيراً ، وحتى الفقراء منهم يحاولون الاعتناء بمظهرهم ولباسهم بقدر ما تسمح به ظروفهم .

وعادة المصافحة باليد منتشرة فى طرابلس الغرب ، وكذلك عبارات التحية التقليدية المعروفة فى الشرق .

والطرابلسيون عموما محبون للنظام ، مطيعون للقانون ، ولهذا السبب كان عدد الجرائم قليلا فى هذه البلاد ، كما أن جرائم النشل غير معروفة . وهم محبون للغرباء خصوصاً العرب ، ويبذلون عطفاً خاصاً على الفلسطينيين بالنسبة لما أصيبت به بلادهم .

ولا توجد فى طرابلس الغرب تلك الفوارق الاجتماعية المعروفة فى بعض بلدان الشرق الأخرى . فالألقاب الاجتماعية والرسمية معدومة ، والجميع يعيشون فى ديمقراطية محببة كأنهم إخوة .

والليبيون عموما شديدو التمسك ، خصوصاً فى المدن والقرى ، بعزلة المرأة . فلا تغادر المرأة الطرابلسية منزلها إلا فى الأحوال الضرورية ، مستترة بحجاب كثيف ، كما إنها لا تشترك فى أى نشاط إجتماعى ، ولا تشارك الرجل فى الحياة العامة ، أو فى المهن والتجارة .

وقد جرت عادة الرجال لهذا السبب أن يتقابلوا خارج المنزل . إلا أن بعض العائلات تفرد فى منازلها غرفة خاصة تسمى (غرفة السقيفة) — إذا كانت فى الدور العلوى للمنزل — أو (المربوعة) إذا كانت فى الدور الأرضى منه . وفى هذه الغرفة —

التى تكون عادة منعزلة عن سائر المنزل -- يستقبل الرجل ضيوفه ، فيجلسون للحديث والسمر حتى ساعة متأخرة من الليل .

ولعل من أبرز خصال الطرابلسيين ، والليبيين عموما ، الحياء الفطرى ، والتأدب المطلق فى حضرة الكبير سواء كان أبا أو أخا أو غير ذلك . وقد جرت العادة ، لهذا السبب ، أن لا يتناول الإبن الطعام مع زوجته فى حضور والديه أو كبار إخوته ، والبعض لا يتناول الطعام مع زوجته إطلاقا حتى ولو كانا على انفراد . ولهذا السبب أيضاً ، لا يمكن للشاب أن يدخل غرفة نومه على مرأى من أبويه وكبار عائلته ، كما أنه يخرج مبكراً قبل استيقاظهم .

وبعد الزواج ، لا يقابل الشاب والديه أو كبار عائلته لبضعة أيام ، وقد ينتحل الأعذار للسفر أو التغيب أثناء الأيام الأولى التالية للزواج .

المساكن :

طرابلس مدينة عصرية بكل معنى الكلمة . ففيها الفيلات الحديثة والعمارات الكبيرة ، والحدائق العامة الجميلة . أما المدينة القديمة ، فأزقتها ضيقة وتفتقر بعض أحيائها إلى النور والهواء ، وهى مبنية على غرار المدن القديمة المعروفة فى بلدان الشرق الأوسط الأخرى .

وتتألف المساكن القديمة — أو العربية — فى طرابلس عادة من ٣ إلى ٥ غرف وساحة سماوية غير مسقوفة ، والملحقات الأخرى .

وقد زرت كثيراً من المدن والقرى الطرابلسية الأخرى ، فوجدتها حسنة التنسيق والنظام ، ذات شوارع فسيحة ، ومبانى جميلة ، أكثرها من الحجر أو الخرسانة . وحتى البيوت المبنية بالطين ، قد طليت باللون الأبيض من الخارج ، فبدت نظيفة جميلة .

أما فى غريان ، التى تبعد عن مدينة طرابلس حوالى ٨٨ كيلو متراً إلى الجنوب ،

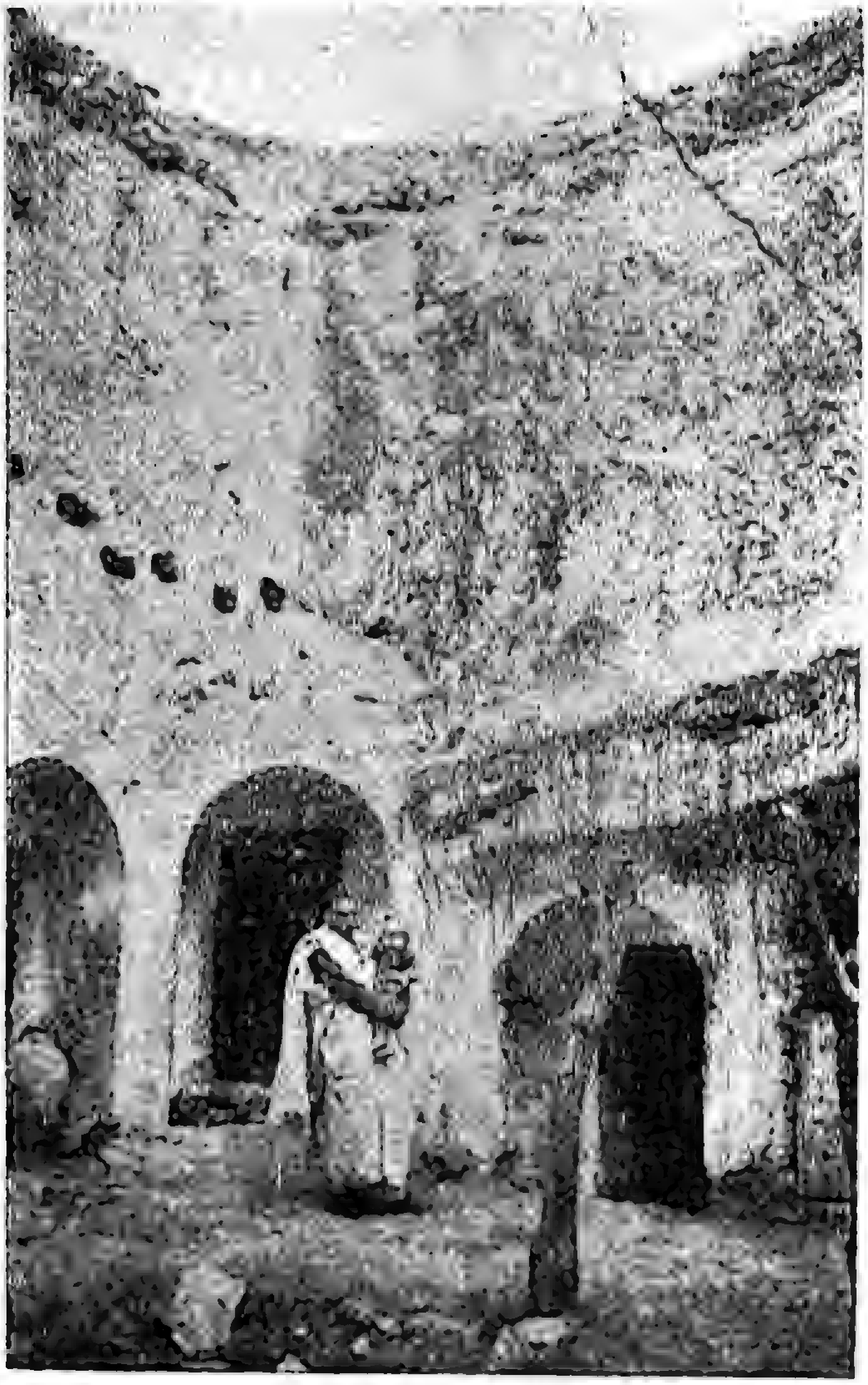

منزل منحوت فى الجبل — غريان

فقد اعتاد كثير من الأهالى السكنى تحت سطح الأرض . وتمتاز مساكنهم بدفئها فى الشتاء وبرودتها فى الصيف . وتجد هذا النوع من المساكن أيضاً فى « نالوت » ، وكثير منها مجهز بالنور الكهربائى ، ولا ينقصه شىء سوى المظهر الخارجى .

الحالة الصحية :

يقول الخبراء أن معدل التغذية فى الريف منخفض حسب التقديرات الحديثة ، ومع أنه لم تنشأ حالة خطيرة بسبب سوء التغذية ، غير أن معظم السكان لا يملكون إلا ما يسد رمقهم ، ولذا كانت قوتهم على مقاومة العدوى ضعيفة .

ومن حسن الحظ أن الأحوال فى ليبيا لا تساعد على انتشار كثير من الأمراض الفتاكة كالملاريا والبلهارسيا والإنكلستوما وغيرها . كما إنه من حسن حظ هذه البلاد أيضاً أن حالة الجو لا تؤدى إلى إصابات كثيرة بالأمراض التى تنتشر عادة فى البلدان التى يكون فيها الجو رطباً أو بارداً ، فخلت بذلك من معظم أمراض العالم الرئيسية .

ويقول أولئك الخبراء أيضاً ، أن معدل الوفيات فى طرابلس يزيد على ٤ بالمئة، بينما لا يزيد معدل زيادة السكان عن طريق التوالد على ٣ر٥ بالمئة . وقد كان معدل الوفيات المسجل فى مدينة طرابلس ٢ر٧ بالمئة سنة ١٩٤٨ ، و١ر٢ بالمئة سنة ١٩٤٩ ، و ١ر٧ بالمئة سنة ١٩٥٠ . وللمقارنة ، نذكر أن معدل الوفيات فى مصر هو حوالى ٢ر٧ بالمئة ، وفى بريطانيا حوالى ١ ر ١ بالمئة .

أما الأطفال ، فقد بلغ معدل وفياتهم فى مدينة طرابلس ٣ ر ٣٣ بالمئة فى سنة ١٩٤٩ ، وبلغ ٢ ر ٢٧ بالمئة فى سنة ١٩٥٠ ، بينما لم يزد هذا المعدل فى مصر على ٢ ر ١٥ بالمئة ، و ٨ ر ٢ بالمئة فى بريطانيا العظمى . ومعنى هذا ، أنه من كل ١٠٠٠ مولود فى مدينة طرابلس ، لا يبلغ العام الأول من العمر أكثر من ٧٠٠ طفل تقريبا .

ويعود السبب المباشر فى ذلك إلى أمراض معوية خطيرة تصيب الأطفال فى السنة الأولى من أعمارهم .

وقد لاحظ خبراء هيئة الأمم وجود عدد كبير ممن تجاوزوا سن الستين فى القرى الطرابلسية . وفى حالة واحدة ، وجدوا ٣٨٤ شخصا من ٢٦١ر٣ شخصاً قد تجاوزوا سن الستين .

وقد دلت تحريات أولئك الخبراء أيضاً على أن الحالات النفسية وقرحة المعدة والتهاب الزائدة الدودية من الأمراض غير المألوفة فى طرابلس الغرب . كما إن الإصابات بمرض السرطان والأمراض العضوية للقلب والشرايين لا توجد إلا بنسبة ضئيلة . و باستثناء تفشى مرض الحصبة والسعال الديكى أحياناً فى مناطق ضيقة، لا تقع سوى اصابات قليلة بالحميات المعدية المعروفة. وقد بلّغ خلال العامين الماضيين عن أربع أصابات بالحمى الشوكية ، وست أصابات بالتهاب المادة السنجابية الشوكية و ٣٨ إصابة دفتيريا . ولم تقع اصابات بالكوليرا أو الطاعون أو الحمى الصفراء خلال القرن الحالى . أما التيفوئيد ، فيصاب به حوالى مئة شخص فى طرابلس كل عام .

وتكثر الإصابة بالأميبا فى منطقة مصراته ، كما إن حالات الدوزنطاريا مألوفة فى جميع أنحاء البلاد ، وكذلك الإصابة بالديدان المعوية عند الأولاد .

ومعدل الإصابة بالأمراض عند النساء عادى ، وكذلك حالات الإجهاض . وقليلا ما تحدث الإصابة بالتسمم الدموى أو حمى النفاس عقب الودة .

وتوجد إصابات قليلة بالبول السكرى ، وتضخم الغدة الدرقية ، والتهاب المفاصل الروماتزمى . وقلما تقع أمراض نقص الفيتامينات كمرض البرى برى ، أو كساح الأطفال ، والبلاجرا . ولا توجد إصابات بمرض القلاع (إسهال المناطق الحارة) . ولكن الإصابات بسبب القمل وأمراض الجلد الطفيلية كثيرة الوقوع بين الأطفال فى

فى الريف . وأمراض تقيح اللوزتين والغدد أقل منها فى المناطق ذات الأجواء الرطبة .

والأمراض الخطيرة فى طرابلس الغرب ثلاثة : التهاب المعدة والأمعاء عند الأطفال، ومرض السل ، وأمراض العيون (التراخوما) . وقد أدخل مستشفى السل فى طرابلس ٥٢٠ مريضاً عام ١٩٤٨ ، و ٥٥٣ عام ١٩٤٩ ، و ٦٤٢ عام ١٩٥٠ ، و ٧١١ عام ١٩٥١ ، ومعنى هذا ازدياد الإصابات بهذا المرض الوبيل عاما بعد عام . كما إنه ظهر بعد الفحص الطبي لطلاب المدارس ، أن ٤٨ بالمئة منهم مصابون بالتهاب فى عيونهم، وفى القسم الجنوبى من ولاية طرابلس ، بلغت نسبة الإصـــابة بمرض التراخوما ٣٣ بالمئة .

ومن حسن حظ هذه البلاد ، أن تعاطى المخدرات غير معروف عند جميع طبقات السكان . وهذا فى حد ذاته وقاية من شرور كثيرة ، صحية واجتماعية ، لاحد لها .

شئون العمل والخدمات الاجتماعية :

كانت شئون العمل خاضعة إبان الإدارة الإيطالية لأحكام قانون العمل الإيطالى لأفريقيا ، وقد وضع هذا القانون لحماية العمال الإيطاليين فقط ، فحدد ساعات العمل والضمان الاجتماعى والأجازات ومدة التمرين على الحرف الخ . . . . وأدخل نظام الاتفاقات الجماعية بين أصحاب العمل والعمال فى إقليم طرابلس سنة ١٩٣٨ ، و بموجبه أمن العمال الإيطاليون وعائلاتهم ضد المرض والحوادث الصناعية والبطالة ، في حين أن العمال الطرابلسيين لم يؤمنوا إلا ضد الحوادث الصناعية فحسب .

وقد صدر أول تشريع لتنظيم نقابات العمال فى مايو سـنة ١٩٥١ ، ولا يزال نظام الضمان الاجتماعى معمولاً به كما كان قبل الحرب ، ويوم العمل الرسمى محدد

بثمانى ساعات ، غير أنه يصل عملياً فى الصناعات الخاصة إلى ١٢ ساعة . والحد الأدنى لسن العمال هو ١٤ عاماً ، إلا أن هذا الحد أيضاً لا ينفذ بدقة .

أما الخدمات الاجتماعية ، فما زالت على نطاق ضيق . ولكن توجد بعض المؤسسات التى تقوم بأعمال الرفاهة والخدمات الاجتماعية فى طرابلس الغرب ، وأهم هذه المؤسسات هى :

(١) صندوق إغاثة الفقراء : إذا قارنا عدد المتسولين فى طرابلس الغرب بما هو عليه فى البلاد الأخرى لوجدناه قليلاً جداً . وتمنح الولاية إغاثة للفقراء المسجلين على هيئة إعانات مالية أو مأكولات مجانية . و يبلغ عدد الفقراء المسجلين على هذا الوجه حوالى ٢٠٠٠ شخصاً .

(٢) مؤسسات العجزة والأيتام : تقوم بمعظم هذا العمل هيئات خيرية تتلقى تبرعات اختيارية ومساعدات لا يستهان بها من الحكومة فى صورة مبالغ مالية أو أدوات أو خدمات يقدمها موظفوها . وأهم المؤسسات العربية هى :

(ا) ملجأ أبو هريدة (فى طرابلس) وهو يتسع لحوالى ٥٠٠ شخصاً . وفيه مدرسة بها ستة معلمين .

(ب) ملجأ مصراتة للفقراء ، وفيه حوالى ١٠٠ شخصاً . وهو عبارة عن ثكنة مهملة ، يستطيع المشردون الذين تصرف لهم إعانات الفقراء أن يقيموا فيها .

(ج) مؤسسة الزاوية للأيتام .

(د) مؤسسة باب ترهونة .

وتوجد ثلاث دور للأيتام الإيطاليين فى طرابلس ، تديرها مؤسسات دينية مختلفة .

تمثال وميدان الغزالة — طرابلس

[تصوير أولا]

(٣) هيئات خيرية أخرى :

(١) صندوق الأغاثة فى طرابلس الغرب — وتتولى إدارته لجنة أهلية مشتركة ، وتجمع أموال هذا الصندوق فى الغالب من اليانصيب الذى تجريه الحكومة ، وقد بلغت هذه الأموال فى سنة ١٩٥٠ (١٢,٠٠٠) جنيهاً استرلينياً .

(ب) ارسالية شمال أفريقيا المسيحية — فى سوق الحرارة بالمدينة القديمة . ولهذه الإرسالية مستوصف يشرف على إدارته طبيب إنجليزى .

(ﺟ) الصليب الأحمر الإيطالى — ونشاطه مقصور على الإيطاليين فقط .

(٤) الحمامات العامة :

توجد فى المدن الكبيرة للأستعمال مجانا حمامات مجهزة برشات (دوش) وكثيراً ما تسخن مياهها فى فصل الشتاء . وقد بلغ عدد من يؤمون الحمامات فى مدينة طرابلس حوالى ١٥٠,٠٠٠ شخصاً فى السنة .

(٥) الجبانات :

تشرف البلدية على مقابر المدينة ، ولا يدفع شىء على مساحة القبر . أما فى القرى ، فيشرف على إدارة الجبانات موظفون حكوميون ، أو شيوخ القرية .

المستوصفات والمستشفيات العلاجية :

بلغ عدد المستوصفات العامة اليوم فى إقليم طرابلس الغرب ١١٠ مستوصفا ، بعضها تديره البلديات وجمعيات التأمين والهيئات الأجنبية . ويوجد فى مدينة طرابلس مستشفى حكومى به ١٢٠٠ سريراً ، ويوجد بناء لمستشفى فى الخمس ، ولكنه لا يستعمل إلا كمستوصف . كما أنه يوجد فى الزاوية مستشفى أهلى أنشىء سنة ١٩٤٥ بأموال الشعب .

ويوجد مستشفى خاص فى مدينة طرابلس ومعظم مرضاه من الأجانب ، كما يوجد فى المدينة ثمانية أطباء خصوصيون ، وطبيب أسنان ، وثمانى صيدليات وأربع حوانيت لبيع النظارات . كما توجد فيها مختبرات بكتريولوجية مناسبة . ولكن يلاحظ نقص كبير فى أنواع الأدوية الأمريكية والأنجليزية والسويسرية ، كما أن جميع الأطباء والصيادلة والأخصائيين هم من الأيطاليين .

العادات والتقاليد والمعتقدات

الزواج :

تختلف حفلات الزواج فى المدن عما هى عليه فى القرى أو الريف . كما أنها تختلف فى مظاهرها بين عائلة وأخرى ، حسب درجة الثراء لكل منها . إلا أن القواعد العامة ثابتة لا تتغير .

وتبقى احتفالات الزواج — عادة — مستمرة مدة خمسة أيام . فترسل الدعوات لحضور الأحتفال فى يوم الخميس السابق لعقد القران ، عندما يكون الأتفاق قد تم على المهر — وهو يتراوح عادة بين ٥٠ و ٢٠٠ جنيها حسب العائلة . وعلى العريس أن يرسل إلى بيت العروس صباح يوم الأتفاق خروفا ربط برقبته منديل من الحرير ومعه بعض الهدايا لأهل العروس .

وابتداء من يوم الاثنين ، تقام الاحتفالات فى بيت العروس . فتستقبل العروس صديقاتها اللواتى جئن للتهنئة ، ويقضين الوقت فى سمر وطرب . وفى اليوم التالى (ليلة الأربعاء) يذهبون بالعروس إلى الحمام ، وبعد العودة إلى البيت تحضر (الزيّانة) وتخضب يدى العروس بالحناء ، وتدعى تلك الليلة (ليلة الحنة الصغرى) . وفى اليوم التالى (الأربعاء ليلة الخميس) تستمر عملية تجميل العروس بالحناء وغيرها ، وتدعى هذه الليلة (بليلة الحنة الكبرى) . وفى ليلة الجمعة ، بعد أن تكون قد تمت عمليات

الزينة والتجميل ، تزف العروس بكامل ثيابهـا فى عربة مقفلة إلى منزل العريس يرافقها أقرباؤها وصديقاتها ، وتتبع الموكب عربة تحمل الموسيقيين والمغنين .

وفى ليلة الدخلة ، يكسر أحد مرافقى الزوج قلة ملآنة بالماء عندما يدخل الزوج المنزل لأول مرة ، تفاؤلا بالأمان والألفة ، وكناية عن « كسر الشر » .

وتحيي الاحتفال عادة خلال أسبوع الاستعداد للزواج ، راقصـات ومغنيات محترفات يسمون « زمزامات » . وتقدم المأكولات ، والحلويات ، كما يقدم شراب خاص مصنوع من اللوز المدقوق بالسكر والمـاء اسمه « روزاتا »(١) . ويوم عقد القران ، يقدم الروزاتا وعلب الملبس باللوز .

وفى يوم الجمعة — صباحية الدخلة واسمها « المحضر » — تظهر العروس أمام المدعوات بأجمل ملابسها وزينتهـا ، وتغير ملابسها أمامهن أربع أو خمس مرات ، وتقتدى بهـا باقى النسوة الحاضرات ، فيغيرن ملابسهن عدة مرات أيضاً بقدر ماعندهن من الثياب .

وبعد مرور سبعة أيام على يوم الدخلة ، تقيم العروس فى بيتهـا الجديد حفلة (السبوع) ، تقدم فيهـا الأطعمة والحلوى ، ويقام السمر والرقص والغناء على دق الطبول . كما تقيم حفلة مماثلة يوم الأربعين .

ولا تكلف العروس خلال الأسبوع الأول من الزواج بأى عمل فى بيتها الجديد . إذ تنوب عنها صديقاتها وقريباتها فى ذلك .

وقلما يتزوج الطرابلسيون أكثر من واحدة ، ولا يجمعون بين أكثر من إثنتين إلا فى النـادر . كما إن حوادث الطلاق فى طرابلس قليلة بالنسبة لبعض البـلاد الاسلامية الأخرى .

---

(١) كلمة إيطالية ، وكان الطرابلسيون قبل الاحتلال الايطالى يقدمون فى الأفراح « الشربات » المعروفة فى الشرق .

أما فى البادية — حيث الحجاب أقل شدة من المدن — فان العريس يلاقى عروسه و يقارعهـا الشعر ، خاطبا ودها عن هذا الطريق . فإن نشأت الألفة بينهما خطبها من والدها ، وحدد المهر نقداً أو ماشية أو حبو باً أو من جميع هذه الأشياء . وفى اليوم الثالث للزواج ، يقام احتفال كبير ، يتسابق فيه الفرسان أمام المجتمعين ، كما تطلق الأعيرة النارية فى الهواء ، زيادة فى الترحيب والتمجيد للعروسين .

المآتم :

يدفن الطرابلسيون موتاهم فى قبور عادية ، وليس فى « أحواش » خاصـة كما هو جار فى مصر وبعض البلاد العربية الأخرى . وفى الليلة التالية للوفاة ، يقيم أهل المتوفى « ليلة » على روح الميت ، فيتلى القرآن وتقدم الأطعمة وتنحر الذبائح ، ولا تقام سرادقات كما هو شائع فى مصر . كما أنه لم تجر العادة فى طرابلس على إحياء ذكرى الأسبوع الأول أو اليوم الأربعين للوفاة . ولا يبيت الطرابلسيون فى المقابر ، بل يكتفون بالزيارة فى أيام الأعياد وقراءة القرآن .

ولا تلبس المرأة الطرابلسية ، بعد وفاة زوجهـا ، الملابس الزاهية أو الملونة ولا تتزين خلال مدة العدة (أى ثلاثة أشهر وعشرة أيام) . ويسمون المرأة الحزينة على زوجها « رابطة » .

وتكون الصلاة على الأموات فى أماكن خاصة يسمونها (مصلى) . وهى عبارة عن مساحة سماوية مسورة وغير مبلطة ، ولا يسمح بالصلاة على الموتى فى المساجد .

التفاؤل والتشاؤم :

يتشاءم الطرابلسيون من اللون الأسود إذا صـادفهم فى الصباح ، سواء أكان فى هيئة شخص أو حيوان أو أى شىء آخر . ولهذا السبب لاتدخل الخادم السوداء

منظر عام لمدينة طرابلس الجديدة

[تصوير جناح]

أو الخادم الأسود على سيدتهـا أو على سيده فى الصباح إلا بعد دخول شخص آخر عليهما . وكذلك إذا خرج الرجل من بيته وقابله شخص أسود أو حيوان أسود (قط مثلا) فإنه يتشاءم طوال ذلك اليوم و يستعيذ بالله .

و يتشاءم الطرابلسيون كذلك من نعيق البوم وعواء الكلاب الشبيه بالنواح ، و يعتقدون أنه فى هاتين الحالتين لابد من موت شخص فى المنزل الذى نعق فوقه البوم أو عوى فيه الكلب ذلك العواء الحزين .

ولا يسمح الطرابلسيون ببقاء الأطفال الرضع ، أو الذين تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات ، خارج غرفة مسقوفة بعد غروب الشمس ، لأنهم يعتقدون أن طيراً يسمونه « طيرة الصغار » يمر بعد الغروب ، فان صادف وجود أحد الأطفال خارج غرفته ، فلابد أن يموت ذلك الطفل صغيراً .[1]

ومن معتقداتهم أيضاً ، أنه إذا مرت الطيور البيضاء المعروفة (بالبشّار) فوق أحد المنازل ، ووقف على ذلك المنزل طير منهـا أو أكثر ، فان هذا المنزل سيستقبل بشرى سعيدة .

و يعتقد الطرابلسيون أن رف العين اليسرى نذير شر ، كما أنهم يتفاءلون برف العين اليمنى . وكذلك يعتقدون أن طنين الأذن اليسرى فأل سيء ،واليمنى بالعكس .

وتتشاءم أم الطفل الرضيع من صرخة الحدأة (الحدّاية) ، فإذا زعقت قبل الفجر ، اعتقدوا أنه لابد وأن يتوفى رضيع فى ذلك المكان .

و يعتقد الطرابلسيون بالحسد ، ويقاومونه بحمل التعاويذ والأحجبة التى يقوم بكتابتها « الفقهاء » . كما أنهم يقدمون النذور للأولياء رداً لمصيبة أو وفاء بنذر .

---

(١) تشبه هذه الخرافة مايعتقده الشراكسة من أن بقاءملابس الطفل فى الفضاء بعد الغروب، يعرضها للبلل والندى ، الذى لابد وأن يصيب الطفل ذاته بالمرض الشديد ! !

ومن عاداتهم فى ذلك أنهم يرشقون على قبور الأولياء أعلاماً يسمونها سنسق[1] من ألوان مختلفة ، كما يضعون عليها الحناء ، أو يقوموا بتبخيرها ، وأحياناً ينحرون الذبائح ويفرقون لحمها على الفقراء .

ولا يقبل الطرابلسى ضيفاً عنده المبيت إلا بعد أن يأكل عنده اللحم ، مهما كان الوقت متأخراً .

بعض عاداتهم :

ومن عادات السكان ، أنه عند سفر أحدهم إلى مكان بعيد ، يقوم أقارب المسافر وأولاده بصب الماء خلفه بمجرد خروجه من البيت ، حتى يكون طريقه مأموناً ، ويعود إلى بيته سالماً . ومن عوائدهم فى الأفراح ، أن تطعم العروس قطع السكر لعريسها فى ليلة الدخلة من علبة أو منديل موضوع إلى جانبها . وعندئذ ، يتناول العريس قطعة من ذلك السكر ويطعمها عروسه بيده . ثم تخرج الخادم بالباقى لتوزيعه على البكارى اللواتى لم يتزوجن بعد ، تفاؤلا بزواج قريب .

ومن عاداتهم أيضاً أنه بعد أن توضع الحناء فى يد العروس ، تؤخذ قطعة منها وتعطى لإحدى البنات اللواتى فاتهن القطار ، تفاؤلا بزواج سريع .

ومن عوائدهم كذلك أنه إذا تأخرت إحداهن فى الزواج ، خرجت إحدى قريباتها التى يشترط أن تكون متقدمة فى السن وحاجّة ، وقد التفت برداء يغطى جسدها حتى لا يبدو منها شىء سوى راحة اليد ، فتذهب إلى سبعة بيوت ممن لم يسبق لأصحابها الطلاق ، أو الزواج . وتدخل المرأة الحاجة هذه البيوت ويدها

---

(١) « سنسق » محرفة عن كلمة « سنجق » ، وهى كلمة تركية ومعناها العلم . وأصل هذه العادة أن كثيراً من الاولياء (المرابطين) كانوا جنوداً أو قادة ، وكانوا يعودون من غزواتهم بأعلام الدول التى حاربوها ، وينشرونها فوق بيوتهم أو مقر إقامتهم . فأصبح أفراد الشعب يكرمونهم — بعد وفاتهم — بأن يرشقوا على قبورهم أعلاماً ملونة صغيرة ، تحية لهم وتكريما .

ممدودة إلى الأمام دون أن تفوه بكلمة ، فتقدم لها ربة المنزل بعض الدقيق والملح . وبعد عودتها إلى المنزل ، تعجن المرأة الدقيق والملح الذى جمعته من البيوت السبعة ، وتخبزه فى المنزل ، ثم تقدمه إلى الفتاة العانس . فإذا أكلته ، حلمت الفتاة حلماً جميلاً يكشف لها عن المستقبل ، ولا يتأخر زواجها بعد ذلك كثيراً .

ولا يعتقد الطرابلسيون بالزار ، ولكنهم يعتقدون بالجان والأرواح الشريرة . ويتولى « الفقيه » طرد هذه الأرواح الشريرة من أجسام المرضى و«المسكونين» .

وعند انتقال العائلة الطرابلسية من مسكن لآخر ، لا بد من ذبح طير أو حيوان على عتبة البيت الجديد قبل دخوله ، درءاً للحوادث أو العين الشريرة ، وتفاؤلا بالمسكن الجديد .

وتستعمل بعض النسوة نباتاً يعرف بالقنقيط ، [1] لكشف الغيب ومعرفة المستقبل . فاذا تأخر الزواج باحداهن ، عمدت إلى تناول قطعة من هذا النبات مع شريحة من اللحم المقدد ، فينطلق لسانها بذكر رغباتها ، وتنفسح أمامها آفاق المستقبل. وقد روى صديق لى حكاية عن مفعول هذا النبات العجيب قال — إن خادما له تناول قطعة من القنقيط . فاذا به يهب واقفاً وهو يصيح : أنا ذاهب لأفتح الدكان . وبعد أن هدأ قليلا ، هب ثانية وهو يقول : أنا ذاهب لأروى « سعيدة » . فلما سأله صديقى : ومن تكون « سعيدة » ؟ أجاب الخادم : إنها الفرس . والمدهش ، كما روى لى الصديق ، أن هذه الأشياء تحققت بعد عامين ، وكان قد نسى قصة الخادم وزالت من فكره . فافتتح دكانا للتجارة ، كما أنه اشترى فرسا أسماها « سعيدة » .

---

(١) وهو عشب مخدر ينبت فى البرارى ، ولا يرتفع ساقه عن سطح الأرض . له أوراق متسعة خضراء تحتوى على سائل لزج ، إذا أكثر من تناوله أورث الجنون المؤقت (مدة ٢٤ ساعة) وترياقه السمن .

الروائح العطرية :

يقطر الطرابلسيون زهر الورد وزهر الليمون والعطر ، و يتعطرون بعطرها . ولا بد أن تقتنى كل عائلة طرابلسية ولو زجاجة من هذا العطر لاستعماله فى المناسبات .

من عوائد البادية — قبائل التبو :

تقيم قبيلة « التبو » ما بين مرزق وغات ، ومع أن هـــذا الكتاب خاص بطرابلس الغرب ، إلا اننا أحببنا أن نورد فيما يلى بعض عادات هـــذه القبيلة ، وخصائصها ، لطرافتها واختلافها عما هو معروف فى هذا الاقليم .

تمتاز نساء هذه القبيلة بجمال الوجه والقـد الممشوق . وهن يقصصن شعورهن و يفتلنه جدائل صغيرة ، بعد دهنه بالسمن والرمل . وتلبس المرأة رداء خاصا فصل بحيث يكون أحد الثديين خارجاً وظاهراً . وتحمل النساء السلاح مثل الرجال تماما. والأسلحة المعروفة عندهم هى الخنجر والرمح . أما الرجال ،فيلبسون قميصا أزرق طويلا ويضعون على أكتافهم قطعة من نسيج الصوف المزخرف ، وكلما كان الرجل عظيما زاد فى وضع الأردية على كتفيه فى أطوال مختلفة ، حتى يصل عددها إلى ست. و يمتاز الرجال بسرعتهم فى الجرى ،وقدرتهم على الاحتمال ، وهم فى الحرب لا يتغذون إلا بدم الجمل ، فيفصدونه و يمتصون منه الدم . والطعام الرئيسى عنـدهم هو التمر المعجون ببذر الحنضل .

فاذا أراد أحدهم الزواج ، ذهب والده إلى أهل العروس ، و بعد أن يتم الاتفاق على المهر ، يحدد ميعاد العرس . وفى ذلك اليوم ، تفرش العروس وصديقاتها الحصير فى الخلاء ، و يقطعن جريد النخل ويضعنه إلى جانبهن . أما العريس فيفرش الحصير فى المـكان الذى يقيم فيه ، فاذا كان ذلك المـكان قريبا من بيت العروس ، كان عليه أن يذهب بعيداً بحيث تـكون بينهما مسافة لا تقل عن ثلاثة كيـلومترات

تقريبا . وفى مساء اليوم المحدد للزواج ، يتسلل أصدقاء العريس إلى مكان العروس لاختطافها ، فاذا تمكنوا من ذلك تم الزواج وأقيمت الأفـراح ، و إذا استيقظت صديقاتها ، أسرعن للدفاع عنها بعصى الجريد الذى سبق تحضيره لهـذا الغرض ، وقامت بين الطرفين معركة حاميـة الوطيس . فان تغلبت النسوة ألغى الزواج وفقد العريس كل مادفعه . و إذا تمكن الرجال من أخـذ العروس بالقوة ، اجتمع أهل الطرفين وأقيمت الأفراح .

و يقضى العروسان الليلة الأولى ساهرين حتى الصباح ، يتبادلان الحديث والشعر والفكاهة ، فاذا نام العريس تلك الليلة كان للعروس أن تذبحه ، و إذا لم ينم حاولت التسلل من البيت ، فأذا لم يمنعها من الخروج ، و إستطاعت الوصـول إلى جمله فى الخارج ، قطعت له عرقوبه ، ومعنى ذلك فسخ الزواج وعودة العروس إلى والديها . فاذا استطاع العريس أن يمنعها من الخروج تلك الليلة ، أصبح أهلاً لها ، وأصبحت زوجته مادامت حية . ولا يجوز الطلاق بعد ذلك مهما كانت الظروف .

لباس المرأة الطرابلسية:

يتألف لباس المرأة الطرابلسية من قميص من الـكتان ، يدعى « المريول » ، وسروال كبير فضفاض حتى القـدم مصنوع من قماش مشجر ، و « سورية » أى قميص خارجى واسع الأكمام جداً (حتى ليبلغ قطر فتحة الـكم حوالى نصف المتر) ، مصنوع من نسيج من خيوط حريرية وفضية ، وصدر القميص مصنوع من الخيوط الفضية البحتة . وفوق السورية ترتدى المرأة « كرديّـة » — أو صديرى — لها أزراراً كبيرة من الفضة الخالصة ، مصنوعة من قماش القطيفة ، المحلى بالخيوط الفضية المطرزة بأشكال هندسية ورسوم مختلفة . وفوق الـكردية ، تلبس المرأة « الحولى » وهو الرداء الخارجى ، و يصنع من الحرير أو الحرير المنسوج بخيوط الفضة . فإذا خرجت إلى الطريق العام ، لبست « الجرد » أو « الحرام » ، وهو عبارة عن ملاءة

كبيرة جداً تلتف بها المرأة من رأسها حتى أخمص قدميها ، فلا يبدو منها شيء على الإطلاق .

وكانت الطرابلسية تلبس فى أقدامها ، إلى عهد قريب ، حذاء برقبة عالية يسمونه « الخف » ، وفوقه حذاء خفيف يشبه الشبشب اسمه « الصّباط » ، وكلا الحذاءين مصنوع من الجلد السودانى الأحمر . وأحيانًا يوشون الحذاء الخارجى بخيوط الفضة والذهب . وقد أوشكت هذه العادة على الانقراض ، وحل محل « الصباط » الحذاء العادى المعروف .

أما على الرأس ، فتضع المرأة الطرابلسية منديلاً من الحرير ، أو الحرير الموشى بالخيوط الفضية ، إسمه « تستمال » ، ويصنع من ألوان مختلفة .

لباس الرجل الطرابلسى :

أما لباس الرجل ، فيتألف من « السورية » — أى القميص — والسروال الفضفاض ، وكلاهما مصنوع من الكتان أو « البفتة » البيضاء . والأغنياء يلبسون فوق السروال سروالا آخر من الصوف « الجوخ » من أى لون . وفوق السورية يلبسون « صديرى » من الصوف ، و « زبون » أى جاكتة من الصوف أيضاً ، وهذه كلها (فيما عدا السورية) تكون فى العادة مطرزة بالخيوط الحريرية بأشكال جميلة . وفوقها يرتدى الرجل « الحولى » المصنوع من الحرير الممزوج بالصوف ، أو من الصوف النقى ، ويكون لونه فى العادة أبيض أو أحمر أو ترابيا .

وقد أخذت هذه الملابس الوطنيـة تختفى تدريجيا ، لتحل محلها الملابس الأوربية المعروفة .

الطعام والشراب

يختلف الطعام الذى يتناوله أهل الريف باختلاف المواقع وفصول السنة . ففى المناطق الساحلية ، يتكون الغذاء الأساسى خلال أشهر الصيف والشتاء من دقيق الشعير الذى يغلونه بالماء حتى يصبح عجيناً كثيفاً ، ثم يضاف إليه المرق واللحم وبعض الخضروات ، و يسمونه « البازين » . وفى أوائل الخريف ، يستعاض عن البازين إلى حد ما بالتمر الطازج . وفى شهرى فبراير ومارس ، يتكون الطعام الرئيسى من التمر المجفف ، واللبن المخيض ، وخبز الشعير . أما فى المناطق الجبلية ، فيتكون الطعام الأساسى من خبز الشعير ، والتمر المجفف ، و بعض أنواع الفاكهة كالتين ، والتين الشوكى . وفى الأماكن الصحراوية ، يؤكل التمر المجفف على مدار السنة ، وفى الصيف يضاف إليه خبز الشعير والحليب .

ولا يحتوى طعام السكان عادة على خضروات طازجة ، ولكن بعضهم يستعمل القرع الأصفر ، والبطاطس والطماطم والبصل . وتضاف هذه الخضروات إلى الكسكسى ، كما يستعمل مسحوق الفلفل الأسمر بكثرة لإعطاء نهكة للطعام .

أما فى المدن ، فان الأهالى يكثرون من تناول الكسكسى بالخضار والبيض واللحم ، والمكرونة ، والخبز المصنوع من دقيق مستورد ، والأرز ، والسمك الطازج ، واللحوم ، كما إن أكثرهم يتناول « البازين » مرة فى الأسبوع على الأقل على مدار السنة . وتناول الخضروات المطبوخة أو الطازجة قليل بالنسبة للشعوب العربية الأخرى ، كما ان طريقة الطهى تختلف إختلافا كبيرا عما هو مألوف فى الشرق .

ولا توجد فى طرابلس بعض الأصناف الغذائية المعروفة فى مصر والبلاد السورية ، كما ان بعض الأصناف الأخرى نادرة الوجود والاستعمال .

ومن الأصناف النادرة الوجود أو المفقودة : الجبنة البيضاء (الدوبل كريم) ، والجبنة الرومى ، والحلاوة الطحينية ، والطحينة ، والحلويات الشرقيـة (الـكنفانة والبقلاوة وغيرها) .

ومن الناحية الأخرى ، تنتج البلاد أصنافا ممتازة من الفاكهة (كالعنب والتين والخوخ والبرتقال والبطيخ) ، كما تستورد أصنـافا أخرى من إيطاليـا (كالتفاح والكمثرى) . أما الموز المحلى ، فلا يرتقى إلى مرتبة الموز المغربى المعروف فى مصر ، وهو ذو قشرة غليظة ، كما إنه مرتفع الثمن ، و يباع بالقطعة .

و يكثر الطرابلسيون من شرب الشاى(و يسمونه الشاهى) . وكانوا لا يستعملون قبل الحرب الأخيرة إلا الشـاى الأخضر ، فلما انقطع ورود هذا النوع ، لجأوا إلى أنواع الشاى الأخرى . وتختلف طريقة تحضيره عما هو معروف فى الشرق ، إذ يغلونه بالماء حتى يسودّ لونه و يكثف ، ثم يصبونه من وعاء إلى آخر حتى يكوّن رغوة كرغوة البيرة . و بعد إضافة السكر ، يقدمونه فى كؤوس صغيرة ، مضـافا إليه اللوز المقشور أو الفول السودانى (الـكاكاوية).و قد جرت العادة على تقديم ثلاثة كؤوس للضيف ، ولا يكون إتمام الأكرام إلا به .

ولا يحتسى الطرابلسيون القهوة إلا فى النادر .

و يشرب الطرابلسيون شرابا يستخرج من جذوع النخل ، و يسمونه «اللاقبى» فاذا احتسى طازجا ، كان له قوام الحليب ولونه ، حلو الطعم ، ولا أثر له . أما إذا ترك بضعة ساعات ، فإنه يتخمر ، و يتحول إلى شراب مسكر حامض المذاق .

وتفرز النخلة الواحدة يوميا حوالى ٣٠ لترا من « اللاقبى » ، وربما أكثر . ولا يجوز إستخراج اللاقبى إلا بتصريح من السلطات ، وفى هذه الحالة توضع علامة مميزة على النخلة ، و يشترط على المزارع أن يغرس نخلة أخرى عوضا عن النخلة المصرح بجذعها .

ميدان الشهداء — طرابلس

[تصوير المؤلف]

الثقافة والتعليم والصحافة

لقد واجهت الحكومة الوطنية ، عند استلامها زمام الأمور فى مطلع العام الماضى صعوبات خاصة لم تعرفها البلاد الأخرى . فقد كانت المدارس الليبية فيما قبل الحرب تتبع منهجاً أجنبياً خاصاً بالإيطاليين ، وكان عدد من يتلقى العلم مع هؤلاء قليلا جداً، ومنهم تكونت معظم طبقة المعلمين المدربين تدريباً وسطاً .

و بسبب قلة وسائل التعليم قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت درجة الأمية عالية جداً ، فهى أكثر من ٨٥ بالمائة ، كما أن عدد الليبيين الحائزين على شهادات دراسية عالية قليل جداً .

وفى سنة ١٩٥٠ ، كان فى إقليم طرابلس ١٣٨ مدرسة بما فى ذلك مدرستان ثانويتان وداران للمعلمين ، بلغ مجموع تلامذتها ٢٣,٧١٦ طالباً . و بالإضافة إلى ذلك ، تأسست فى ولاية طرابلس بمساعدة منظمة التربية والتعليم والثقافة التابعة للأمم المتحدة ، عدة مراكز فنية وتدريبية ، ومركز للتدريب الفنى والكتابى فى مدينة طرابلس ، وهو المعروف اليوم بالكلية الفنية ، وكانت تضم فى العام الماضى ٢٣٢ تلميذاً . وفى نهاية العام الدراسى ١٩٥٠ / ١٩٥١ ، كانت هنالك ٢٤٤ مدرسة فى طرابلس الغرب ، وعدد طلبتها ٣٢,٩٢٦ طالبا ، وبلغ عدد المدرسين ١,١٩٢ مدرساً؛ وهذا بخلاف عدد من المدارس القرآنية ، وأربع مدارس ثانوية خاصة (مدرستين فى طرابلس وواحدة فى كل من زليطن ومصراتة) ، ومدرستين ثانويتين حكوميتين واحدة فى طرابلس(١) والأخرى فى الزاوية .

و بتاريخ ١٧ يولية سنة ١٩٥٢ ، سلم وزير أمريكا المفوض بطرابلس إلى

---

(١) بلغ مجموع عدد تلامذة المدرسة هذا العام ٤٨٣ طالباً ، ومجموع عدد أساتذتها ٣٦ أستاذاً منهم ١١ ليبياً و ١٠ مصريين و ٧ فلسطينيين و ٣ انجليز و ٥ إيطاليين . وينال المتخرجون شهادة التوجيهية التى تخول لهم حق دخول الجامعات المصرية .

حضرة رئيس الوزراء شيكا بمبلغ ١٨٠٫٠٠٠ دولار لإنشاء عشرة مدارس جديدة ، وإصلاح ثلاثة أخرى فى ولاية طرابلس الغرب .

وتتبع المدارس الطرابلسية فى مناهجها النظام المصرى ، كما تدرس فيها الكتب المدرسية المصرية ، فيما عدا التاريخ والجغرافيا .

ويوجد فى طرابلس الغرب عدد من المدارس الايطالية ، ولا توجد فيها مدارس أجنبية أخرى .

ويقــــدم مكتب المعلومات الأمريكى بطرابلس دورات مسائية لتعليم اللغة الأنجليزية ، ويقدر عدد الملتحقين فى الدورة الحالية بحوالى ١٣٠ شخصاً .

تعليم البنــات :

لتعليم الفتاة فى طرابلس الغرب وضع خاص بالنسبة للتقاليد التى لا تزال تكبل البيئة المحافظة فى هــذه البلاد ، ولــكن الملاحظ أن عدد الطالبات الليبيات فى زيادة مستمرة . وتوجد الآن في المدارس الحكومية حوالى ثلاثة آلاف فتاة ، بما فى ذلك طالبات كلية تدريب المعلمات التى افتتحت فى مدينة طرابلس فى أوائل سنة ١٩٥١ . وكان عدد طالبات هذه الكلية عند افتتاحها ٢٨ فتــاة ، تتراوح أعمارهن بين ١٢ و ١٥ سنة . وفى شهر أكتوبر من نفس السنة ، زاد هذا العدد فأصبح ٨٨ . وقد ألحقت بالكلية مدرسة ابتدائية لثلاثمائة من التلميذات الفقيرات ، بقصد تدريبهن على التعليم . وتشرف على دار المعلمات مديرة فلسطينية و ٧ مدرسات فلسطينيات .

وتقــــدم منظمة اليونسكو معونة خاصة لنظارة المعارف الطرابلسية ، وقد وضع مشروع لأنشاء عدد من رياض الأطفال النموذجية ، سيبدأ فى تنفيذه قريبا جداً .

الصحافة :

مازالت الصحافة فى طرابلس الغرب تحبو فى طفولتها الأولى ، إذا ظهرت أول جريدة عربيـة بعد تحرير البلاد عام ١٩٤٣ ، وتصـدر اليوم فى مدينة طرابلس الجرائد التالية :

طرابلس الغرب : يومية عربية يصـدرها مكتب الصحافة والنشر التابع لولاية طرابلس ، فى صحيفتين وأحيانا فى أربع صفحات . ويبلغ معدل التوزيع اليومى حوالى ٢٠٠٠ نسخة .

ليبيـا الزراعية : نصف شهرية باللغتين العربية والإيطالية ، وتعالج الموضوعات الزراعية . يحررها السنيور كاروتشى فوللى .

كوريرى دى تريبولى : يومية باللغة الإيطالية ، يصـدرها مكتب الصحافة والنشر بولاية طرابلس الغرب . وتوزع يوميا حوالى ٥٠٠٠ نسخة .

صنداى قبلى : إسبوعية باللغة الأنجليزية ، فى ثمانى صفحات صغيرة ، ويحررها المستر س . جونستون ، وقد انشئت فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ .

أورا دى تريبـولى : جريدة إيطالية أسبوعيـة مستقلة ، يحررها السنيور جوفانى كاكيولا .

هذا ويصدر مكتب المعلومات الأمريكى بطرابلس مجلة نصف شهرية باسم « امريكا والعالم الحر » حاوية لأهم المقالات السياسية والثقافية والأدبيـة ، وتوزع مجانا على المشتركين .

الموسيقى :

الآلات الموسيقية المعروفة فى ريف طرابلس الغرب هى : القصبة (وتسمى المقرونة) ، والطبل ، و « الزكرة » وهى عبارة عن قربة تشبه قربة الاسكوتش ، وتستعمل فى الأفراح . أما فى المدن فتستعمل بعض الآلات الأخرى كالقانون والعود والكمنجة ، على نطاق ضيق .

ويستطيب الطرابلسيون الغناء الأندلسى ، والتونسى ، وأخيراً الأغانى المصرية الحديثة . كما إنهم يستسيغون فى المدن الموسيقى الغربية وخصوصا الكلاسيكية ، والأوبرا .

ولا توجد فرق تمثيلية أو موسيقية عربية فى طرابلس الغرب ، وتفتقر البلاد من هذه الناحية إلى الشىء الكثير .

المكتبات العامة :

توجد فى مدينة طرابلس أربع مكتبات عامة هى :

(١) مكتبة الحكومة

(٢) مكتبة الأوقاف

(٣) مكتبة مكتب المعلومات الأمريكى (وللمكتب مكتبة خاصة بالسيدات والأولاد)

(٤) مكتبة مكتب المعلومات البريطانى

وتضم هذه المكاتب آلافا من الكتب بشتى اللغات ، وهى مفتوحة للجمهور يوميا ماعدا أيام العطلة الرسمية .

السجون وحوادث الاجرام

فيما يلى بيان بالسجون الموجودة فى طرابلس الغرب ومعدل عدد النزلاء الشهرى فى سنتى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ :

السجن	١٩٤٩		١٩٥٠	
	ذكور	إناث	ذكور	اناث
السجن المركزى	٢٩٥	—	٢٥٠	—
سجن الجديدة	٢٤١	—	١٥٨	—
سجن عين زارة	١٤٠	—	١٢٤	—
سجن قرقارش				
(ا) قسم الرجال	—	—	٤٤	—
(ب) قسم النساء	—	٤٧	—	٤١
قسم المستشفى	—	—	٢٨	—
سجن غريان	٥٤	—	٥٩	—
سجن الخمس	٩٥	—	٧٠	—
الأصلاحية	٩٥	—	١٠٤	—
المجموع	١١٥٤	٤٧	١١٠٧	٤١

وتمتلك مصلحه السجون مزرعتين كبيرتين وورش كاملة الأدوات لتدريب المسجونين على الحرف المختلفة ، ومنها : النجارة والخياطة وصنع الأحذية وصناعة المعادن ولحام الأكسجين والكهرباء وغيرها . وقد أنشئت مدرسة كبرى لتدريب الأحداث على الصناعات المختلفة ، بالأضافة الى تلقينهم العلوم النظرية الأخرى ، ويقوم بالتدريس فى هذه المدرسة أساتذة منتدبون من وزارة المعارف ، وعدد من

حملة الشهادات الصناعية . وتتبع اصلاحية الأحداث مزرعة صغيرة مساحتها ١٧ فدانا ، وتزرع فيها أشجار الزيتون والمشمش ، كما يزرع فيها الفول السودانى ومختلف أنواع الخضروات .

ويسمح نظام السجون للأقارب بزيارة المسجونين من ذوى السلوك الحسن ، كما يجوز أن يحضروا لهم معهم الطعام والفاكهة ، بعد مراقبتها من مأمورى السجن .

وفيما يلى بيان بالجرائم المختلفة من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٥١ : —

السنة	جرائم قتل	محاولة قتل	اعتداء	سرقات مختلفة	سرقة حيوانات	جرائم أخلاقية	مخالفات	جنح مختلفة
١٩٤٤	٤٠	٢٤	٢٩٧	١٣٥٧	١٧١	٦١	٣٠٦٢	٢٧٣٢
١٩٤٥	٧٤	٢٧	٢٦٤	١٢٩٠	٩٣	٥٤	٤٠٨٨	٢١٩٤
١٩٤٦	٤٤	٩	٣١٥	١٣٢٧	٩٨	٤٩	١١٤٣٠	٢٧١٦
١٩٤٧	٥٧	٤٠	٤١٠	٢٩١٩	٣٦٦	٦٩	٢٠٥٧٨	٢٧١٧
١٩٤٨	٤٩	٣٠	٥٥٦	٣٠٥٣	٣٨٦	٦٢	٢٠٨١٠	٣٣٧٨
١٩٤٩	٤٧	٣٤	١٨٩١	٣٤١١	٨٧	٧٥	٢٠٣٤٥	٢٨٧٩
١٩٥٠	٤٠	٢٤	٢٨٤٥	٤١٥٠	٢٣	١٤٠	٢٠١٨٧	٢٥٥٥
١٩٥١	٤٨	٢٩	٢٨٧٨	٤١٩٩	٤٨	١٥١	٢٠٨١١	٢٦١٤

سوق الحصر — مصراتة

[تصوير جناح]

الفصل الثالث

الحالة الاقتصادية والمالية

النظام النقدى :

صدر قانون النقد الليبي يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، وبموجب هذا القانون أنشئت لجنة العملة الليبية ، من سبعة أعضاء ، كما يلى :

عضوان ليبيان تعينهما الحكومة ، أحدهما يعمل كرئيس للجنة عند غياب الرئيس الذى تعينه الحكومة .

عضوان بريطانيان يرشحهما بنك إنجلترا

عضو مصرى يرشحه البنك الأهلى المصرى

عضو فرنسى يرشحه بنك فرنسا

عضو إيطالى يرشحه بنك إيطاليا

وبتاريخ أول أبريل سنة ١٩٥٢ ، صدرت أول عملة ليبيـة فى عهد الاستقلال وحلت محل الـ « مال » أو الليرة العسكرية فى طرابلس ، والجنيه المصرى فى برقة ، والفرنك الجزائرى فى فزان . ويعادل الجنيه الليبي الجنيه الأسترلينى فى القيمة ، وهو مقسم إلى ألف مليم ، ومئة قرش .

الدخل القومى :

تعتبر ليبيا من البلاد الفقيرة بالنسبة لمتوسط الدخل السنوى للفرد ، إذ لا يزيد هذا المتوسط فى ليبيا على خمسة عشر جنيها ، بينما هو فى مصر مثلا ٣٦ . وللمقارنة ،

نورد فيما يلى بياناً بمتوسط الدخل السنوى للفرد فى بعض البلدان الشرقية الأخرى :

أفغانستان	١٦٫٥	ج . ل . (استرلينى)
مصر	٣٦	»
إيران	٣٢	»
العراق	٣٢	»
لبنان	٥١	»
تركيا	٤٥	»
اليمن	١٥	»
الهند	١٧	»

ويرجى أن يتحسن هذا الوضع بعد تنفيذ المشروعات الاقتصادية ومشاريع التنمية التى تقوم الحكومة الآن بتنفيذها بمساعدة منظمات هيئة الأمم والمؤسسات الأخرى .

الإنتاج - (أ) : الزراعة وتربية الماشية :

تعتمد إقتصاديات البلاد إلى حد كبير على الزراعة ، إذ أن ثمانين بالمئة من السكان على الأقل يعملون فى هذا الحقل ، ولا يحتمل تصنيع البلاد فى وقت قريب ، نظراً لافتقارها إلى معظم المواد الخام التى لاغنى عنها للصناعة .

ويقدر الخبراء أن فى إقليم طرابلس الغرب عشرة ملايين هكتار من الأراضى المنتجة ، وثمانية ملايين هكتار من المراعى ، ونحو ٤٠٠ ألف من المليون هكتار الباقية صالحة للزراعة المستقرة ، ولم يشمل الإصلاح إلا جزءاً منها .

وفيما يلى إحصاء تقريبى للمساحة التى تزرع زراعة ثابتة فى إقليم طرابلس الغرب :

	هكتار
الواحات الساحلية العربية	٥٠٫٠٠٠
البساتين الجبلية العربية	١٢٧٫٠٠٠
أراضى الإمتياز الإيطالية	١٢٧٫٠٠٠
الأراضى الممنوحة لمؤسسة «الأنتى» الايطالية	٥١٫٠٥٨
الأراضى الممنوحة لمؤسسة «الأنبس» الإيطالية	٤٦٫٢٢٨
الأراضى المزروعة غابات	٣٫٠٥٠
المجموع ...	٤٠٤٫٣٣٦

وتعتمد الزراعة فى طرابلس إلى حد كبير على المطر ، كما إن طرق الزراعة المستعملة فى أغلب المزارع لاتزال هى الطرق البدائيه القديمة . ولذا كان اعتماد معظم السكان العرب على محاصيل الأشجار التى لاتتأثر كثيراً بالجدب ، وأهمها الزيتون والتين والتمر . أما الحبوب ، فأهم مايزرع منها هما الشعير والقمح .

وفيما يلى بيان إجمالى لمحاصيل الحبوب فى طرابلس الغرب :

السنة	طن شعير	طن قمح
١٩٤٥	٧٠٫٠٠٠	٨٫٠٠٠
١٩٤٦	٧٥٫٠٠٠	٦٫٠٠٠
١٩٤٧	١٨٫٠٠٠	١٫٠٠٠
١٩٤٨	٢٢٫٠٠٠	٢٫٤٠٠
١٩٤٩	١٤١٫٠٠٠	٨٫٠٠٠
١٩٥٠	٨٥٫٠٠٠	٨٫٠٠٠
١٩٥١	٩٢٫٠٠٠	٨٫٥٠٠

وتدل هذه الأرقام على ما للمناخ من تأثير كبير فى الانتاج . فقد كان محصول الشعير فى إقليم طرابلس فى سنتى الجفاف ، أى ١٩٤٧ و١٩٤٨ ، ١٨ ألف طن و٢٢ ألف طن على التعاقب ، فى حين أن محصول سنة ١٩٤٩ لم يقل عن ١٤١ ألف طن. وتقدر المساحة المزروعة حبوباً بنحو ٣٥٠ ألف هكتار .

ويأتى الزيتون من حيث القيمة الاقتصادية بعد الشعير بين المحاصيل الزراعية ، ويعطى الزيتون الطرابلسى نسبة كبيرة من الزيت ، ويقدر المحصول السنوى منه بما يقرب من ٨٥٠٠ طناً . وينتظر وصول هـذا الرقم إلى عشرة آلاف طن ، عنـدما تنضج أشجار الزيتون التى غرست خلال السنوات الأخيرة .

ويقدر عدد أشجار الزيتون فى إقليم طرابلس بما يزيد على ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ شجرة ، منها حوالى ١٫٨٠٠٫٠٠٠ للايطاليين .

ويزدهر اللوز فى طرابلس الغرب ، ويقـدر الانتاج الحالى منه بمـا يقرب من ١٦٥٠ طنا فى السنة ، ويقدر عدد الأشجار بحوالى مليونى شجرة . وينتظر أن يصل إنتاج هذه الأشجار إلى خمسة آلاف طن عندما تنضج جميع الأشجار .

ومن الثمار الناجحة فى طرابلس ، الموالح (البرتقال والليمون واليوسفى) ، والتين والخوخ ، والمشمش . ويقدر عدد أشجار التين بحوالى ٥٩٥ ألف شجرة ، ولم يصدر من محصولها شىء حتى الآن .

وقد أكثر الإيطاليـون من زراعة الـكروم فى أوائل عهدهم بهذه البـلاد ، ويستعمل العنب خاصة فى صنع الخمر . وتعتبر بعض أنواع النبيذ المحلى من الأصناف الجيدة ، ولـكنها لم تصدر الى الخارج حتى الآن .

ويوجد حوالى عشرون مليون كرمة فى إقليم طرابلس ، وبلغ مقدارما أنتج من النبيذ وأنواع الخمور الأخرى سنة ١٩٥١ حوالى ٢٨ ألف هكتولتر .

وتزرع فى إقليم طرابلس كميات من التبغ تكفى الاستهلاك المحلى، وبالأخص فى مستعمرات « الآنى » . وقد بلغ انتاج التبغ سنة ١٩٥١ ، ٨٨٠ طناً .

وقد أدخل الإيطاليون زراعة الفول السودانى (الكاكاوية) إلى طرابلس ، ونجحت نجاحاً باهراً . وقد بلغ انتاج هذا الصنف ١٥٠٠ طنا عام ١٩٥١ ، وصدر بعضها إلى إيطاليا .

ويزدهر شجر الخروع ، بتكاليف قليلة ، على طول الساحل وفى المناطق نصف الصحراوية . وتصدر بذوره إلى الخارج لاستخراج الزيت الذى يستخدم فى تزييت الطائرات والآلات الدقيقة ، ولأغراض طبية أخرى .

وينمو فى إقليم طرابلس نبات برى إسمه « الحلفا » ويستخدم فى صنع الأنواع الرفيعة من الورق وأوراق النقد . وهذا النبات مصدر هام للدخل القومى فى طرابلس ، ويباع الطن الواحد منه بخمسة وثلاثين جنيهاً (وكان يباع إلى وقت قريب باثنين وأربعين جنيهاً للطن) . ويصدر منه سنويا ما قيمته حوالى الثلاثة أرباع مليون جنيه.

وتأتى تربية الماشية والحيوانات فى المرتبة الثانية بعد الزراعة ، من حيث القيمة الاقتصادية . وتعتمد تربية الماشية فى إقليم طرابلس على الكلأ ، ولذا فإن هذه التجاره تتأثر بشدة فى السنوات المجدبة .

وفيما يلى بيان تقريبى بعدد المواشى والحيوانات فى إقليم طرابلس :

النوع	العدد بالآلاف
الغنم	٣٥٠
الماعز	٣٦٥
الإبل	٦٠
الأبقار	٣٣
الخيل	٦
الخنازير	٢

ويعتمد على الأغنام فى الحصول على الصوف واللحم والحليب . وتستخدم الخيول المحلية فى الغالب كحيوانات للحراثة والجر . أما الخنازير ، فيقوم بتربيتها الإيطاليون ، وتسد حاجة الطوائف غير الإسلامية لهذا النوع من اللحم .

(ب) الصناعة :

يلاحظ أن أحوال طرابلس الطبيعية والإقتصادية غير ملائمة لنمو الصناعات الثقيلة ، بسبب افتقار البلاد إلى السكك الحديدية ووسائل المواصلات السريعة والقوة الكهربائية والقوة الشرائية الكافية عند السكان ، فضلا عن أكثر المواد الأولية والخامات اللازمة .

غير أنه توجد فى البلاد بعض الصناعات الناجحة ، وكلها من الصناعات الخفيفة . وأهمها صناعة الأسماك التى يقوم بها فى الغالب الإيطاليون واليونانيون . وهناك تسع شركات لصيد سمك التونة ، ويبلغ ماتصيده سنويا ألف طن . وتعمل ست شركات إيطالية على حفظ السمك فى العلب إبان موسم الصيد فقط (من شهر مايو إلى يوليو) ، نظراً لعدم توفر وسائل التبريد الصناعى . أما السردين ، فيصاد ويحفظ فى العلب من قبل شركات صيد التونة ، ويدوم الموسم خمسة أشهر . ويتراوح إنتاج السردين بين ٣٠٠ و١٠٠٠ طن فى الموسم ، ويصدر معظمه ، وهو من النوع غير الجيد ، إلى مصر .

ومن الصناعات أيضاً ، صناعة عصر الزيوت النباتية وتكريرها . وتوجد فى إقليم طرابلس أربع معاصر حديثة لزيت الزيتون ، وعدد من المعاصر الصغيرة البدائية .

وتوجد فى طرابلس أربع مطاحن كبيرة للدقيق ، و١٢ مصنعاً للمكرونة ، ومصنع واحد لصنع البيرة من الشعير الخاص المستورد ، كما يوجد مصنعان لتقطير الكحول ، وعدد من مصانع التقطير الصغيرة لإنتاج الخمور المحلية من التمر ، و١٢ مصنعاً لإنتاج المياه المعدنية والمرطبات . ويقوم مصنعان حديثان بأعمال دباغة الجلود

وتحضيرها . وقد بلغ إنتاج هذين المصنعين سنة ١٩٥١ حوالى ٤٥ طناً من مختلف أنواع الجلود ، وذلك بخلاف عدد من مدابغ الجلود الصغيرة .

ويوجد فى طرابلس مصنع واحد لإنتاج ورق اللف ، ويبلغ إنتاجه السنوى حوالى ٤٠٠ طن . ومصنع واحد للشمع . ومصنعان للثلج .

ولا تزال المنسوجات تصنع بطريقة الأنوال اليدوية ، وقد أنشىء حديثاً مصنع آلى كبير لإنتاج المنسوجات المختلفة ، وينتظر أن يباشر أعماله قريباً . وتوجد فى مدينتى طرابلس ومصراته بعض المؤسسات التى تنتج هذه السلع على أساس صناعى ، وتوجد مؤسستان لصنع البسط (الأكلمة) الجيدة النوع ، ولكن لم يصدر منها شىء للخارج حتى الآن .

وتدير مصنع السجاير فى مدينة طرابلس شركة التبغ البريطانية الأمريكية ، على أساس حصولها على مرتبات ثابتة وحصة مئوية فى الأرباح . وينتج هذا المصنع سنوياً حوالى ٣٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠ سيجارة ، و ١٢٥٫٠٠٠ كيلوجرام من الطباق .

وتوجد محطتان لتوليد القوة الكهربائية فى مدينة طرابلس ، أنشأتهما وتديرهما شركة إيطالية . وتنتج هاتين المحطتين فى الوقت الحاضر ٦٣٠٠ كيلوات بقوتهما العادية ، و ٦٩٠٠ كيلوات بقوتهما فوق العادية . وتدير هذه الشركة محطتين أخريين ، إحداهما فى مصراته ، قوة توليدها الموضوعة ٤٧٠ كيلوات ، والأخرى فى مدينة الخمس ، وتبلغ قوتها الموضوعة ١٦٠ كيلوات .

وتقوم شركة إيطالية بإنتاج الغاز فى مدينة طرابلس ، وتبلغ طاقتها الإنتاجية ٤٢٠ ألف متراً مكعباً فى الشهر ، فى حين أن إنتاجها الفعلى هو ٢٢٥ ألف متراً مكعباً فقط .

المالية العامة :

أولا — الإيرادات : تتكون إيرادات الحكومة فى طرابلس من عدد من

الضرائب المباشرة (حوالى ٣٠ بالمئة من مجموع الإيرادات) ، والضرائب غير المباشرة (حوالى ٧٠ بالمئة من مجموع الإيرادات) .

ولا تزال ضريبة الدخل تجبى فى طرابلس بمقتضى القانون الايطالى . وبمقتضى هذا القانون ، تجبى ضريبة قدرها ١٥ ٪ على الأرباح الناتجة من استثمار رأس المال فى غير الأبنية والأراضى ، و١٠ ٪ على الأرباح الصناعية والتجارية والمهن الحرة ، و٨ ٪ من مرتبات الموظفين ، و٤ ٪ من أجور العمال . وليس ثمة نظام تصاعدى لمعدل الضريبة ، كما إنه لايعفى من دفع الضريبة ، بموجب النظام الجديد ، إلا الذين تقل دخولهم عن ٨٠ جنيهاً فى السنة .

ويخضع الدخل الناتج من المبانى للضريبة على المنازل بمعدل ٨ ٪ من صافى الدخل . وقد حدد صافى الدخل بأنه الدخل الإجمالى بعد خصم الثلث ، ولايسمح بأية تخفيضات أخرى . وتعفى المبانى العامة وبعض المبانى الجديدة الأخرى خلال بعض السنوات الأولى من دفع هذه الضريبة .

وتختلف أنظمة جباية الضرائب على الزراعة . ففى قسم من البلاد تجبى « الضريبة الزراعية » بمعدل ١٠ ٪ من القيمة التقديرية المحصول ، بما فى ذلك الخضروات والحبوب والفاكهة والزيتون والبلح وغيرها . وفى أجزاء أخرى من إقليم طرابلس ، تجبى ضريبة العشر على الحبوب والأشجار بدلاً من « الضريبة الزراعية » بمعدل ١٠ ٪ من المحصول ، وتجمع عيناً . وتجبى ضريبة العشر على الأشجار بمعدل ١٠ ٪ من قيمة محصولها ، وتدفع نقداً .

وبالإضافة إلى ماتقدم ، توجد ضريبة الماشية بمعدل ٢ ٪ من قيمة كل رأس من الأبقار والخيول والغنم والماعز .

وتشتمل أبواب الإيرادات الأخرى على أرباح « التجارة الحكومية » ، وهى ناتجة عن بيع السلع التموينية من قبل إدارة التموين بنظارة المالية . وتشتمل كذلك

على الإيرادات الناتجة من الرسوم ، والرسوم الجمركية ، والمواصلات ، وضريبة الملاهى والرخص وغيرها .

ثانيا المصروفات : إن مصروفات الحكومة فى الوقت الحاضر تفرضها وتحددها احتياجات الانتاج والتنمية الأقتصادية والتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية والإصلاح الجزئى لأضرار الحرب ، واعانة مشروعات الاستعمار الإيطالية ، والمحافظة على المنافع العامة . وهذا كله يتطلب نفقات تتعدى الإيرادات العادية . وقد بلغ العجز فى ميزانية ولاية طرابلس للسنة المالية المنتهية فى ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ ، حوالى ٤٠٠ ألف جنيه ، و بلغ مجموع الإعانات المالية المقدمة للاقليم خلال سنوات الادارة البريطانية (١٩٤٣ — ١٩٥٠) ٥٧٣ ر٨١٠ ر٢ جنيهاً . وقد بلغ العجز فى ميزانية السنة المالية المنتهية فى ٣١ مارس سنة ١٩٥٣ أكثر من مليون جنيه — باستثناء إيرادات الجمارك التى تدفع بكاملها للحكومة الاتحادية — وقدرت فى الميزانية المذكورة بمليون و ٢٣ جنيه .

وفيما يلي بيان ميزانية طرابلس الغرب للسنة المالية من أول أبريل سنة ١٩٥٢ ، إلى ٣١ مارس سنة ١٩٥٣ :

بنـد المصروفات	الرواتب (ج . ل)	نفقات أخرى (ج.ل)	الجملة (ج . ل)
الوالي	٣٣ر٣٠٠	٣٠ر٠٠٠	٦٣ر٣٠٠
الداخلية	٤٩٥ر٠٤٠	٣٨١و٦٦٠	٨٧٦ر٧٠٠
الماليـة	٩٠ر٧٣٠	٣٢٣ر٦٤٠	٤١٤ر٣٧٠
الزراعة	٤٠ر١١٠	١١٠ر٨٩٠	١٥١ر٠٠٠
المواصلات	٣٦ر٠٤٥	٢٦٨ر٩٥٥	٣٠٥ر٠٠٠
المعارف	٢٣٤ر٦١٠	٧٨ر٣٩٠	٣١٣ر٠٠٠
الصحة	٨٨ر٩٩٠	١٥٣ر٠١٠	٢٤٢ر٠٠٠
العدل	٧٠ر٨١٠	٥ر٦٩٠	٧٦ر٥٠٠
الأشغال	٥٧ر٤٥٠	٢٤٣ر٥٥٠	٣٠١ر٠٠٠
جملة المصروفات الداخلية	١ر١٤٧ر٠٨٥	١ر٥٩٥ر٧٨٥	٢ر٧٤٢ر٨٧٠
الإيراد المقدر			١ر٦٤٢ر٨٧٠
العجز المقدر الذي يجب تلافيه من حكومة ليبيا			١ر١٠٠ر٠٠٠
يستنزل مايدفع لمصروف الديوان الملكي			٣٠ر٠٠٠
صافي العجز			١ر٠٧٠ر٠٠٠

وفيما يلي بيان ميزانية الحكومة الاتحادية عن المدة ذاتها :

	جنيه ليبي
الإيراد المقدر لحكومة ليبيا	٢ر٩٨٥ر١١٣
المصروفات المقدرة لحكومة ليبيا	٨٤٧ر٧٩٠
الرصيد المخصص للولايات	٢ر١٣٧ر٣٢٣

وفيما يلي جدول بتفاصيل الإيرادات المقدرة للحكومة الليبية ، عن المدة ذاتها :

التفصيلات	جنيه ليبي	جنيه ليبي
الجمارك والمكوس :		
برقة	٤٠٠ر٠٠٠	
فزان	٢ر٥٣٠	
طرابلس	١ر٠٢٣ر٠٠٠	١ر٤٢٥ر٥٣٠
البريد والمواصلات السلكية :		
برقة	١٠٤ر٠٠٠	
فزان	٢ر٦٦٠	
طرابلس	١٨٠ر٠٠٠	٢٨٦ر٦٦٠
المنح الأجنبية على سبيل المساعدة :		
بريطانيا	١ر١١٠ر٠٠٠	
فرنسا	١٦٣ر٣٢٣	١ر٢٧٣ر٣٢٣
جملة إيراد الحكومة الليبية :		٢ر٩٨٥ر١١٣

صادرات طرابلس الغرب (بآلاف الجنيهات الاسترلينية)

المـواد	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠
الحيوانات	—	٩٦٫٧	١٠١٫٥	٧٤٫٧	٤٣٫٣	٧٫١
الشعير	٥٠٥٫٤	٧٧٠٫٢	—	—	٢٧٨٫٣	٥٧٧٫٧
سمك التونة والسردين	٨٦٫٨	١٨٧٫١	١٠٨٫٦	١٨٢٫٠	١٠٩٫٧	١٦٢٫٠
الفول السوداني	٢٫٣	—	—	٥٤٫٥	١٠٤٫٦	٩٨٫٧
التمر	٨٨٫٥	٥٣٫٩	١٥٫٠	٣٢٫٤	١٣٫٦	٢٥٫٩
القمح والدقيق	—	١٠٠٫٩	٢٥٫٨	—	—	١٫٤
مواد غذائية أخرى	١٣٨٫٥	١٢٤٫٥	٩٤٫٣	١٤٠٫٤	١٢١٫٧	٤٥٦٫٦
مجموع المواد الغذائية	٨٢١٫٥	١٣٣٣٫٣	٣٤٥٫٢	٤٨٤٫٠	٧٥١٫٢	١٣٤٩٫٤
الحلفا	—	—	٨٦٫٦	٢٥٩٫٢	١٦٤٫٣	٢٠١٫١
معادن خردة	—	٥٫٢	١٨٥٫٦	١٧٢٫٩	١٤٢٫١	١٢٥٫٩
الاسفنج الخام	٢٥٫٤	٢٤٫٤	٢٤٫٤	٧٩٫٥	١٦٫١	٦٣٫٧
الجلود	١٣٫٥	٦٢٫٥	٩٥٫٧	٦٣٫٣	٤٨٫٨	٦٠٫٩
التبغ غير المصنوع	—	١٠٫٦	٣١٫٤	٧٤٫٧	—	—
مواد خام أخرى	٣٠٫٣	٣١٫٥	٦٣٫٠	٥٥٫١	٥٠٫٤	١٧٢٫٥
مجموع المواد الخام	٦٩٫٢	١٣٤٫٢	٤٨٦٫٧	٧٠٤٫٧	٤٢١٫٧	٦٥١٫١
المنسوجات	٣٧٫٥	٦٣٫٦	١٧١٫٨	١٧٥٫١	١٢١٫٢	٧٨٫٤
السجائر والتبغ المصنوع	١٠٫٠	١٢٫١	٤٤٫٩	٦٣٫٧	٧٥٫٦	٧٥٫٦
السلع المخدومة الأخرى	٧٥٫٢	٦٣٫١	١٤١٫٩	١٤٣٫٨	٧٨٫٥	١٣٤٫٢
مجموع السلع المصنوعة	١٢٢٫٧	١٣٨٫٨	٣٥٨٫٦	٣٨٢٫٦	٢٧٥٫٣	٢٨٨٫٢
متنوعات	٢٦٫٤	١٢٫١	١٤٫٧	١٧٫٥	٤٫٣	١٫٢
المجموع الكلى	١٠٣٩٫٨	١٦١٨٫٤	١٢٠٥٫٢	١٥٨٨٫٢	١٤٥٢٫٥	٢٢٨٨٫٧

أما الواردات، فيتألف معظمها من بعض المواد الغذائية كالقمح والشعير والمواد الغذائية الاخرى ، والمنسوجات ، والمواد البترولية ، والمنتجات الكيماوية ، والسيارات ، والآلات ، والمصنوعات المختلفة . وفيما يلى بيان بواردات طرابلس الغرب خلال سنوات ١٩٤٥ الى ١٩٥٠ :

واردات طرابلس (بآلاف الجنيهات الاسترلينية)

النوع	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠
قمح	٢٣٥ر٦	١٢٨ر١	٢٢٢ر٢	٥٧٥ر٤	٥١٨ر٣	٣٥٥ر٥
شعير	—	—	٢٤٩ر٥	٦٧٦ر٦	١١٨ر٨	—
سكر	١١٥ر٤	١٦٥ر١	١٦٧ر٨	٢١٣ر٧	٢٤١ر١	٣١٢ر١
شاى	٩١ر٥	١٤٥ر٢	٣٦٤ر٩	٨٤ر٠	١٣٠ر٨	٢٤٧ر١
مواد غذائية أخرى	١٤٣ر٧	١٦٨ر٧	٧٧٠ر٤	٣٣٤ر٤	٢٥٨ر٢	٦٣٥ر٩
القيمة الإجمالية للمواد الغذائية	٥٨٦ر٢	٦٠٧ر١	١٧٧٤ر٨	١٨٨٤ر١	١٢٦٧ر٢	١ر٥٥٠ر٦
منسوجات قطنية	٣٩٥ر٤	١٢٥ر٠	٣٦٤ر٨	٢٦٢ر٤	٤٢٤ر٧	٣٧٥ر٢
منسوجات أخرى الخ	٩٥ر٢	١٧٧ر٨	٢٣٠ر٧	٣٠٦ر٧	٥١٠ر٧	٤٧٠ر٤
القيمة الإجمالية للمنسوجات الخ	٤٩٠ر٦	٣٠٢ر٨	٥٩٥ر٥	٦٥٩ر١	٩٣٥ر٤	٨٤٥ر٦
بترول وزيوت التشحيم	١١٢ر٣	١٤٢ر٤	١٥٦ر٥	١٨١ر٣	٣٣٠ر٥	٤٢٣ر٩
منتجات كيمائية أخرى	١٣٠ر٤	٧٢ر٩	١١٨ر٣	١١٨ر٩	١٧٢ر١	٢٥٥ر٦
القيمة الإجمالية للزيوت والسلع الكيمائية	٢٤٢ر٧	٢١٥ر٣	٢٧٤ر٨	٣٠٠ر٢	٥٠٢ر٦	٦٧٩ر٥
فحم	٢٠٣ر١	١٩٠ر٧	١٧٩ر٥	٢٢٧ر٥	١٤٨ر١	١٧٥ر٤
سلع معدنية وسيارات الخ	٦٠ر٤	٢٩ر٨	٨٩ر٣	٢٣١ر٠	٢٦٤ر٥	٦١١ر٤
جميع الواردات الأخرى	٢٤٧ر٣	٢٨٦ر٣	٢٧٥ر٧	٦٠٦ر٤	٥٨٥ر٤	٦٨٧ر٠
المجموع الكلى	١٨٣٠ر٣	١٦٣٢ر٠	٣١٨٩ر٦	٢٨١٨ر٣	٣٧٠٣ر٢	٤ر٥٥٠ر٥

ويتضح من مقارنة الواردات والصادرات ، أن طرابلس الغرب تستورد سنوياً سلعاً تزيد قيمتها على ثمن ماتصدره بأكثر من الضعف . فقد كان فائض الإستيراد سنة ١٩٤٥ حوالى ٧٦٠ ألف جنيهاً ، وفى سنة ١٩٥٠ ، وصل هذا الفائض إلى ٢ر٢٦١ر٨٠٠ جنيهاً .

البنوك :

توجد فى مدينة طرابلس اليوم فروع للبنوك الأجنبية التالية :

بنك باركلاس ، بنكو دى روما ، بنكو دى نابولى ، و بنكو دى سيشيليا . وقد استأنفت البنوك الإيطالية أعمالها فى النصف الثانى من سنة ١٩٥١ ، بعد أن ظلت مغلقة طيلة مدة الاحتلال البريطانى .

وفيما يلى ، بيان بالودائع الأهلية والقروض الممنوحة فى سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، بالجنيهات الاسترلينية :

ودائع أهليـــة

البنك	٥٠/١٢/٣١	٥١/٦/٣٠	٥١/١٢/٣١
باركلاس	١ر٦٠٩ر٤٦١	١ر٢٠٢ر١٥٨	١ر٠٥٥ر٨٩٩
البنوك الإيطالية	—	—	١ر٤٢٥ر٧٠١
المجموع	١ر٦٠٩ر٤٦١	١ر٢٠٢ر١٥٨	٢ر٤٨١ر٦٠٠
النقود المتداولة	٢ر٣٤٥ر٣١٢	٢ر٥٣٧ر٣٣٦	٢ر٦٩٣ر٣٤٢
مجموع النقود	٣ر٩٥٤ر٧٧٣	٣ر٧٣٩ر٤٩٤	٥ر١٧٤ر٩٤٢

قروض

البنك	٥٠/١٢/٣١	٥١/٦/٣٠	٥١/١٢/٣١
باركلاس	١٢٣ر٥٣٦	٢٣١ر٤٦٩	٣٩٣ر٩٦٤
البنوك الإيطالية	—	—	٤٣٧ر١٦٣
المجموع	١٢٣ر٥٣٦	٢٣١ر٤٦٩	٨٣١ر١٢٧

ومما تجدر ملاحظته أن الودائع الأهلية فى البنوك تمثل ٤٧٪ من مجموع كمية

النقود ، بينما نسبتها فى تونس هى من ٥٥ إلى ٦٠ بالمئة ، وفى برقة ٣٢ بالمئة فقط .

مشروعات التنمية الاقتصادية فى ليبيا :

تقدم هيئة الأمم ، بموجب برنامجها الموسع للمساعدة الفنية ، الخبراء لإعداد التوصيات التى تقدم إلى الحكومة الليبية بشأن وضع خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد الليبية . وقد وضع هؤلاء الخبراء الذين استقدمتهم الأمم المتحدة ومنظمة العمل الدولية ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، ومنظمة التربية والعلوم والثقافة ، ومنظمة الصحة العالمية ، عدة تقارير تضمنت توصيات عملية كثيرة . وفضلا عن ذلك ، تقدم هذه الهيئات بعض المساعدات المالية ويشرف على أعمال هيئة الأمم بطرابلس « ممثل مقيم للمساعدة الفنية » ، وذلك بمقتضى طلب تقدمت به الحكومة الليبية إلى الأمم المتحدة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ . وقد وقع مشروع الاتفاق بين الحكومة الليبية ومندوب الأمم المتحدة مساء ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وهو يوم إعلان الاستقلال . وينص الاتفاق الأساسى للمساعدة الفنية على أن تتحمل المنظمات الممثلة فى مجلس المساعدة الفنية الجزء الأكبر من النفقات المحلية الخاصة بتقديم المساعدة الفنية . ولا تشمل هذه النفقات دفع الرواتب فحسب ، ولكنها تشمل أيضاً نفقات السفر وبدل الإقامة ومصروفات المكاتب والإدارة ، كما التزمت الحكومة الليبية من من جانبها باعداد المكاتب ومواجهة نفقات الاتصالات الرسمية ، والعناية الطبية بالخبراء .

وبتاريخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، صدر قانونان بإنشاء « المؤسسة الليبية العامة للتنمية والاستقرار » و« الشركة المالية الليبية » . والغرض من إنشاء المؤسسة الأولى ، كما جاء فى المادة الثانية من القانون الخاص بإنشائها ، هو « أن تشجع وتساعد على التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيا ، بأن تضمن القيام بالاستقصاء اللازم ووضع البرامج والمشروعات الخاصة بالمساعدة الفنية ، واستغلال موارد ليبيا ، وتمويلها

وتنفيذها بقصد زيادة الإنتاج ، وبخاصة إنتاج المواد الغذائية والمواد الخام ، فيرتفع مستوى معيشة الشعب الليبي تبعاً لذلك .

« وأيضاً ، تساعد بأعمالها على استقرار الاقتصاد الليبي، ولاسيما فى فترات القحط أو الفترات الأخرى التى يشتد فيها الضيق الاقتصادى ، كما تضمن الحصول على المؤن الضرورية بتكوين احتياطى من المواد الغذائية ، وإيجاد أعمال إضافية ، وتوفير المساعدة المالية فى صورة قروض أو منح ؛ وأن تساعد بأعمالها ، كذلك ، على نمو التجارة الخارجية الليبية نمواً متوازناً ، وعلى تحقيق التوازن فى ميزان المدفوعات بصفة مستمرة » .

ويتكون رأس مال هذه المؤسسة من الإعانات السنوية التى تدفعها حكومات أمريكا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا . وقد برزت إلى عالم الوجود بصفة رسمية يوم ٦ مارس سنة ١٩٥٢ ، عندما عقدت أول اجتماع لها ، وأصدرت ميزانيتها التالية ، لعام ١٩٥٢ / ٥٣ .

الإيراد	ج . ل .
مساهمة المملكة المتحدة (بريطانيا)	٣٨٠ ر ٠٠٠
مساهمة فرنسا	١٠٠ ر ٠٠٠
مساهمة إيطاليا	١٠ ر ٠٠٠
مساهمة الولايات المتحدة	٣٥٧ ر ٠٠٠
	٨٤٧ ر ٠٠٠
رصيد الاستقرار بواقع ٢٥ ٪	٢١١ ر ٧٥٠
رصيد التنمية (الباقى)	٦٣٥ ر ٢٥٠

ويقوم بإدارة أعمال المؤسسة مدير عام بالنيابة عن رئيس مجلس الإدارة .

ويتألف مجلس الإدارة من عضو أصلي وآخر احتياطى معينين من قبل كل حكومة من الحكومات المشتركة فى المؤسسة بما لايقل عن عشرة آلاف جنيه ليبى ، أو ما يعادل قيمتها سنوياً . وتعين الحكومة الليبية أيضاً عضواً أصلياً وآخر احتياطياً . ويعمل كل من العضو الأصلي والعضو الاحتياطى لمدة ثلاث سنوات ، ويجوز إعادة تعيينه ، بشرط أن تنتهى مدة خدمته متى توقفت الحكومة التى عينته ، عن دفع اشتراكها فى المؤسسة . وينتخب المجلس رئيساً له من بين أعضائه . ويحضر اجتماعات المجلس الممثل المقيم للمساعدة الفنية التابع لهيئة الأمم المتحدة ، بصفة استشارية .

* * *

وأما الشركة المالية الليبية ، فقد ظهرت إلى الوجود بصفة رسمية يوم ٩ يونية سنة ١٩٥٢ ، والغرض من إنشائها هو المساعدة على التنمية الاقتصادية والاجتماعية لليبيا بتقديم القروض لقاء فائدة ضئيلة جداً ، وزيادة التسهيلات المقدمة للمشروعات والبرامج الزراعية والصناعية والتجارية فى ليبيا ، ويتكون رأسمالها من اكتتابات الدول والهيئات الأجنبية . وقد عين لهذه الشركة مدير إيطالى ، ورئيس ليبى .

وقد أنشىء قسم خاص بوزارة المالية الاتحادية لتنسيق العمل بين المؤسسات المختلفة ، وليكون وسيلة الاتصال بينها و بين الحكومة الليبية . ويتولى رئيس هذا القسم سكرتارية « لجنة وضع المشاريع الاقتصادية » ، وهى لجنة حكومية تتولى دراسة المشاريع المختلفة وتنسيقها واقتراحها باسم الحكومة الليبية .

مساعدة برنامج النقطة الرابعة الأمريكى (لاتاس) :

وبموجب مشروع النقطة الرابعة الأمريكى ، تشكلت فى مدينة طرابلس هيئة تدعى « الهيئة الأمريكية الليبية للمساعدة الفنية » ، ويرمز لها بالحروف « لاتاس » « L. A. T. A. S. » . وقد رصدت الحكومة الأمريكية مبلغ ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ دولار لنفقات هذه الهيئة فى ليبيا خلال المدة المنتهية فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٣ .

المواصلات :

يمتد الطريق الرئيسى على طول الساحل من الحدود التونسية حتى الحدود المصرية ، كما توجد فى إقليم طرابلس شبكة من الطرق الثانوية يبلغ طولها ٢٨٠٠ كيلو متراً ، نصفها فى حاجة إلى إصلاح بسبب الخراب الذى أصابها من جراء الحرب . وقد أنفق على إصلاح الطرق حتى الآن مايزيد على خمسين ألف جنيه .

و يبلغ طول خطوط السكة الحديدية حوالى ١٥٠ كيلو متراً ، ممتدة من مدينة طرابلس إلى تليل (٨٨ كيلو مترا إلى الغرب باتجاه زوارة) ، ومن طرابلس إلى العزيزية (٥٠ كيلو مترا) ، ومن طرابلس إلى تاجوراء (٢١ كيلو مترا) ، والخط الأخير خاص بالبضائع فقط .

وتتكبد ولاية طرابلس خسائر سنوية من جراء تسيير هذه الخطوط . أما القاطرات والعربات فهى على العموم قديمة وغير صالحة للعمل . وقد أصيبت مبانى المحطات ، باستثناء محطة طرابلس ، بأضرار بالغة أثناء الحرب . ويقدر مجموع خسائر السكة الحديدية بسبب الحرب بحوالى ٢٦٠٫٠٠٠ جنيه .

و يقوم مطار إدريس (كاستل بنيتو سابقاً) ، على بعد ٢٢ كيلو مترا من مدينة طرابلس ، بخدمة حركة الطيران المدنى . وهنالك خطوط طيران نظامية تمر بمدينة طرابلس باتجاه الشرق وأوربا و إفريقيا .

والميناء الصالح الوحيد فى طرابلس الغرب هو ميناء طرابلس ذاتها ، وتديره ولاية طرابلس الغرب . و يوجد عدد من الموانىء الصغيرة الأخرى أهمها ميناء الخمس ، وزليطن ، وزوارة . وتصدر من هذه الموانىء الحبوب والتمر والماشية .

وهنالك خدمات بريدية كاملة فى المدن الرئيسية ، كما يوجد إتصال تلغرافى بين طرابلس وتونس ، واتصال لاسلكى بين طرابلس ومالطة ، و بنغازى ، واتصال تلغرافى سلكى تحت البحر بين طرابلس ومالطة ، وعن طريقه ترسل البرقيات إلى الخارج . وتتصل المدن الرئيسية فى إقليم طرابلس بخطوط تليفونية ، غير أن أكثر هذه الخطوط بحاجة إلى الإصلاح أو الاستبدال .

الفصل الرابع

مدينة طرابلس

ملاحظات عامة

. .

طرابلس ، درة الساحل الافريقي ...

وهي أكبر مدن المملكة الليبية على الإطلاق ، إذ يبلغ عدد سكانها حوالى المئة وخمسة وعشرين ألفاً ، منهم حوالى ثلاثون ألف إيطالى ، وخمسة آلاف يهودى .

لقد حاول الفاشيست جهدهم أن يحولوها إلى مدينة إيطالية ، وكانوا يريدون جعلها قطعة من أوربا ، فتهافتوا عليها تهافت النحل على الزهر ، وامتلكوا الكثير من أراضيها ، كما امتلكوا كل كرسى فى دور أحكامها ...

ولقد ذهب الفاشيست ، وظلت طرابلس ...

ظلت رابضة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، تلعق أمواجه سواحلها ، وتستكين مياهه الزرقاء هادئة وديعة فى خلجانها وشطآنها ...

ظلت شامخة بأنفها ، ترقب ما حل بمغتصبيها ، كما حل بمن سبقهم من الغازين والمحتلين والفاتحين والمستعمرين . لقد حل بهم ما حل بالفينيقيين والرومان والفاندال والبيزنطيين والاسبان — كلهم ذهبوا ، و بقيت طرابلس .. شامخة بأنفها كما كانت دائماً ...

* * *

طرابلس ... المدينة الوقور الهادئة . .

طرابلس — شارع البحر وجانب من الحدائق العامة

[تصوير جناح]

ولكن « بلاج » طرابلس لايختلف فى الصيف عما نجده فى مصايف أوربا وأمريكا .. بل تكاد بعض شوارعها تشبه بما تموج به من فتنة فاضحة نابلى وروما والبندقية ... إذ تطّرح بعض الأوربيات فى الصيف الحشمة والوقار ، ويخرجن فى تبرج صياح ، وزى فضاح ، يكاد مافوق الخصور يكون مكشوفاً للأبصار والعيون ، وتجدهن على البحر ، وفوق الرمال وتحت زبد الأمواج ، أجساداً ممشوقة ، وألواناً برونزية أو خمرية جميلة ، حتى لتحسبهن حوراً فررن من الجنة ، جئن إلى طرابلس ليفتن أهلها ...

ومن أغرب مالاحظته ، عزوف الطرابلسيين عن هذه الفتنة المكشوفة العارية ، أو الفتنة الملتفة فيما هو أشد إغراء من السفور المطلق ، فلا يلقوا إليهن بالاً ، ويشيحوا عنهن بوجوههم ، ولعل ذلك من الحياء الذى فطروا عليه ، أو لعلهم اعتادوا مثل هذه المناظر ، حتى لم تعد تؤثر فيهم ..

* * *

وتنقسم مدينة طرابلس إلى قسمين : المدينة القديمة ، وهى واقعة إلى داخل السور ، والمدينة الجديدة ، التى بنيت فى عهد العثمانيين والايطاليين. ومع إن طرابلس مدينة فينيقية — رومانية فى الأصل ، إلا أن الأثر الرومانى الوحيد الباقى فى المدينة هو قوس ماركوس أوريليوس ، فى البلدة القديمة .

وفى طرابلس أزمة مساكن شديدة بسبب أضرار الحرب ، وتدفق العائلات الأجنبية على المدينة ، وتوقف حركة البناء — تقريبا — منذ الحرب . ويبلغ إيجار الشقة الجديدة — متى وجدت — من ٣٥ إلى ٤٥ جنيها فى الشهر . أما إيجار الغرفة المفروشة ، فيتراوح بين ٧ و١٠ جنيهات فى الشهر .

وفى مدينة طرابلس ، قصر الخلد العامر . وقد بنى زمن الإيطاليين ، وأعيد إصلاحه حديثا كى يكون لائقا بسكنى عاهل البلاد .

وفى المدينة عدد من المساجد الكبيرة والتاريخية ، أهمها جامع أحمد باشا وجامع درغوت ، وجامع قورجى ، وجامع سيدى حمودة ، وغيرها . كما توجد فيها كاتدرائية كبرى ، أنشأها الإيطاليون بالقرب من دار البلدية .

وتشرف بلدية طرابلس على شئون المدينة ، والخدمات العامة ومراقبة الأسواق ، ويرأس المجلس البلدى اليوم السيد طاهر القره مانلى ، ويسمونه « العميد » ، وهو فى نفس الوقت ناظر العدل بولاية طرابلس الغرب[1] .

* * *

وفى المدينة عدد من المطاعم الحديثة ، والمقاهى ، وكلها بيد الإيطاليين. كما يوجد فيها أيضا عدد من دور السينما ، وكلها تعرض أفلاما إيطالية ، فيما عدا داراً واحدة فى البلدة القديمة ، اختصت بعرض الأفلام المصرية ، وداراً لعرض الأفلام الأمريكية والإنجليزية خاصة بأفراد القوات البريطانية .

وفى المدينة أيضاً عدد من الفنادق الجيدة والمتوسطة ، أهمها فندق «الودان»[2] وهو من فنادق الدرجة الممتازة ، ويحتوى على صالة للرقص ، والروليت ، ومسرحاً ، ودراً للسينما . وفندق « المهارى »[3] — وهو من فنادق الدرجة الثانية ، وله أوركسترا تعزف ألحانها كل مساء . وفندق « فكتوريا » ، وهو أيضاً من فنادق الدرجة الثانية ، ويمتاز بطابعه العائلى .

ويوجد فى المدينة عدد من شركات البواخر والطيران والسياحة ، ولا يوجد صرافون للعملة ، إذ تتولى البنوك هذه العملية تحت إشراف نظارة المالية .

---

(١) جرت انتخابات المجلس البلدى الحالى فى شهر يناير سنة ١٩٤٨ ، بموجب القوانين الايطالية السابقة ، التى لا يزال معمولا بها الى الآن .

(٢) الودان — هو الغزال ذو القرون الطويلة المتشعبة .

(٣) المهارى — هو الجمل الهجين سريع العدو .

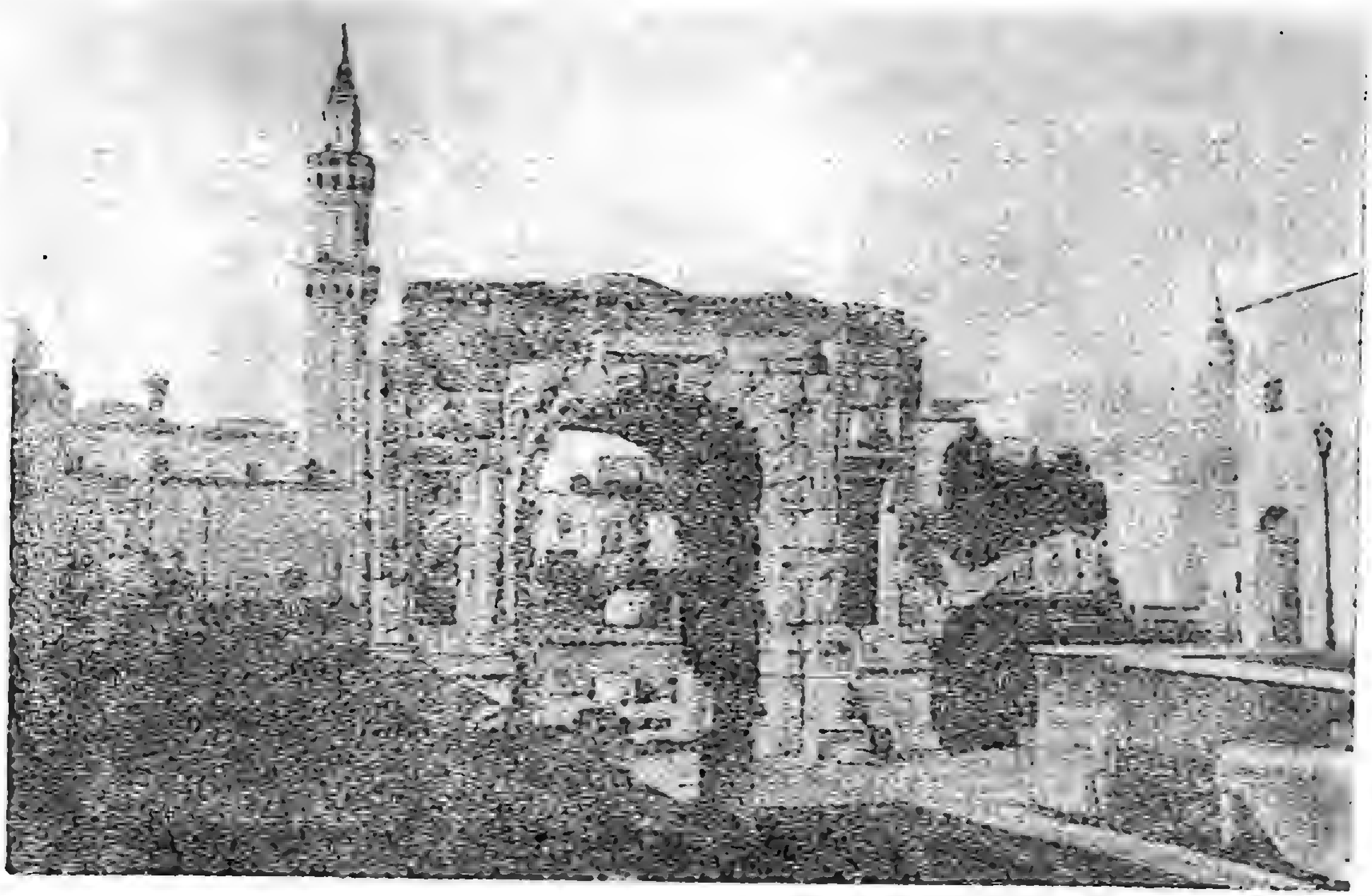

قوس ماركوس أوريليوس — طرابلس

ولا توجد فى مدينة طرابلس حديقـة حيوانات ، أو متاحف (سوى متحف القلعة) ، ولـكن يوجد بها عدد من الحدائق الجميلة ، على طول شارع الـكورنيش .

وتربط خطوط الأتوبيس أجزاء المدينة بعضها بالبعض . كما أن استعمال الحنطور والتاكسى شائع بين السكان والنزلاء على السواء ، وكذا استعمال الدراجة كوسيلة للركوب شائع جداً فى المدينة ، خصوصاً بين الأجانب من كلا الجنسين .

ويوجد فى المدينة عدد من المفوضيات والقنصليات الأجنبية ، منها : أمريكا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وتركيا . والقنصلية المصرية الوحيدة فى ليبيا موجودة بمدينة بنغازى .

ولا توجد فى مدينة طرابلس «كباريهات» أو مسارح أو فرق تمثيلية شرقية ، كما لا توجد فيها مطاعم شرقية لائقة .

الملاحق

ملحق رقم ١

العملة المتداولة وودائع البنوك فى طرابلس

بتاريخ ٣١	العملة المتداولة		الودائع (١) بالجنيهات		
ديسمبر	ليرة السلطة العسكرية	قيمتها بالجنيه	عسكرية	حكومية	أهلية
١٩٤٤	١ر٢٤١ر٢٩٠ر١٢٠	٢ر٥٨٦ر٠٢١			
١٩٤٥	١ر٢٠٩ر٣٣٥ر٨٨٠	٢ر٥١٩ر٤٥٠			
١٩٤٦	١ر١٣٢ر٥٦٦ر٤٣٠	٢ر٣٥٩ر٥١٤	(٢)		
١٩٤٧	٨٤٩ر٥٥٩ر٥٣٠	١ر٧٦٩ر٩١٦	٤٣٣ر٩٩٢	—	٧٩٥ر٣٦٨
١٩٤٨	٩١٦ر٦٥٧ر٥٦٠	١ر٩٠٩ر٧٠٣	١٥٨ر٠٤٢	٣٦٢ر٠٩٣	١ر٣٠٩ر٩٩٢
١٩٤٩	١ر٠٣٨ر٤٥٨ر٣٦٠	٢ر١٦٣ر٤٥٥	١٤٧ر٧٣١	٢٠٢ر٢٦٥	١ر٠٥٥ر٣٣٤
١٩٥٠	١ر١٢٥ر٧٤٩ر٦٩٢	٢ر٣٤٥ر٣١٢	٨٨ر٧٤٨	٥٣٦ر٧٨٧	١ر٠٠٤ر٣٩٣

(١) بما فى ذلك العسكريين

(٢) بما فى ذلك حسابات الحكومة .

ملحق رقم ٢

عدد الموظفين فى الحكومة الاتحادية والولايات
كما فى أول ديسمبر سنة ١٩٥٢

	العدد	الراتب السنوى	العلاوة السنوية
الحكومة الاتحادية :		ج . ل .	ج . ل .
ليبيون	٤٩٣	٩٨ر٢٤٥	—
إيطاليون	١٠٥	٢٠ر٣٠٩	—
بريطانيون	١٩	١٧ر٢٧٧	٩ر٥٩٥
فرنسيون	٣	٢ر١٢٥	١ر٠٢٠
شرق أوسط	١٠	٥ر٤٦٠	٨٥٠
ولاية طرابلس :			
ليبيون	٢ر١٧٢	٤١٧ر٣٦٢	—
إيطاليون	٧٢٤	١٦٠ر٧٨٧	—
بريطانيون	١١٥	٨٠ر٥٠٠	٦٠ر٣٠٤
شرق أوسط وغيرهم	٩٨	٤٨ر٢٨٠	٥ر٩٠٠
ولاية برقة :			
ليبيون	١٣٤٨	٣١٨ر٨٨٨	—
بريطانيون	١٤٠	١٠٠ر٢٧٠	٦٤ر٣٢٦
شرق أوسط	١٧٤	٧١ر٨٣٢	١٠ر٧٢٦

ملحق رقم ٣

متوسط سقوط المطر بالمليمتر ، والمتوسط السنوى لدرجات الرطوبة

الجهة	المتوسط السنوى للأمطار	عدد السنين	المتوسط السنوى لدرجات الرطوبة	عدد السنين
طرابلس	٣٧٠ر٨	٧٠	٦٢	٣٤
أبو كماش	١٨٣ر٥	٢١	—	—
زوارة	٢٢٣ر٢	٣٤	٦٨	١٠
صبراتة	١٧٧ر٥	١٧	٦٥	١٥
الزاوية	٢٦٧ر٤	٢٦	—	—
قصر القرابوللى	٣٢٠ر٩	١٩	٦٢	٨
الخمس	٢٦٨ر٧	٣٠	٦٦	١٩
زليطن	٢١٥ر٧	١٧	٦٥	٨
مصراتة	٢٤٧ر٤	٢٩	٦١	١٥
تاورغة	١١٩ر٢	١٠	—	—
سرت	١٧١ر٠	١٧	٦٤	١٠
بيانكى	٣٠٠ر٧	١٠	—	—
سوانى	٢٥٦ر٦	١٥	—	—
العزيزية	٢١٤ر٤	٣٤	٥٠	٢١
فندق بن غشير	٢٩٦ر٦	٢٣	٤٩	١٤
يفرن	٢٦٣ر٣	١١	٥٥	٨
غريان	٣٢٢ر٦	٢٧	٤٢	٢٦
ترهونة	٢٥٩ر٠	٣٠	٥١	١٦
ماركونى	٢٢٧ر٩	٣١	—	—
القصبات	٣٢١ر٢	١١	٥٥	٨
بنى وليد	—	—	٥١	١٣
مزدا	—	—	٤٣	١٦

ملحق رقم ٤

الحد الأدنى لدرجات الحرارة (مئوية)

الجهة	الحد الأدنى لدرجة الحرارة	الشهر والسنة
طرابلس	—٦ر٠	يناير ١٩٤١
زوارة	١ر٠	يناير ١٩٣٥
الزاوية	—٨ر٠	يناير ١٩٣٥
الخمس	٢ر٠	ديسمبر ١٩٢٥
زليطن	٢ر٠	يناير ١٩٣٢
مصراتة	٢ر٠	يناير ١٩٢٧
سرت	٤ر٠	فبراير ١٩٣٣
فندق بني غشير	—٢ر٤	يناير ١٩٤١
العزيزية	—٢ر٣	يناير ١٩٢٣
يفرن	—٧ر٢	يناير ١٩٣٤
غريان	—٨ر٤	يناير ١٩٢٥
ترهونه	٠ر٠	يناير — فبراير ١٩٣٣ / ٣٤
القصبات	٠ر٠	يناير ١٩٣٥
مزدا	—٠ر٥	يناير / فبراير ١٩٢٦
بني وليد	—٠ر١	يناير ١٩٣٥

ملحق رقم ٥

درجات الحرارة القصوى (مئوية)

الجهة	درجة الحرارة القصوى	الشهر والسنة
طرابلس	٤٥٫٦	أغسطس ١٩٤٥
زوارة	٤٨٫٥	يونيو ١٩٢٥
الزاوية	٥٣٫٠	يونيو ١٩٣١
الخمس	٤٩٫٠	أغسطس ١٩٣٤
زليطن	٥٠٫٢	يوليو ١٩٣٢
مصراتة	٥١٫٢	يونيو ١٩٣٩
سرت	٥١٫٠	يونيو ١٩٢٦
فندق بن غشير	٥١٫٤	أغسطس ١٩٤١
العزيزية	٥٨٫٠	سبتمبر ١٩٢٢
يفرن	٥١٫١	أغسطس ١٩٢٥
غريان	٤٤٫٨	يوليو ١٩٣٢
ترهونة	٥٠٫٧	يونيو ١٩٢٦
القصبات	٤٧٫٠	يونيو ١٩٢٥ / ١٩٣٠
مزدا	٤٩٫٨	يوليو ١٩٢٥
بني وليد	٥٦٫٨	يونيو ١٩٣٩

ملحق رقم ٦

إحصائيات تجارية عن طرابلس فى العهد العثمانى

سنة ١٨٥٠ — الإنتاج المحلى :

الحبوب ٢١٢٫٧٠٠ قنطار
الزيت ١٫٣٧٥٫٨٠٠ كيلو جرام
السمن ٤٦٠٫٠٠٠ كيلو جرام
الماشية ١١٫٧٨٨ رأساً

بضائع جلبت من إفريقيا وأعيد تصديرها :

العاج ٧٧٫٠٠٠ كيلوجرام
ذهب خام ١٠٩٫٠٠٠ غرام
عبيد ٢٧٠٨ عبداً

واردات طرابلس سنة ١٨٩٨ :

من إنجلترا	٢٫١٦٨٫٠٠٠ فرنكاً (الفرنك يساوى أربعة قروش)
من فرنسا	١٫٨٠٠٫٠٠٠ »
من تركيا	١٫٦٠٠٫٠٠٠ »
من إيطاليا	١٫٢٠٠٫٠٠٠ »
من النمسا	٥٥٠٫٠٠٠ »
من ألمانيا	٣٠٠٫٠٠٠ »
من بلجيكا	٢٥٠٫٠٠٠ »
من بلدان أخرى	١٫١٧٢٫٠٠٠ »
المجموع	٩٫٠٤٠٫٠٠٠ »

صادرات طرابلس سنة ١٨٩٨ :

إلى إنجلترا ومالطة	٣٫٥٠٠٫٠٠٠ فرنكا
إلى فرنسا	٣٫٠٦٧٫٠٠٠ »
إلى أمريكا	٨٠٠٫٠٠٠ »
إلى تركيا	٥١٧٫٠٠٠ »
إلى الجزائر وتونس	٥٢٢٫٠٠٠ »
إلى إيطاليا	٢٠٠٫٠٠٠ »
إلى بلدان أخرى	١٫٣٥٠٫٠٠٠ »
المجموع	٩٫٩٥٣٫٠٠٠ »

ملحق رقم ٧

بعض المفردات الليبية العامية ومعانيها

(ملاحظة : « القاف » تنطق « جيم » مصرية)

الكلمة	المعنى	الكلمة	المعنى	الكلمة	المعنى
إشبح	أنظر	عوينة	خوخ	زقرللّو	صرصار
كاغط	ورق	كرموس	تين	كينيا	يوسف افندى
رَوْشن	نافذة	اسفنارى	جزر	كاكاوية	فول سودانى
مورش	زجاج	بروكلو	زهرة القرنبيط	فيسع	بسرعة
ضَيِّح عليه	ناده	دحى	بيض	قعمز	إجلس
تدهور	تنزه	حارة دحى	أربع بيضات	تراليك	شبشب
شيشمة	حنفية الماء	كسوة	بدلة	زردة	طعام، أكل، وليمة
دَبْش	عفش أو ملابس	وقيد	كبريت	ياسر	كثير ، كافى
صونية	صحن	سبسى	سجاير	نو	حر
طاسة	كباية	قرطاس سبسى	علبة سجاير	هلبا	كثير جدا
فركيتة	شوكة	لابس	قلم رصاص	راجى	انتظر
كاشيك	ملعقة	اتسقّد	إذهب	قطوس	قطة
طوبلى	دبوس	طعام	قمح	سورية	قميص
معجنة	صحن كبير	ليلة تلولا	ليلة البارحة	شيشة	زجاجة
حوش	منزل	حوت	سمك	بطّح	دلق ، رمى
دار	غرفة	سردوك	ديك	فُجرة	فضة
بلاص	عمارة كبيرة	مرايات	نظارات	وين جيت	كيف حالك
كرهبا	سيارة	لوطا	تحت، أسفل	ويش تدير	ماذا تفعل
حوازة	حديقة فواكه	جادور	حصان	شكاجة	شماعة ملابس
سانية	حديقة صغيرة	بياض	لحم	خوت	إخوة
جنان	حديقة منزلية	شخشير	جورب	ليم	برتقال
زنقة	زقاق	كوجينة	مطبخ	لوز خزاينى	جوز
جادة	شارع	برندة أو ناموسية	سرير	لوز أحمر	بندق
متخشش	غاضب	شرشاف	ملاءة السرير	دزله	أرسل له
مبسوط	غنى	العيال	الزوجة	بكثُل	بالمرة ، بالكلية
باهى	كويس، جيد	كوشة	فرن	يطبِّس	يبدأ
يرعش	يضب، يضطرب	وقِّدنى	ذكرنى	ميلود	المولد النبوى
دلاع	بطيخ	غدوة	غداً	مسقوع	مزكوم
جلعاوى	شمام				

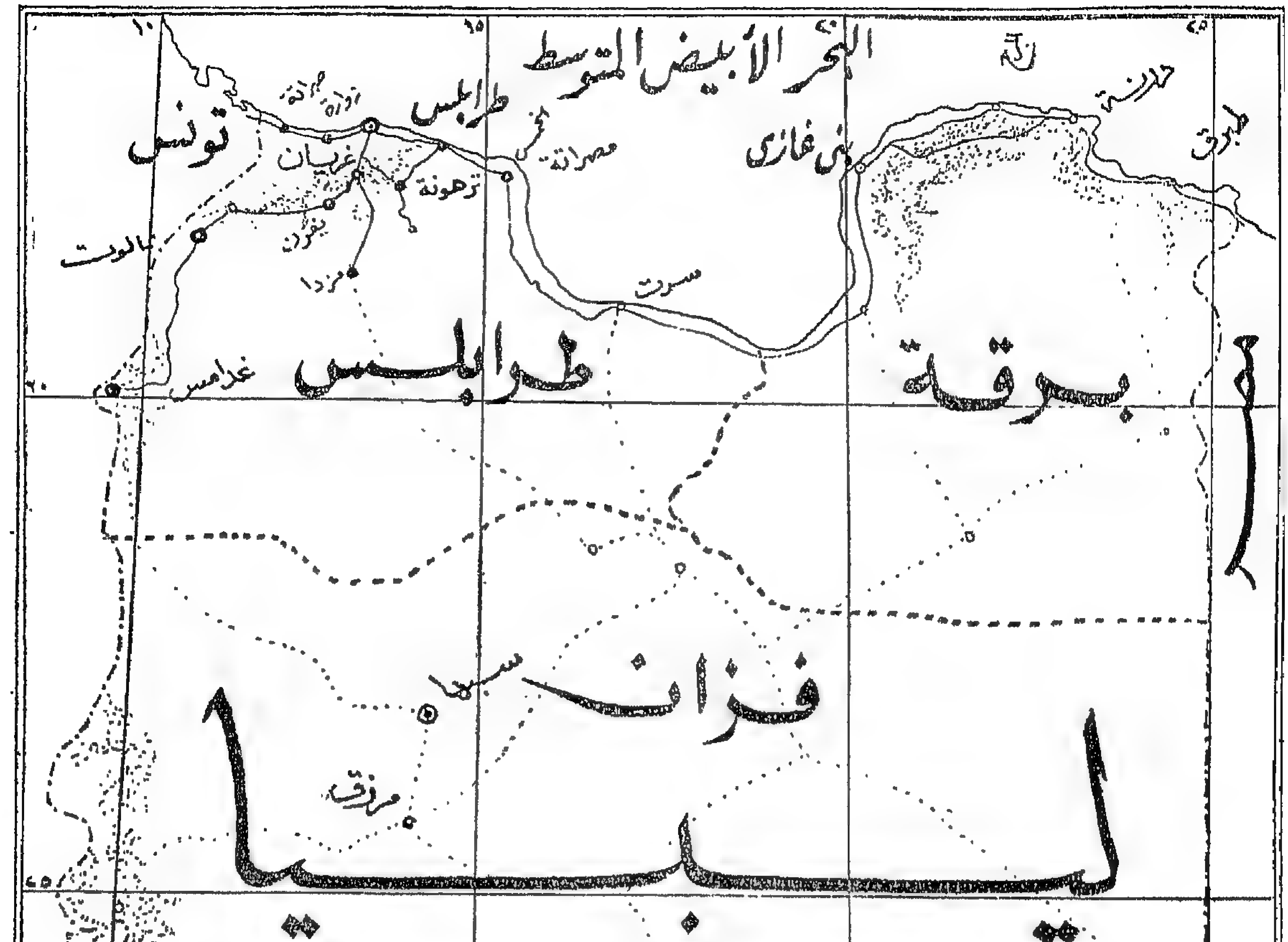
البحر الأبيض المتوسط
تونس
طرابلس
ترهونة
غريان
نالوت
غدامس
بنى غازى
طبرق
طرابلس
برقة
مصر
فزان
مرزق
ليبيا
أفريقيا الفرنسية
السودان
جبال التبستي
الصحراء الاستوائية

محتويات الكتاب

صفحة

المقدمة ١١

المراجع ١٣

تمهيد : المملكة الليبية المتحدة ١٦

القسم الأول — الماضى

الفصل الأول : طرابلس الغرب بين الأسطورة والتاريخ . . ٢٩

الفصل الثانى : طرابلس الغرب من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامى ٣٧

الفصل الثالث : من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية . . ٦٠

الفصل الرابع : الدولة الفاطمية وما بعدها ٧٦

الفصل الخامس : طرابلس فى العهد العثمانى ٩٢

الفصل السادس: الاستعمار الإيطالى ١١٤

الفصل السابع : الإدارة البريطانية ١٣٣

الفصل الثامن : ميلاد دولة ١٤٩

القسم الثانى — الحاضر

الفصل الأول : الوصف الجغرافى ، السكان ، الأقليات الأجنبية . ١٧٩

الفصل الثانى : الحياة الاجتماعية والثقافية ١٩٦

الفصل الثالث : الحالة الاقتصادية والمالية ٢٣١

الفصل الرابع : مدينة طرابلس — ملاحظات عامة ٢٥١

ملاحق ٢٥٩

فهرست الصــور

	صفحة
الملك إدريس الأول	٣
الرئيس محمود المنتصر رئيس الوزراء ووزير الخارجية	٥
صورة المؤلف	٧
الامفتياتر الرومانى ـــ صبراتة	٣٥
آثار لبدة الرومانية	٤١
قاعة البازليكا ـــ صبراتة	٤٥
آثار لبدة ـــ العصر الرومانى	٥٣
جانب من آثار لبدة ـــ العصر الرومانى	٥٧
الحمامات ـــ آثار لبدة ـــ العصر الرومانى	٦٧
منظر عام للسراى الحمراء (القلعة) من البحر	٨٩
جامع أحمد باشا القره مانلى ـــ طرابلس	٩٥
سوق المشير ـــ طرابلس	١٠٩
منظر فى المدينة القديمة	١٢٥
الاحتفال بالمولد النبوى الشريف (زليطن)	١٣١
قصر الخلد العامر	١٤٥
منظر فى إحدى الواحات	١٧٧
الطريق إلى غريان	١٨٥
مدينة غريان	١٨٩
سوق الصنائع ـــ طرابلس	١٩٣
منزل منحوت فى الجبل ـــ غريان	١٩٩
تمثال وميدان الغزالة ـــ طرابلس	٢٠٥
منظر عام لمدينة طرابلس الجديدة	٢١١
ميدان الشهداء (طرابلس)	٢٢١
سوق الحصر ـــ مصراته	٢٢٩
شارع البحر	٢٥٠
قوس ماركوس أوزيليوس	٢٥٥
خريطة ليبيا	٢٥٩

كتب للمؤلف :

١ ــ الإسلام والحرية الفكرية (القدس ١٩٣٦)

٢ — Tragedy of a Nation - Story of the Cherkess - Jerusalem 1939

٣ ــ مصر والشراكسة ــ صفحات من تاريخ مصر الحديث (القاهرة ١٩٤٨)

٤ ــ جان ــ قصة (القاهرة ١٩٥٠)

٥ ــ كارمن ــ قصة مترجمة (القاهرة ١٩٥٠)

٦ ــ عبد الحميد ــ ظل الله على الأرض (مترجم) ــ القاهرة ١٩٥٠

فى التحضير :

١ ــ الإسلام : من القرآن الكريم والحديث الشريف .

٢ ــ الروائع : مجموعة مختارة من أحسن ما كتب فى الشرق والغرب .

٣ ــ روائع القصص : قصص مترجمة لأشهر كتاب القصة العالمية .

٤ ــ برقة وفزان : فى الماضى والحاضر .

دار النيل للطباعة
بالقاهرة

Bibliotheca Alexandrina
0214489